

الجمهورية
البحرينية



المشروع القومي للترجمة

الدبلوماسية الفاعلة

تأليف: بيتر مارشال

ترجمة: أحمد مختار الجمال

مراجعة وتقديم: السيد أمين شلبي

توطئة: نبيل عياد

899



على الرغم من تعدد الكتابات عن الدبلوماسية والعمل الدبلوماسي، فإن القليل منها هو الذي يعالجها في ضوء المتغيرات التي لحقت بالعالم، وبشكل خاص الثورة المعلوماتية والتكنولوجية، فضلا عن التحولات الثقافية والسياسية والاقتصادية، الأمر الذي كان له أبلغ الأثر على مفهوم الدبلوماسية وأدائها. ومن هنا كانت الحاجة لكتابات تعيد تحديد المفهوم الحديث للدبلوماسية وتوضح ما هو مطلوب منها على المستويين النظري والعملى لكي تتلاءم مع هذه التغيرات. ونعتقد أن هذا الكتاب إنما يلبي هذه الحاجة، ويفي بمتطلبات العمل الدبلوماسي للقرن الواحد والعشرين ويحدد مفاهيمه ويقدم دليلا للمشتغلين به ويشرح كيف تغير العالم وما هو مطلوب من الدبلوماسي والنظرية الدبلوماسية للتوافق مع هذه التغيرات. كما يستمد قيمته من خبرة كاتبه في العمل الدبلوماسي في مجالات الدبلوماسية الثنائية والمتعددة الأطراف، وهي الخبرة التي واصلها على المستوى الأكاديمي بالتدريس في أكاديمية الدراسات الدبلوماسية بجامعة ويستمنستر.

المشروع القومي للترجمة

الدبلوماسية الفاعلة

تأليف : بيتر مارشال

ترجمة : أحمد مختار الجمال

مراجعة وتقديم : السيد أمين شلبي

توطئة : نبيل عياد



٢٠٠٥

المشروع القومي للترجمة
إشراف : جابر عصفور

العدد : ٨٩٩

- الدبلوماسية الفاعلة
- بيتر مارشال
- أحمد مختار الجمال
- السيد أمين شلبي
- نبيل عياد
- الطبعة الأولى : ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

Positive Diplomacy

by : Sir Peter Marshall

© Sir Peter Marshall 1997, 1999

Foreword © J.E. Spence 1997

This title was originally published by

Palgrave Macmillan Ltd

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

11	توطئة
13	تقديم المراجع
17	تصدير: جاك. إ. سبنس
21	تمهيد: سير بيتر مارشال
27	مقدمة: العمل كهدف نهائى للدبلوماسية
29	القدرة على صنع السياسات
30	إطار لبناء القدرة على وضع السياسات
32	بناء الكتاب
33	تعليق ختامى
	١ - الدبلوماسية: وليدة الأزمنة المتغيرة :
	الدبلوماسية وليدة زمانها: الدبلوماسية "القديمة" والدبلوماسية "الجديدة".
39	سلسلة من "الغزوات" للجبهة السياسية
40	(أ) الغزو الاقتصادى
42	(ب) غزو "الاهتمام والمشاركة الشعبية"
43	(ج) غزو "الحكم الذاتى وتفكيك الاستعمار"
45	(د) غزو "حقوق الإنسان"
45	(هـ) الغزو "الاجتماعى"
46	(و) غزو "القضايا الجديدة وخاصةً حماية البيئة"
47	(ز) غزو "تكنولوجيا المعلومات"
48	(ح) غزو "تعدد الفاعلين"
49	أبعاد التحول من الدبلوماسية "القديمة" إلى الدبلوماسية "الجديدة" ...

٢ - طبيعة المجتمع الدولي اليوم :

- 54 "ما بين الحكومات" و"ما بين الدول"
- 56 الشؤون الخارجية والداخلية
- 57 عصر الرجل العادي والمرأة العادية
- 59 (أ) بؤرة صنع السياسات
- 60 (ب) حقوق الإنسان
- 61 (ج) المؤسسات الديمقراطية
- 61 (د) المشاركة فى صنع السياسة الخارجية
- 62 (هـ) مستوى المعيشة والتنمية البشرية
- 65 (و) الأصولية والقدرة على استيعاب التغيير
- 66 الضغط الواقع على الحكومات لإرضاء جماهير ناخبها
- 67 نظام عالمى جديد أم فوضى؟
- 69 "الديمقراطيات الليبرالية لا تحارب بعضها البعض"

٣ - السيادة الوطنية وحدودها :

- 73 السيادة فى الداخل
- 78 السيادة فى علاقتها بأصحاب السيادة الآخرين
- 81 السيادة فى النظام الدولى
- 85 هل هى أخلاقيات عالمية جديدة ؟
- 88 السيادة وحدودها

٤ - الأمم المتحدة :

- 91 جوهر الأمم المتحدة
- 93 المبادئ الستة التى تركز عليها الأمم المتحدة
- 96 "مواد التهرب" فى الميثاق
- 97 الأعوام الخمسون الأولى: تقييم

- 100 حفظ السلام فى ظروف متغيرة
هل هى صفقة جديدة؟ الدبلوماسية الوقائية وصنع السلام وحفظ
- 102 السلام وبناء السلام
- 103 إعلان العيد الخمسينى للجمعية العامة
- 105 إصلاح البوييل الذهبى
- 107 المسئولية النهائية

٥ - الاقتصاد العالمى :

- 110 العولة "الأولية" و"الثانوية"
- 113 التحول المؤسسى: إدارة الاقتصاد العالمى
- 114 إنجازات جولة أوجواى ومهام منظمة التجارة العالمية
- 117 السياق العام لمولد منظمة التجارة العالمية
- 117 (أ) البعد الاقتصادى
- 120 (ب) البعد الاجتماعى
- 121 (ج) بعد الهجرة
- 122 (د) بعد الدولة النامية
- 127 (هـ) البعد البيئى
- 127 (و) البعد الأمنى
- 128 ضمان التعاون الدولى الفعال: إعادة تأكيد
- 130 الحكم العالمى الرشيد

٦ - هندسة العمارة الأوروبية :

- 134 الطبيعة المتغيرة للمركزية الأوروبية
- 137 (أ) الهوية الأوروبية: كونجرس أوروبا
- (ب) إعادة الإعمار الاقتصادى: مشروع مارشال ومنظمة التعاون
- 139 الاقتصادى الأوروبى
- 140 (ج) البحث عن الأمن: حلف الأطلنطى واتحاد غرب أوروبا
- 142 (د) التكامل الأوروبى: الجماعة الأوروبية والاتحاد الأوروبى

145 (هـ) معاهدة ماستريخت
148 (و) التوسع: المنطقة الاقتصادية الأوروبية
151 (ز) التحام أوروبا معاً بعد الحرب الباردة
155 الاتحاد الأوروبي والعالم
156 عمل لم يتم
157	ملحق للمحاضرة السادسة: اتفاقية السلام للبوسنة والهرسك
158 اتفاقية السلام
160 اتفاقية السلام وهندسة العمارة الأوروبية
162 اتفاقية السلام والاقتصاد العالمى
	اتفاقية السلام والأمم المتحدة من سراييفو إلى
163 سراييفو

٧ - صنع السياسة الخارجية:

168 العوامل التنفيذية والفنية فى صنع السياسة الخارجية
169 (أ) أساسيات السياسة الخارجية
170 (ب) قائمة "الفاعلين"
172 (ج) دور وسائل الإعلام
174	(د) الرأى العام باعتباره عاملاً فى عصر الرجل العادى والمرأة العادى
176 (هـ) كيف يمكن للخدمة الدبلوماسية المحترفة أن تتوافق ؟
177 (و) نطاق العمل "المستقل ذاتياً"
178 (ز) السياسات والإستراتيجية
	السياسة الخارجية: أربعة أمثلة :
180 (١) مذكرة أير كراو
181 (٢) خطبة مستر ريكفيند فى شاتام هاوس فى ٢١ سبتمبر ١٩٩٥
184 (٣) خطاب الملكة فى افتتاح البرلمان فى ١٥ نوفمبر ١٩٩٥

185 (٤) النتائج الرئاسية الصادرة فى نهاية اجتماع المجلس الأوروبى فى مدريد فى ١٥ و ١٦ ديسمبر ١٩٩٥

٨ - تنظيم الخدمة الدبلوماسية

191 المقارنات والفرص الخدمه الدبلوماسية البريطانية: التكاليف ومستويات التوظيف،
192 بعض المعايير لتنظيم الخدمة الدبلوماسية
192 (أ) قياس الجهد الدبلوماسى المحترف
193 (ب) التغطية
194 (ج) التوازن بين الجهود فى الداخل والجهود فى الخارج
196 (د) الاتصالات

عوامل الإدارة :

199 (هـ) الاختيار والتدريب
200 (و) شروط وأحوال الخدمة
201 (ز) الموظفون المعينون محلياً
202 (ح) السلك الدبلوماسى
203 (ط) الجهاز المادى
204 (ى) تكنولوجيا المعلومات
205 (ك) العامل الأسمى
207 الاتجاهات المستقبلية فى منظمة الخدمة الدبلوماسية

٩ - اكتساب المهارات الدبلوماسية: الصياغة :

209 الدعوة والكلمة المكتوبة
211 المضمون
213 الشكل

215 (أ) القرارات
216 (ب) البيانات المشتركة والإعلانات
217 (ج) محاضر الجلسات
218 (د) السجلات
219 (هـ) الأسلوب
220 (و) الجهد الجماعى

١٠ - العقد الدبلوماسى (أو عشر قواعد للدبلوماسية)

224 (١) لابد من وجود طرفين حتى يتم التفاوض
225 (٢) المشكلة المؤجلة يمكن أن تكون مشكلة قابلة للحل
226 (٣) لكل شىء تاريخ طويل
	(٤) نظرية الاضطراب فى السياسة هى دليل أفضل بوجه عام من
228 نظرية المزامرة
229 (٥) فكر فى الالتفاف حول المشكلة بقدر ما تفكر من خلالها
231 (٦) الدبلوماسية لها طابع إنسانى وليست مجرد نشاط ذهنى
233 (٧) يجب أن تكون مستعدا لإحلال الالتزام محل الانعزال
	(٨) أحبب ما تحصل عليه بدلا من أن تسعى دائما إلى الحصول
234 على ما تحب
236 (٩) لا تنسق وراء زخارف الحياة الدبلوماسية
237 (١٠) "فضلا عن أى شىء آخر، لتكن صادقا مع نفسك"
239 الهوامش
250 المراجع
256 اختصارات

توطئة

لم يمر وقت على الإنسانية دون معرفتها بالدبلوماسية أو حاجتها إليها ولو تحت مسميات وألقاب أخرى . فالعمل من أجل السلام والأمن والازدهار حاجة وحلم دءويان ، وحاجتنا في العالم العربي ، بل العالم قاطبة إلى الدبلوماسية الناجحة الخلاقة ماسة وملحة . ولا يخلو الوطن العربي - وكذلك العالم - من دبلوماسيين أكفاء وأفذاذ ، لكن الاستشراف والتخطيط والتضافر عوامل غير متوافرة دائما ، ويأتى هذا الكتاب بتضافر مؤلفه ومقدمه ومرجمه ليساهم فى جهد مبارك لخير الإنسانية والوطن العربي الذى قدم الكثير لخير تلك الإنسانية وأمنها ورفاهها عبر رحلته الحضارية العمرانية الفكرية ، وعبر أجيال من دبلوماسييه البارعيين .

وإذ نتطلع نحو آفاق من التحديات يرهص بها عالم اليوم المدلهم والواعد نتطلع أيضاً إلى جيل جديد من دبلوماسيينا يخرزن حكمة أساتذته ويعى تيارات المعاصرة ويتزود للمستقبل بصيرة وعلما وكفاءة ومهارات . وبقينا أن ذلك هو ما حدا بالمرجم الفطن سعادة السفير الدكتور أحمد مختار الجمال إلى النهوض بمهمة تقديم هذا العمل إلى قراء العربية على صعوبة الترجمة التى ذلل قيادها وألان عريكتها بتقديم نص عربى رائق وسلس .

وإن كان لى من كلمة موخزة عن مؤلف الكتاب ، الصديق الكريم السير بيتر مارشال ، فهو بالإضافة إلى كونه قطبا لصداقة جمعتنى به ما ينيف على عشرين عاماً فهو قطب دبلوماسى مرموق فى بلاده مثلها خير تمثيل وأصدقه على أرفع المستويات وأرفهها حساسية يشهد بذلك سجله المهنى وإسهامه فى تطوير عدد كبير من المنظمات الدولية والإقليمية ، ذلك الفيض الذى أثاره بسجل أكاديمى كان لأكاديمية لندن الدبلوماسية كان لها شرف التعرف باكرا إلى قدرات السير بيتر وخبراته ومهاراته الفريدة ماهرة بشخصيته الأخاذة الموحية فدعته إلى إلقاء سلسلة من المحاضرات القيمة التى ازدادت تألقا وقيمة عبر السنين بهتمته وبفضل القرب من طلاب الأكاديمية

الذين ما فتئوا عاما بعد عام يمثلون الأسرة الدولية بأعدادهم وأعراقهم وأمالهم ، والذين كان للأكاديمية فرصة تعريفهم بتاريخ الدبلوماسية وأجهزتها ومتطلباتها في أطرها العالمية والإقليمية والوطنية المتشابكة وتزويدهم بالمعلومات والمهارات الآنية والمستقبلية بما فيها علم الإدارة وتقانة المعلومات التي كان للأكاديمية لندن السبق في إدخالهما مع مساقات أخرى متعددة ضمن منهج الدراسات الدبلوماسية .

من بوتقة تلك التجربة تبلورت تلك المحاضرات التي هي عماد هذا الكتاب الذي بات مرجعا أساسيا لطلابنا وللعديد من طلاب الدراسات الدبلوماسية بل ولمارسياها ، ولبن فانتة فرص الاستماع إلى محاضرات السير بيتر والاستمتاع بها والاستفادة منها ، ففي صفحات هذا الكتاب الكثير من حكمة مؤلفه المتكاتفه مع حكمة أجيال من الدبلوماسيين الحكماء والمستفيدة من أخطاء غير الحكماء منهم ، أو من الساسة الذين لم ينهلوا من نصح سفرائهم وتوصياتهم ، كما يتفوق الكتاب ويتفرد بعرضه الحصيف الشيق لطبيعة الدبلوماسية الجديدة وما تعرضت له من "غزوات" ثمينة على الدبلوماسي أن يلم بها ويفيد منها في إطار عالم متغير وضمن مؤسسات ومنظمات عالمية وإقليمية سياسية واقتصادية أفرد المؤلف لبعضها (كالأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي) حيزا مستقيضا بالضرورة بالإضافة إلى مفاهيم محورية كالسيادة الوطنية والقانون الدولي تعطى الكتاب مع تفصيله لتاريخ الدبلوماسية ومؤسساتها وأجهزتها بعدا فكريا ونظريا مهما تتضاعف أهميته مع تلك الأقسام التي تعنى بالجانب العملي كصنع السياسة الخارجية واكتساب المهارات الدبلوماسية وإرساء "القواعد العشر" عظيمة الفائدة في كل ممارسة دبلوماسية يومية ، بل وكأسلوب حياة .

إن تضافر تلك المزايا التي توليها أكاديمية لندن جل الاهتمام منذ تأسيسها حريصة على إقامة توازن ، بل تناغم بين النظرية والتطبيق والتأريخ والاستشراف يجعلني أحتفى بهذه الترجمة التي تقدم لدبلوماسيينا العرب الناشئين ولقراء العربية عامة مخزونا من المعرفة والتجارب والنصائح مهمورا بأسلوب شيق أدبي وروح رائقة متفائلة مرحة تجعل من هذا الكتاب مدخلا لا غنى عنه إلى دبلوماسية إيجابية فاعلة .

نبيل عياد

مدير أكاديمية لندن الدبلوماسية

جامعة وستمنستر

تقديم المراجع

على الرغم من تعدد الكتابات عن الدبلوماسية والعمل الدبلوماسي، إلا أن القليل منها هو الذى يعالجها فى ضوء التغيرات التى لحقت بالعالم، وبشكل خاص الثورة المعلوماتية والتكنولوجية، فضلا عن التحولات الثقافية والسياسية والاقتصادية، الأمر الذى كان له أبلغ الأثر على مفهوم الدبلوماسية وأدائها. ومن هنا كانت الحاجة لكتابات تعيد تحديد المفهوم الحديث للدبلوماسية وتوضح ما هو مطلوب منها على المستويين النظرى والعملى لكى تتلاءم مع هذه التغيرات. ونعتقد أن هذا الكتاب الذى بين يديك إنما يلبي هذه الحاجة، ويفى بمتطلبات العمل الدبلوماسى للقربن الواحد والعشرين ويحدد مفاهيمه ويقدم دليلا للمشتغلين به ويشرح كيف تغير العالم وما هو مطلوب من الدبلوماسى والنظرية الدبلوماسية للتوافق مع هذه التغيرات. كما يستمد قيمته من خبرة كاتبه فى العمل الدبلوماسى (١٩٤٩-١٩٨٣) فى مجالات الدبلوماسية الثنائية والمتعددة الأطراف، وهى الخبرة التى واصلها على المستوى الأكاديمى بالتدريس فى أكاديمية الدراسات الدبلوماسية بجامعة ويستمنستر بلندن.

وفى البداية يستهدف المؤلف ابتكار إطار فكرى يساعد الدبلوماسيين على اكتساب القدرة على أن يسهموا، ليس فى تنفيذ السياسة الخارجية فحسب، وإنما فى تشكيلها أيضا، وهو يركز على تدريب الدبلوماسيين الشباب، وإن كان ينبه إلى أن هذا ليس بديلا عن الدراسة الأكاديمية الجادة لمادة الشؤون الدولية لأن الاثنين يتداخلان بشكل لا يمكن معه الفصل بينهما.

ويهتم المؤلف بأن يميز بين الدبلوماسية القديمة ذات الطابع النخبوى التى تتسم بالسرية والتي استمرت حتى نشوب الحرب العالمية الأولى، وكانت نتاج النظام الدولى الذى ظهر مع سلام وستفاليا عام ١٦٤٨ والتي ركزت على مسئولية القوى الأوروبية ونفوذ القوى العظمى، بحيث اختلفت عن الدبلوماسية الجديدة التى تتسم بالعلانية

والشعبية وتتأثر باتجاهات الرأي العام وتهتم بدور الحكومات فى إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وتأثير حجم الصفقات وسرعة الاتصالات.

ويعتبار أن الكتاب هو معالجة الدبلوماسية فى ضوء التغيرات التى لحقت بالعالم فإنه يولى أهمية للتغيرات التى طرأت على القرن العشرين وأثرت على الدبلوماسية وعلى التفاعل بين الأمم وساعدت على الانتقال من الدبلوماسية القديمة إلى الدبلوماسية الجديدة عبر سلسلة من الغزوات والقضايا الجديدة التى يحددها فى: تهديدات البيئة، والمخدرات والإرهاب والأمراض، وغزو التكنولوجيات، وتعدد العاملين الدوليين الذين أصبحوا جزءاً من إدارة العلاقات الدولية، حينما لم يعد الأمر يقتصر على الملوك والوزراء والدبلوماسيين المحترفين بل تعداهم إلى رؤساء الوزراء والوزراء بكافة تخصصاتهم، مما يعكس الاعتماد المتبادل بين الشؤون الخارجية والداخلية، ودخول هيئات ومؤسسات فى العملية الدبلوماسية مثل الهيئات التشريعية ولجان المعونات الخارجية والتعاون الدولى وجماعات المصالح والهيئات العلمية والأكاديمية.

وعلى الرغم من الدور المؤثر الذى يؤديه الفاعلون الجدد فى العملية الدبلوماسية، إلا أن ثمة ما يميز الدبلوماسية المحترف عنهم، أن لديه واجب أعلى فيما يتعلق بتقديم المشورة الدالة على الولاء وغير المتحيزة لوزير الخارجية وغيره من الوزراء كما أن عليه مسئولية فريدة فيما يتعلق بتنفيذ السياسة بعد إقرارها.

وفى رأى المؤلف إن هذه الغزوات أثرت بعمق فى الدبلوماسية فى معانيها المختلفة ووسعت بشكل كبير مضمون الشؤون الدولية وغيرت من طبيعتها. ففىما كانت الدبلوماسية القديمة أشبه بالفن أصبحت الدبلوماسية الجديدة أشبه بمشروع تجارى وأصبح الدبلوماسى أشبه بخبير العلاقات العامة ومستشار المبيعات والمحلل الرسمى والشخصى وكاتب العمود الصحفى.

ولأن أى دبلوماسى يجب أن يكون ملماً بما تقوم به الأمم المتحدة وما يمكن حثها على أن تقوم به ، فإن المؤلف يرصد تطور التنظيم الدولى من عصبة الأمم إلى الأمم المتحدة ويعتبره مشروعاً كان يمكن أن ينهار لو لم يكن قد تم تصوره بشكل سليم. ولهذا فهو لم يستمر على قيد الحياة فحسب بل إن الدول الأعضاء قد تزايدوا أكثر من ثلاث مرات. ورغم العديد من الحروب فى السنوات الخمسين الأخيرة إلا أنه أمكن

تجنب كارثة نشوب حرب ثالثة على نطاق الحربين العالميتين الأولى والثانية. ويستخلص المؤلف فى تقييمه للتنظيم الدولى إلى أنه لا ينبغي أن ننكر على الأمم المتحدة بعض الفضل على هذه النعمة كما لا يجب أن نعزو كل الفضل للأمم المتحدة، وأنه ليس من الحكمة أن نفترض أن المجتمع الدولى يمكن أن يستغنى عن الأمم المتحدة فى القرن الواحد والعشرين. وهنا يذكر المؤلف بعض الإنجازات المهمة للأمم المتحدة مثل دورها فى مجال عمليات حفظ السلام.

وباعتبار الدور الذى قامت به أوروبا عبر تاريخها فى صياغة الدبلوماسية الدولية، فقد كان من الطبيعى أن يركز المؤلف على ما يسميه " هندسة العمارة الأوروبية ما بعد الحرب "، وأن يعتبرها أحد الظواهر المؤسسية التى لا بد أن تدخل فى حسابان الممارس الدبلوماسى اليوم، وهو يعتبر أن هذه الأهداف قد اعتمدت على ثلاث دعائم هى البحث عن الهوية والبحث عن الأمن والفلسفة التى قام عليها التكامل الأوروبى وبناء الجماعة الأوروبية ثم الاتحاد الأوروبى.

وباعتبار الاقتصاد العالمى مظهرا مؤسسيا لاهتمام الدبلوماسيين فإن المؤلف يسجل مفارقة يجب التوقف عندها ، فبينما أصبح العالم خاصةً بعد انهيار الاتحاد السوفيتى يتجه باطراد نحو آليات السوق، إلا أن الثقة فى تأثير قوى السوق تتعرض لهجوم متزايد، كما ينبه إلى ارتباط التعاون الأمنى بالتعاون الاقتصادى وأهمية إدراك التفاعل بينهما .

وقد حرص المؤلف على مخاطبة المشتغلين بالدبلوماسية وصاغ لهم عشر قواعد للسلوك والعمل الدبلوماسى وهى تمثل خلاصة خبرته الدبلوماسية. كما يثير المؤلف سؤالاً حاسماً وهو : هل يصنع الدبلوماسيون السياسة الخارجية أم ينفذونها ؟ وهو يجيب على هذا السؤال بأن الدبلوماسيين المحترفين هم أبعد ما يكونون عن الاستمتاع باحتكار تشكيل وتنفيذ السياسة الخارجية. أما دورهم المميز فهو مسئوليتهم عن أداء عملهم بأكبر قدر ممكن من الكفاءة . ونود أن نعلق على هذا الاستخلاص الذى ذهب إليه المؤلف بأنه رغم أن من التعريفات التقليدية الدبلوماسية أنها " إدارة تنفيذ السياسة الخارجية"، إلا أننا نعتقد أن الدبلوماسى المحترف بما يقدمه من معلومات وتحليلات لحكومته إنما يسهم كذلك فى تشكيل قراراتها ومواقفها الخارجية .

ويشير الكتاب قضيةً في غاية الأهمية تتصل بمعنى من المعانى بهذا السؤال الأخير، وهو هل أثرت التطورات الأخيرة التي لحقت بالدبلوماسية نتيجة ثورة الاتصالات ودخول فاعلين جدد فى العملية الدبلوماسية على أهمية وضرورة الدبلوماسية، والتي جعلت الرؤساء ووزراء الخارجية يتصلون بعضهم ببعض مباشرة، بل ويصلون إلى تفاهات دون حاجة إلى مبعوث دبلوماسى؟ ويحسم المؤلف هذا التصور فيصفه بأنه "مضلل إلى حد كبير"، فما هو مهم ليس هو التطورات الخارجية ولكن المهم هو تحليلها وتفسيرها وبيان تأثيرها على مصالح الدولة، كما أنه ليس من المهم تالِق لقاءات الرؤساء فيما يعرف بمؤتمرات القمة ولكن المهم هو مدى الإعداد المسبق لهذه المؤتمرات، وأكثر من هذا متابعة قراراتها، وهو ما لا يمكن أن يقوم به إلا الدبلوماسى المحترف والمقيم. واتصالا بهذا المفهوم يرى المؤلف أن اتصالات وزيارات وزراء الخارجية ليست استيعادا أو تخطيا للسفراء بل هى فى الحقيقة تنويجا وإثرا لعمل السفير وشاهدا على جهوده الدائبة فى دفع علاقات البلدين.

ونبه الكتاب إلى حقيقة جوهرية فى تطور الدبلوماسية وشحذ قدراته وإثبات كفاءته، ألا وهى التدريب الذى لا يجب أن يقتصر على فترة واحدة فى تاريخ الدبلوماسية وإنما هو عملية يجب أن تمتد طوال مدة خدمته، وهو ما يفسر إنشاء الكثير من وزارات الخارجية لمعاهد دبلوماسية لتدريب دبلوماسييها ليس فقط فى مراحلهم الأولى بل والمراحل المختلفة لخدمتهم الدبلوماسية.

وأخيرا فإن أهم ما يميز الطبعة العربية لهذا الكتاب - إلى جانب الترجمة الدقيقة المحترفة - أنه قد توفر لها مقومات العمل المتكامل، فالمؤلف والمترجم والمراجع سفراء أمضوا حياتهم المهنية فى الممارسة الدبلوماسية واكتسبوا خبراتها، وعملوا فى أهم عاصمتين (دبلوماسية وسياسيا) وهما لندن وواشنطن، وجمعوا مع هذا الدراسة الأكاديمية والكتابة فى قضايا العلاقات الدولية فضلا عن تدريس الدبلوماسية فى المعاهد والأكاديميات المتخصصة.

ولهذا نأمل أن يمثل الكتاب إضافةً للمكتبة العربية وأن يكون مرجعا وعونا للمشتغلين بالعلاقات الدولية بوجه عام وبالدبلوماسية على وجه أخص.

السيد أمين شلبي

المعادى : يونية ٢٠٠٥

تصدير

تحتاج النهضة التي شهدتها الدراسات الدبلوماسية في الجامعات البريطانية إبان السنوات العشر الأخيرة (يشير المؤلف إلى الفترة من ١٩٨٧ إلى ١٩٩٧- المترجم) إلى بعض الإيضاحات. ففي خلال الحرب الباردة أدى الخلاف الأيديولوجي والأثر المحبط لميزان الرعب وتجميد الوضع الراهن، إلى خلق مناخٍ معادٍ للمفاوضات من أجل تسوية خلاقة شاملة للمنازعات السياسية التي أحدثت انقسامات بين الدول العظمى وحلفائها. صحيحُ أن الأزمات تشعبت - في كوبا وبرلين والشرق الأوسط ، إلا أن الدبلوماسية البارعة أدت دورها في التخفيف من أسوأ آثارها. ومن المفارقات أن المجال الذي كانت فيه الدبلوماسية فعالة كما تمثلت في التفاوض حول اتفاقيات الحد من السلاح، حيث نشأ تطابق في المصلحة في تجنب الحرب التي تشبب إما بالصدفة أو عن عمد، قد أدى إلى نتائج مهمة. ولكن ما عجزت الدبلوماسية عن عمله - بغير تقصير من ممارستها - كان تحقيق إنجاز كبير في نزع السلاح. وكان مستوى التوتر وعدم الثقة عالياً بحيث لا يسمح بهذه الميزة.

ومع هذا فمع نهاية الحرب الباردة وتسليم كل العالم تقريباً بأن التعددية الديمقراطية والسوق الحرة هي لبنات البناء لنظام عالمي جديد ومستقر، فإن الدبلوماسية بعد أن تحرر من قيود الدفاع عن المصلحة القومية وتأكيداتها في سياق من الحرب الباردة، كان عليه أن يؤدي وظيفته في عالم قائمٍ على الاعتماد المتبادل الذي بدأ يتشكك بشكل متزايد في مفهوم السيادة وواقعية الحدود الوطنية. فالدبلوماسية - كما يقول سير فيكتور ويلسلي - لم تعد مكبلة بالأغلال، وممارسوها - كما يؤكد بحق سير بيتر مارشال - عليهم أن يتعاملوا، ليس مع المعاني الضمنية السياسية والاجتماعية لاقتصاد كوكبي فحسب وإنما أيضاً - ضمن أشياء أخرى - مع قضايا حقوق

الإنسان والبيئة والجريمة الدولية. وهذه المهمة معقدة بسبب انتشار تكنولوجيا المعلومات فى كل مكان وظهور حشد من الفاعلين الدوليين الجدد يتراوحون بين الشركات متعددة الجنسيات إلى منظمات الإغاثة الإنسانية.

ولهذا على الدبلوماسى الحديث أن يكون مثقفا بل متعدد الثقافات. فضلا عن مهارات التفاوض التقليدية والفضائل التقليدية فى التحضر وضبط النفس، على الشاب المستجد فى السلك الدبلوماسى لاية دولة أن يكتسب فهما عميقا لمناطق الخبرة الفنية والتي لم يكن على من سبقوه من الدبلوماسيين أن ينقبوا عنها أو يفكروا فيها بعمق". (ويلسلى). وفى هذا السياق فإن كتاب سير بيتر مارشال لديه الكثير مما يسهم به. إنه الشخص الاستثنائى أو الدبلوماسى الذى تحول إلى باحث اهتم بأن يتأمل فى خبرته باعتباره ممارس متميز على أمل أن يعد جيلا جديدا إعدادا أفضل للتعامل ، ليس مع عالم "البرقيات والغضب" فحسب، ولكن أيضا مع عالم يمر فى الوقت نفسه بتحول اجتماعى واقتصادى.

ويعترف سير بيتر عن طيب خاطر، بأنه فى أيامه لم يكن هناك الكثير المتاح من "الإرشاد النبوى" للدبلوماسى المبتدئ. فقد نشأ جيله - مثل نظيره الجيل الأكاديمى - على النصوص الكلاسيكية لهارولد نيكلسون Harold Nicolson، وكان بعض ذوى الفطنة يعتمدون على كتابات منظر القرن السابع عشر فرانسوا دي كالير François de Callières، التى أحيها فى السبعينات من القرن العشرين زميلى السابق فى جامعة ليستر، موريس كينزسوير Maurice Keens-Soper وزميله الكندى كارل شوايزر Karl Schweizer .

واليوم ، فإن العدد الكبير من مديرى برامج الدراسات الدبلوماسية وما يستتبعه ذلك من زيادة المطبوعات العلمية يعتبر شاهدا كافيا على شعبية الموضوع وكذلك على الاعتراف بالحاجة إلى تدريب رسمى فى فن الدبلوماسية. وهذان التطوران هما استجابة جزئية للطبيعة المتغيرة للمشروع الدبلوماسى وتسليما بأن دبلوماسية متقدمة تجمع بين المهارات التقليدية والفهم الفنى هى أمر جوهري ليصبح العالم مجتمعا دوليا أكثر تسامحا ومدنية. إن الميزة الكبرى لكتاب سير بيتر مارشال هى أنه يجمع بين

عرض تفصيلي لعمل الدبلوماسية وبين شرح لكيفية تغير العالم وما هو مطلوب لكي يمكن للنظرية الدبلوماسية والممارسة الدبلوماسية أن تتوافق بنجاح مع هذه التغيرات. وفي هذا الصدد، فإن كتاب "الدبلوماسية الإيجابية" هو أكثر من مجرد دليل تعليمي، فالفطنة والأناقة يوحيان بشكل موفق بالتحليل الرائع. ولاشك أن الدبلوماسيين الطموحين والممارسين الحاليين (ورؤسائهم السياسيين)، فضلا عن أولئك الذين يسعون إلى فهم العلاقات الدولية بوجه عام، سيقروون هذا الكتاب ليحقق لهم المنفعة والمتعة.

جاك. إ. سينس

الزميل المشارك والمدير السابق للدراسات

بالمعهد الملكي للشئون الدولية بلندن

تمهيد

هذا الكتاب هو مجموعة من المحاضرات التي ألقى على شكل دورات استمرت سبع سنوات بالأكاديمية الدبلوماسية بلندن التابعة لجامعة ويستمنستر وقد صممت المحاضرات بحيث تشجع أولئك الذين التحقوا بالسلك الدبلوماسي أو الذين يطمحون للالتحاق به، لكي يتبعوا منهجا محترفا في تعاملهم مع العلاقات الدولية. والهدف الأساسي هو اكتساب القدرة على صنع السياسات. كما أن المقصود منها استكمال الدراسة الممتدة والمصارمة للشئون الخارجية التي يجب أن تشكل جزءا من تدريب أي دبلوماسي ، والتي تعتبر أيضا سمة متنامية للتعليم العالي بوجه عام.

وفي المملكة المتحدة يميل التدريب الرسمي الأولى إلى الاصطدام بسرعة بالتيار الوطني ، ومن ثم التعرض لعدم الرغبة وطنيا لتخصيص الموارد الضرورية له. وهناك عدد كبير من الدبلوماسيين نوى الخبرة، الذين لا تقتصر خبرتهم على التقاليد الأنجلوسكسونية النفعية، وهم يؤمنون بأن التدريب الوحيد الذي له قيمة حقيقية والذي يمكن لأي دبلوماسي أن يتلقاه هو التدريب أثناء العمل *on the job*. وبالطبع هناك ميزة كبيرة من مراقبة الأساتذة المحترفين وهم يعملون. وحتى عندما لا تكون هذه الميزة متوفرة بأبعادها الثلاثة، فإن البدائل ذات البعدين لها قيمتها. فسير الحياة وسير الحياة الذاتية وهما يمتزجان كما يحدث، وذكريات الماضي والنوادر مع التحليل (وإن كان يميل نسبيا إلى تفضيل العنصرين الأولين على حساب العنصر الثالث) تعتبر مصدرا ثمينا للدبلوماسي الشاب.

ومع هذا، فحتى لو خضع التدريب الرسمي منذ بداية الحياة الوظيفية لتقلص فوائده باطراد، فإن هذا ليس نهاية المطاف. فالحقيقة القائلة بأنه لا بديل عن الخبرة في ظهور رسام عظيم وتطور فنه، لا تعنى أنه لا مكان هناك لكلية الفنون. وحتى عندما

يكون الاستعداد الشخصي والموهبة والذوق على درجة عالية من التفوق، فإن الأسلوب technique ما زال المجال الثمر للقدرة على التعبير والدراسة الجماعية. وأولئك الذين اندمجوا في دراسة صارمة ونظامية للعناصر المختلفة لحرفة ما، يجب - إذا تساوت الأشياء الأخرى - أن يتمتعوا بميزة عن أقرانهم الذين لم يدرسوا. وتكمن المشكلة في كيفية وضع الحدود المفيدة لمثل هذا المدخل لعمل الدبلوماسية. وهذه الحدود ستختلف - كما سبق أن ألقينا - طبقا لضغوط الظروف السائدة والموارد المتاحة، وكذلك لمزيد من الخصائص الوطنية المتأصلة.

وعلى مستوى أكثر تفصيلا هناك مصدران للتردد بخصوص احتمال ترجمة ناجحة لمفهوم تنمية القدرة على تحويل السياسة إلى حلقة دراسية مستمرة. أولا: إلى أى مدى يحمل المجتمع الدولي اليوم خصائص مشتركة أو عالمية بالفعل تتعلق بالقوة الكافية والدوام بحيث تسمح بتقديم عرض واقعي شامل "لقدرة السياسة"، وليس إرشادات ونصائح جزئية تصوغها دول بعينها لتناسب احتياجاتها الخاصة؟ ثانيا : هل تختلف الدول اختلافا شاسعا بحيث لا يمكن للوصفة العامة لتنمية "مقدرة السياسة" إلا أن تخاطر بعدم الارتباط بالموضوع؟ فيما يتعلق بالسؤال الأول فإن الاعتماد المتبادل العالمى ومدى قيام الأعمال التجارية بعقد صفقاتها مع أطراف متعددة وليس ثنائيا - وبأساليب بذات ممارسة الأمم المتحدة الكثير لتوحيدها قياسيا - يعنى أن هناك مجالا كبيرا فى موضوع المادة والإجراءات مما يستثير اهتمام كل دبلوماسى تقريبا، بصرف النظر عن الدولة التى يمثلها. علما بأن الأرضية المشتركة واسعة ومتنامية. ودراستها فى بداية الحياة الدبلوماسية ليست مرغوبة فحسب ولكنها جوهرية. وفى "الدبلوماسية القديمة" التى طبقتها القوى الأوروبية قبل نشوب الحرب العظمى عام ١٩١٤ ظهر كم هائل من الموضوعات المادية الجماعية والمداخل المهنية الجماعية لها، بحيث اشتملت الأوضاع المتنوعة "للدبلوماسية الجديدة" للقرن العشرين على شبكة من الاهتمامات والممارسات المشتركة على نطاق العالم كله.

وبالنسبة للسؤال الثانى، فإن أية دولة مهما كان حجمها، ومهما كان مدى انغماسها الدولى ومهما كان قدر نشاطها الدبلوماسى المحترف، فإنها تواجه فى نهاية المطاف الحقائق المتعلقة بالمادة والعملية الدولية نفسها. وقد ابتكر أحد رواد الاقتصاد

البريطاني ويدعى ألفرد مارشال (وللاسف لا أستطيع أن أدعى أنه من أقبائى) أداة أسماها "المؤسسة الممثلة" وسيلة لدراسة حال الأوضاع فى أية صناعة بعينها أو سوق معين^(١). واستخدمت هذه الأداة بشكل خاص فى توضيح الاعتبارات التى يضعها المديرين والمنظمون الفرادى فى حسابانهم عندما يقررون مستوى إنتاجهم. وفى الدبلوماسية يختلف اختيار "المؤسسة الممثلة" طبقا للموضوع قيد البحث. ومع هذا فإن الدراسة الدولية للدبلوماسية فى لندن تقدم أمثلة عديدة حيث يمكن أن تعتبر المملكة المتحدة هى "المؤسسة الممثلة" بشكل معقول. إلى درجة أنه إذا تعذر أن تكون كذلك، فإن خبرة المملكة المتحدة وممارستها يمكن أن تكون ذات قيمة للدارس فى لندن عندما يصل إلى نتائج تتعلق ببلده.

وهناك عوامل أخرى تحبذ الدراسة الدولية للدبلوماسية فى لندن. أولا: الارتباطات بالكومنولث، بما فى ذلك الأساليب والتقاليد المشتركة، بالإضافة إلى أن التجربة البريطانية مناسبة للدبلوماسيين من دول الكومنولث الأخرى. ويبلغ عدد الدول الأعضاء فى الكومنولث ٥٠ عضوا. ثانيا: تعتبر بريطانيا من الدول القليلة التى شهدت مثل هذا التغيير الكبير فى وضعها الدولى سواء بشكل نسبى أو مطلق خلال القرن العشرين. والقوى التى تعمل فى هذا التغيير الكبير تستحق الدراسة، وكذلك الخلفية العامة التى تتاح لصنع السياسات فى الأحوال الحديثة وما توفره من فهم عميق لاندماج بريطانيا فى الشؤون العالمية.

والدبلوماسية، كما أكدت هذه المحاضرات، هى مسألة جماعية. وينطبق الشيء نفسه على التدريب. ويعتبر رد فعل الدارسين أمرا حيويا فى التكيف المستمر للحلقات الدراسية المنتظمة والبرامج المتخصصة. فما يتعلمه الدارسون من بعضهم البعض قد يكون فى أهمية ما يتعلمونه من الجلسات الأساسية فى قاعة المحاضرات. وما يقدمونه من تعليقات على محتوى الحلقة الدراسية ونظامها يعتبر مرشدا لا محيص عنه فى تشكيل المنهج الدراسى.

ومهما كانت الصعوبات وأوجه النقص فى التدريب الدبلوماسى، فإن هناك اعتبارا عاما يؤثر فى صالح الاستمرارية ويتمثل فى تعقد الاعتماد المتبادل الحديث وما يتبعه

من تعقد صنع السياسة الخارجية. فالعالم فى حاجة إلى سياسة خارجية حكيمة وحذرة ومسئولة من كل حكومة. ومن الممكن التوصل إلى ذلك إذا تلقى الدبلوماسيون تدريباً مناسباً. ويدور هذه الأيام حديث طويل عن ضرورة "الحكم الرشيد"^(٢) وهو مصطلح شامل يمتد بطريقة أو بأخرى إلى النطاق الكامل للشئون العامة، ويؤكد الخضوع للمحاسبة الإدارية والديموقراطية. وفى عالم قائم على الاعتماد المتبادل فإن النقاش ينطبق بشكل مباشر على إدارة السياسة الخارجية بقدر ما ينطبق على السياسة الداخلية.

٣ وهناك اعتبار شخصى شجعنى أيضاً على أن أواظب على هذه المحاضرات. فعندما التحقت بالخدمة الخارجية البريطانية عام ١٩٤٩، على عكس الموقف السائد اليوم، لم ألتق أى تدريب أساسى من أى نوع. فلم تكن هناك أية آلية لمثل هذا التدريب، فيما عدا فى مجال مهم هو اللغات "الصعبة". وكان علينا أن نخوض فى حمام السباحة من جانبه العميق. وعندما عينت لأول مرة بعد عدة سنوات فى منصب رئيسى مشرفاً على الشئون المالية والإدارية فى إحدى البعثات الدبلوماسية فى الخارج - وكانت فى بغداد - لم يكن هناك أى إرشاد بنيوى عما هو متوقع منى. ومع هذا ففى ذلك الوقت ظهر كتاب بعنوان وزارة الخارجية البريطانية The Foreign Office أعده لورد سترانج Lord Strang وكان وكيلاً دائماً لوزارة الخارجية وأحيل إلى المعاش منذ مدة قصيرة^(٣). ومن صفحات هذا الكتاب استطعت أن أكون فكرة دقيقة، وإن تكن مخيفة، عما يحتويه. وتعلقت بوجه خاص بحكم لورد سترانج بأن المشرف على الشئون المالية والإدارية للبعثة "هو رجل مشغول دائماً ويتعرض أحياناً للمضايقات". ومع انغماسى فى الواجبات الملقاة على عاتقى فى بغداد فإن حقيقة هذا القول فرضت نفسها علىّ. وعند عودتى إلى منزلى فى نهاية يوم عمل لم يكن على زوجتى إلا أن تسمع إشارة منى إلى "سترانج"، لتفهم أن هناك حاجة لتناولى المقويات المعتادة.

ولا يوجد فى أى ميدان للجهود المهنية أهمية أكبر للتعلم من الآخرين كما فى الدبلوماسية. فالقدوة والتشجيع يحتلان لب الفعالية الدبلوماسية. وجوهر ما تسعى هذه المحاضرات إلى نقله يكمن - بمعنى ما - فى الملكية المشتركة لكل الممارسين الدبلوماسيين. إننى أشعر بامتنان كبير لزملائى فى الخدمة الدبلوماسية البريطانية،

ولزملائى فى الأمانة العامة للكونوث، الذين يخدمون فى مؤسسة من أكثر مؤسسات العالم شحذا للخيال، وكذلك لزملائى فى الأمم المتحدة، سواء أكانوا أعضاء فى مختلف الأمانات العامة أم ممثلين لبلادهم، الذين يرون الولاء لقضايا وفرص الاعتماد المتبادل بمثابة مفتاح لخدمة مجتمع الدول والحكومات التى يختارونها.

وعلى وجه التحديد كم أشعر بامتنان خاص لجامعة وستمنستر، وللأكاديمية الدبلوماسية بلندن، التى استطاع مديرها الدكتور نبيل عياد أن يطور عبر السنين نموذجا متميزا من التدريب الدبلوماسى. إننى أشعر بأنى مدين بعمق للبروفسور جاك سبنس، مدير الدراسات بالمعهد الملكى للشئون الدولية بشاتام هاوس، لقيامه بقراءة النص وإسهامه بالتصدير. وأنتهز هذه الفرصة لأسجل امتنانى للمعهد الملكى للشئون الخارجية (شاتام هاوس) على ما أتاحة لى خلال سنتين حافظتين بالحوافز والمساعدات والتشجيع. وإن تكرار ذكر شاتام هاوس فى مراجع الكتاب بوجه خاص هو مؤشر لقيمة عمله من أجل المهنة الدبلوماسية.

كما أننى أشعر بامتنان شديد لمسز سالى مورفت بإدارة البحوث والتحليل بوزارة الخارجية والكونوث، فقد قرأت مسودة الكتاب وأبدت عددا من التعليقات الثمينة. وأشكر أيضا جزيل الشكر مستر إيان سوتار، رئيس إدارة المكتبة والسجلات بوزارة الخارجية والكونوث على المساعدة فى رؤية المسودة من خلال إطارها الرسمى، وكذلك على ما أبداه من ملاحظات مستنيرة فيما يتعلق بتطبيق تكنولوجيا المعلومات على الممارسة الدبلوماسية وهو ما قدمه فى الندوات السنوية لجامعة وستمنستر التى نظمتها الأكاديمية الدبلوماسية والرابطة الدبلوماسية بلندن.

لقد أعيد طبع الرسم الكاريكاتيرى بريشة لورنز فى فرونتيبيس بإذن كريم من مؤسسة مجلة نيو يوركر. وأشعر بامتنان لإيجل ستار للسماح بإعادة طبع إعلانهم، وكذلك لوايد ورك فوتوز للإذن باستخدام الرسم الكاريكاتيرى..

لقد قامت ألكسندرا ماكلويد بمكتب الأمم المتحدة ومركز المعلومات فى لندن بتقديم مساعدة عظيمة فى توفير وثائق الأمم المتحدة. وإننى أعبّر عن إعجابى الشديد بما أبدته من فطنة فى إخراج عدة مسودات مطبوعة للنص، وكيفية التعامل مع خط

اليد الذى وجد البعض صعوبة فى فك رموزه دون مبرر، وفى مرحلة تالية قدمت مس
جو نورث أعظم مساعدة فى تنقيح المسودة وإعداد الكشاف فى نهاية الكتاب.

ومن الطبيعى أنتى أعفى أولئك الذين ساعدونى من أية مسئولية عن أوجه النقص
فى هذه المحاضرات، وأملى أنه حتى لو اعتور المحاضرات بعض القصور، فستحظى
باهتمام واستخدام أولئك الذين يخدمون المهنة بأى صفة من صفاتها العديدة.

بيتر مارشال

لندن

مقدمة: العمل كهدف نهائى للدبلوماسية :

تحظى الشؤون الدولية بحق باهتمام عميق من قبل الجماهير والتغطية الإعلامية. وهى تحظى بحق أيضا بدراسات واسعة ومتعمقة فى الجامعات. ومع هذا فإن المتابعين للشؤون الدولية بأساليب مختلفة إنما يفعلون ذلك بوجه عام من منظور فحص ما يفعله الناس. ومن جهة أخرى، فإننا باعتبارنا دبلوماسيين محترفين فإننا نهتم بما يفعله نحن. وعلى الرغم من أن هذا لا يقلل بأى حال من أهمية دراسة الشؤون الدولية، إلا أن الأمر يتطلب منا أن نستخدم مدخلا مختلفا إلى حد ما للتوصل إلى سلسلة الظواهر نفسها. وسيظل شعارنا هو قول أرسطو المأثور: "إننا ندرس السياسة ليس من أجل المعرفة ولكن من أجل العمل".

وإذا كانت الأولوية هى فى إنجاز الأشياء فإن التوازن بين ما يريد الإنسان بشدة أن يفعله وما يرجح أن يكون قادرا على تحقيقه هو على درجة كبيرة من الأهمية. وكلما كانت الوسيلة التى يعمل من خلالها الإنسان مركبة، كلما ازدادت أهمية تأثير هذا التوازن. فالشؤون الدولية أكثر تعقيدا فى طبيعتها من الشؤون الداخلية لأن الوسيلة مركبة وغير مألوفة. وليس من قبيل المصادفة أن كلمتى "خارجى" foreign و"غريب" strange مترادفتان (وهما بمعنى أجنبى أيضا بالإنجليزية - المترجم) ولا ينطبق نص قانون النتائج غير المقصودة على شىء مثلما ينطبق على إدارة العلاقات الدولية.

ويقال أحيانا إن السياسة الخارجية تنور حول ما تفعله وأن الدبلوماسية تدور حول كيف تفعله. وهذا تبسيط للأمور. والواقع أن كيف تفعل الشىء قد يحدد - إلى حد كبير - ما تفعله. والطريقة التى تتفاعل بها الدول تحكمها فقط مادة الشؤون الدولية بمعنى الهدف، أو الجوهر الصافى للمواقف والمصالح القومية، إذا أمكن حقا استنباط هذا الجوهر من عالم الواقع. ويحكم هذه الطريقة أيضا طبيعة المجتمع الدولى، وأسلوب

سلوك الدول والأسلوب الذي تتبعه في تنظيم (أو عدم تنظيم) معاملاتها مع بعضها البعض. فالجوهر والعملية مرتبطان حقا ارتباطا لا فكاك منه. فالعملية تؤثر في الجوهر كما أن اللغة تؤثر في الفكر. وأي شخص يعمل محترفا في إدارة الشؤون الدولية لا يمكن إلا أن يركز باهتمام شديد على إجادة العملية بدرجة إجادته للجوهر نفسها.

ويقال أيضا إن الفرق بين الإدارى والمدير هو أن الإدارى يحافظ على سير الأمور، بينما المدير هو الذى يسيّر الأمور. وعلى الرغم من أن النقد يمكن أن يوجه إلى هذا التعريف باعتباره تبسيطا مخلًا للأمور إلا أنه فى حقيقة الأمر يعتبر تمييزا له قيمة عملية. فكثير من الجدل حول الدبلوماسية يقوم على أساس أنها أقرب إلى عمل الإدارى وليس عمل المدير. وهناك جمل مثل "العلاقات الدولية"، و"الممارسة الدبلوماسية"، و"البروتوكول"، و"القانون الدولى" لها رنين ساكن، بل وسلبى. وقد يكون هذا مفيدا، إذا كان يحمل الممارسين للدبلوماسية على التحلى بنوع من التواضع من حيث جعل الأمور تسير بالطريقة التى يريدونها، وبالذات حول نطاق التدخل الفعال بشكل عام، فإن مستر دين راسك وزير الخارجية الأمريكى السابق لاحظ أن الاعتراف بتعقد الشؤون الخارجية هو بداية الحكمة فى الدبلوماسية. وقد ذهب تاليران رجل الدولة العظيم إلى أكثر من ذلك. فقوله المأثور الذى غالبا ما يستشهد به، وكثيرا ما يساء فهمه هو: "فوق كل شئ، أيها السادة لا داعى للحماسة على الإطلاق" *"Surtout, Messieurs, point de zèle"* ⁽¹⁾ (وبالإنجليزية: *Above all gentlemen no zeal at all*)، بمعنى أن النشاط الخاطئ هو أسوأ من لا نشاط على الإطلاق. وعامةً يوجد مجال كبير فى الشؤون الإنسانية لعدم النشاط البارع. ولكن اللانشاط يجب أن يكون ناتجا عن الفطنة وليس الجهل أو اللامبالاة. وفضلا عن ذلك، فإن هذا هو فقط جزء من الحقيقة. فالسياسة مرتبطة بالقوة، وإدارة السياسة الخارجية تمثل ممارسة القوة فى منطقة معينة من الحياة الوطنية، هى مكوناتها الدولية. وهذا المكون يتصف بالإيجابية والمبادرة، كما يتصف بالتعقل والتفاعل. وكان تاليران نفسه يتصف بالإيجابية. وعمل الدبلوماسى عند الممارسة يدور حول السؤال الدائم الذى لا ينفك يوجهه وزير الخارجية أو السفير: "ما هو الموقف؟ وماذا سنفعل بشأنه؟".

القدرة على صنع السياسات :

يجب أن يكون من أولى أهداف التدريب الدبلوماسي إعداد الدبلوماسي ليكون قادرا على التوصل إلى إجابة فعالة لهذا السؤال الدائم: أى المساعدة فى أن تكون سياسته قادرة، وينبغى أن يكون لدى الدبلوماسيين القدرة على أن يكونوا ممارسين:

١ - بأن يحلوا بوضوح ويفهم الموقف الدولي أو مظاهر معينة منه والتي تكون موضع اهتمامهم.

٢ - فحص خيارات السياسة المتاحة، على أساس تمكن متين من العوامل المتعلقة بالموضوع.

٣ - وضع هذه الخيارات بطريقة تسهل صنع السياسات.

٤ - أن يمتزج مثل هذا التحليل لخيارات السياسات بمجموعة من التوصيات العملية بشأن الطريقة التي تتبع، التي تقوم من جهة على الضغوط والمصالح القومية، كما تقوم من جهة أخرى على فهم للأحوال الدولية السائدة التي يجب أن تطبق عليها هذه التوصيات، ومن ثم احتمال تطبيقها بنجاح.

٥ - المساعدة بفاعلية فى الداخل والخارج فى تنفيذ السياسات عند الموافقة عليها، وهذه الوظيفة التنفيذية معترف بها على أنها متصلة اتصالا وثيقا بالوظائف الاستشارية الموضحة فى بند ١ و ٤ أعلاه.

إن مساعدة وزير الخارجية فى وضع سياسته، ثم مساعدته فى تنفيذها، يتضمن مجالا واسعا من المهارات والمقدرة لاستخدامها استخداما سليما. وبالذات فإن الأفكار الجيدة لابد من تقديمها بطريقة بحيث يتمكن الآخرون - وهم على الأرجح أرفع شأنًا - من أن يفهموها ويتبنوها ويطبقوها بنجاح. والسؤال التكميلي الرئيسى الذى يحتاج الدبلوماسي أن يكون مستعدا للإجابة عليه هو: "حتى لو كانت هذه فكرة جيدة، هل ستنجح؟ وإذا نجحت، كيف؟" فلا جدوى من النظر إلى الأمام إذا لم تكن قدماك على الأرض.

إن "القدرة على صنع السياسات" هي شأن تنفيذي وكذلك شأن استشاري. فالوظائف التنفيذية والاستشارية تمتزج معا بقوة شأنها شأن الجوهر والعملية. والقيام بعمل فعال ليس مسألة مبادرات وحدها، ففلاحة البساتين لا تشمل بذر الحب فقط ولكنها تحتاج قبل ذلك إلى إعداد الأرض بعناية. "فقدرة السياسة" لا بد أن تعكس استمرارية الشؤون الدولية والتنوع الواسع للأنشطة الدبلوماسية المتواصلة، التي تعكس بدورها هذه الاستمرارية: مثل تنمية العلاقات السياسية الجيدة، بما فيها الصلات الشخصية مع الزعماء الأجانب، وحماية وجهة النظر الوطنية والقيم الوطنية في الخارج، وتقوية الروابط الاقتصادية مع الدول الأخرى، وتنمية الروابط الثقافية معها، وتعزيز مصالح رعايا الدولة في الخارج. وكل هذه أمور جوهرية في التبنى الناجح لسياسات معينة في ميدان الشؤون الدولية.

وهذا الاعتماد المتبادل لمجال واسع من الأنشطة الدبلوماسية يؤكد مظهرا متعلقا بمفهوم "القدرة على اتخاذ السياسات". فالسياسات هنا غالبا ما ينظر إليها على أنها لا تهتم إلا بالقضايا الكبرى الشاملة، مثل شؤون الدولة والسياسة "العليا" ولكن واقع إدارة العلاقات الدولية، وإدارة الشؤون الأخرى مختلف. ففي المقام الأول: يتم متابعة أهداف السياسة الخارجية بطرق متعددة، معظمها يبعث على الملل. فالعمل الهادف التفصيلي، الذي يغطي نطاقا واسعا من الموضوعات، ويكون موجها ومنسقا على أساس من التقييم الواضح الشامل للمصلحة العامة، هو جوهر السياسات Policies وثانيا: فإن طبيعة السياسة politics هي أن بعض القضايا قد تبدو في ظاهرها غامضة وغير مهمة، ولكن قد تحتل فجأة العناوين الرئيسية للأنباء وقد تتسبب في أزمة دولية. وهذا الاحتمال يجب ألا يغيب عن أذهان أولئك الذين يتعاملون مع الأمور التي تبدو روتينية ومتعلقة بالعمل اليومي المتكرر.

إطار لبناء القدرة على وضع السياسات :

وهكذا فإن مفهوم "القدرة على اتخاذ السياسات" يشمل النطاق الشامل المتكامل للأنشطة المتصلة بإدارة العلاقات الدولية. ويضم المفهوم مادة الشؤون الدولية من

أقصى القضايا العامة إلى أكثرها خصوصية، بغض النظر عما إذا كانت القضايا سياسية أو اقتصادية أو تجارية أو ثقافية أو قنصلية أو متعلقة بالإعلام. أى مساندة السياسات من خلال إقناع الجماهير والمناقشة. وهذا المفهوم يضم أيضا الجوانب "المهنية" للدبلوماسية المحترفة مثل إجادة اللغات الأجنبية واكتساب المهارات الشخصية التي يحتاجها الدبلوماسى الفرد، والتمكن من تكنولوجيا تنظيم الدبلوماسية وإدارتها لدعم الأداء الجماعى. وهذا المفهوم يعترف بالأهمية القصوى لتسخير كل الجهد والخبرة الشخصية والجماعية من أجل تحقيق أهداف عملية معقولة.

ويجب أن تؤسس " القدرة على صنع السياسات" بشكل واقعى على الكفاءة المهنية للدبلوماسيين فى المجالين الاستشارى والتنفيذى. ومن الواضح أنها - إلى حد كبير - يمكن أن تكتسب فقط بفضل التلمذة المهنية والخبرة. ولكن لا يجب أن يفهم ذلك على أن التدريب الأساسى فى البداية - أو فى المراحل المبكرة من الحياة الدبلوماسية - ليس له دور مفيد يؤديه. فهناك حاجة خاصة لمثل هذا التدريب فى الدول التى تكون فيها الموارد الإدارية غير متوفرة. ويتمثل التحدى فى جعل التدريب معقولا وعمليا على قدر المستطاع. كما أن الجمع بين خلفية متينة قائمة على الحقائق وتقنية مقبولة للتحليل يمكن أن تخدم لتنمية الإطار الفكرى الذى يمكن للدبلوماسى أن يجده ذا فائدة كبيرة لعمله.

ماذا يتضمن مثل هذا الإطار؟ فى المقام الأول. بيئة الدبلوماسيين، أى ما يواجهونه فى العالم اليوم. وفى المقام الثانى. يجب أن يتعرفوا على التضاريس المؤسسية، والساحة الدبلوماسية المدعوون للعمل فيها. وفى المقام الثالث. لا بد أن يكتسبوا مهارات الاحتراف باعتبارهم أفراد، وباعتبارهم أعضاء فى الخدمة الدبلوماسية وكونهم موظفين فى الدولة، بحيث تمكنهم من العمل بفاعلية. وبمعنى آخر فإن الإطار يشمل عناصر تحليلية، وجوانب مؤسسية وعوامل تنفيذية.

هذا التقسيم تعسفى بالطبع. ومع مزيد من التعسف، فإن هذه العناصر التحليلية، والجوانب المؤسسية، والعوامل التنفيذية يمكن تقسيمها إلى أقسام فرعية طبقا للخطوط التالية:

(أ) قضايا تحليلية:

(١) تطور الدبلوماسية استجابةً للتغيير السريع وتزايد الاعتماد المتبادل.

(٢) طبيعة المجتمع الدولي اليوم.

(٣) السيادة الوطنية وحدودها.

(ب) الجوانب المؤسسية:

(٤) نظام الأمم المتحدة.

(٥) الاقتصاد العالمي.

(٦) هندسة العمارة الأوروبية.

(ج) العوامل التنفيذية:

(٧) صنع السياسة الخارجية.

(٨) تنظيم الخدمة الدبلوماسية.

(٩) اكتساب المهارات الدبلوماسية: الصياغة.

بناء الكتاب :

المحاضرات التالية ستعمل على استكشاف كل من هذه الأقسام الفرعية على حدة، والمحاضرة الأخيرة - "عشر قواعد للدبلوماسية" - لها طابع أقرب إلى النوادر والحكايات، وتسعى لتصوير - بشكل عملي - النقاط الإرشادية العشر التي خلصت إليها المحاضرات السابقة.

وإذا بدا أن هناك عنصراً مصطنعاً بخصوص الإطار، فيجدر ملاحظة أن المحاضرات مصممة بحيث تلقى بشكل منفصل، سواء بشكل كلى أو جزئى. ولهذا فإن

مضمون كل محاضرة على حدة قد يكون له علاقة عملية بعمل الدبلوماسى أكثر من المحاولات - التى قد تبدو مغرية فكريا - من أجل صقل العلاقة المشتركة فيما بينها وإتقان التغطية الجماعية. ويعتبر الوضوح التصورى الإجمالى على أى حال أمرا لا يمكن الوصول إليه.

ويمكن تشكيل الهدف بشكل أكثر تواضعا. فالحاجة إلى التفكير بشكل منهجى فى الشئون العامة، باعتباره شرط للتصرف بشكل فعال بشأنها، أمر لا يحتاج إلى إيضاح. فالدبلوماسيون الشباب إذا تعودوا أن يفكروا بشكل منهجى، فإنهم يستطيعون أداء خدمة أفضل لمن يعملون معهم. وقد صممت المحاضرات بحيث تنمى القدرة على التفكير تحليليا ومؤسسيا وتنفيذا في الوقت نفسه. وتضم كل محاضرة عددا من العناوين الفرعية التى ذكرت فى فهرست المحتويات، وبهذا يمكن استخدامها ملخصاً للنص فضلا عن الاستعانة بها قائمةً للمراجعة، أو سلسلة من قوائم المراجعة، فيما يتعلق بصنع السياسة. وتم تصميم الإسناد الترافقى فى النص نفسه، بالإضافة إلى الشروح والمراجع، للمساعدة فى هذه العملية.

تعليق ختامى :

إن وضع "إطار للقدرة على اتخاذ السياسات" على أساس الخطوط الموضحة عالياه ليست هدفا فى حد ذاته. فهو - كما سبق أن قلت - طريقة للاقتراب من مهمة تدريب أولئك الذين التحقوا بالعمل الدبلوماسى وأولئك الذين يطمحون فى الالتحاق به. وهو ليس بديلا عن الدراسة الأكاديمية الصارمة لمادة الشئون الدولية. ولكنه أمر مصاحب لهذه الدراسة. فالاثنتان يتداخلان. فهما فى الواقع وجهان لعملة تعليمية واحدة. والشئون السياسية والاقتصادية يمثلان مجال موضوع رائع لتعلم التفكير. والهدف المؤكد هو التوصل إلى عمل أكثر فاعلية، يعتمد على استيعاب العملية والمادة معا. وقد تم تلخيص الأمر بشكل قاطع فى الحكم الذى أطلقه ماكولاي Macaulay، السياسى والمؤرخ البريطانى المشهور، على ميكيا فيللى Machiavelli عندما قال:

يبدو أن صفات رجل الدولة النشيط والمتأمل قد امتزجا في انسجام نادر وبديع. فمهارته في سرد تفاصيل العمل لم تكتسب على حساب قدراته العامة. ولم تجعل ذهنه أقل شمولاً، ولكنها ساعدت على تصحيح تكهناته وأن تضيف عليها ذلك الطابع الحى العملى الذى يميزها كثيرا عن النظريات الغامضة لمعظم الفلاسفة السياسيين^(٧).

(١)

الدبلوماسية وليدة الأزمنة المتغيرة

يصر المنظرون الدبلوماسيون على أن الدقة هي عنصر رئيسي في إدارة الشؤون الدولية. ولهذا فإنه مما يدعو إلى السخرية أن كلمة "الدبلوماسية" غير دقيقة بشكل رهيب. فلها على الأقل ستة معانٍ، أو مجموعة من المعاني، التي تتصل ببعضها البعض على الرغم من تباينها. فهي أولاً: بمعناها الشامل يمكن أن تعنى مضمون الشؤون الخارجية بوجه عام، وهذا ناشئ عن الاشتقاق من كلمة "دبلوما"، وهي ورقة مطوية أو خطاب توصية، أو وثيقة، ومن ثم فهي تعنى محتوى الوثيقة. ثانياً: يمكن أن تعنى الدبلوماسية إدارة السياسة الخارجية، وهي هنا أيضاً تدل على الشمول، بحيث تضم كل جوانب التأثير التي يمكن أن تمارسه دولة على دولة أخرى، بما فيها الالتجاء للقوة. ثالثاً: يمكن أن تعنى الدبلوماسية إدارة العلاقات الدولية بالتفاوض، ويجب أن نلاحظ أن هذا التعريف يحصر معنى الدبلوماسية في التفاوض، ومختلف عن استخدام القوة، وفي الوقت نفسه يوسع المعنى بإدخال مفهوم الإدارة، ومن ثم الانخراط في التعامل مع بُعد الاعتماد المتبادل الدولي، وكذلك مع تفرعات الجانب الدولي للشؤون الوطنية ككل. رابعاً: يمكن أن تعنى الدبلوماسية جهاز إدارة العلاقات الدولية، وخاصة الخدمات الدبلوماسية المحترفة، وهو مفهوم محدود أكثر وفنى أكثر أيضاً. خامساً: يمكن أن تعنى الدبلوماسية الطريقة التي تدار بها العلاقات الدولية. والتعريف الذي تبناه الحجة البريطاني الشهير سير إرنست ساتو Ernest Satow، هو "تطبيق الذكاء والمهارة على إدارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة"^(١). وهذا التعريف له استخدام التوجيهي باعتباره معيار ينبغي أن يطمح إليه أولئك الذين يمارسون إدارة السياسة الخارجية. ولكن لا يمكن اعتباره وصفاً دقيقاً لمجمل التأثير الذي تمارسه دولة على الدول الأخرى.

وأخيرا، يمكن للدبلوماسية أن تعنى فن ومهارة الدبلوماسية، مع بعض المعانى الخفية الرائجة، وهى ليست البراعة فحسب، ولكن أيضا المراوغة والتظاهر والخداع. "الدبلوماسى هو شخص يمكن أن يكون جذابا وأسرا عندما لا تكون بلاده كذلك". وقد أتخذ ستالين هذا المدخل حتى نهايته المنطقية عندما قال: "كلمات الدبلوماسى لا علاقة لها بالأعمال، وإلا أى نوع من الدبلوماسية هذه؟ إن الدبلوماسية الصادقة غير ممكنة كما أنه من غير الممكن أن يكون هناك ماء جاف أو حديد خشبى".

وإذا كانت هناك كلمة تحمل فى وقت واحد معانى المضمون، والتصرف، والشخصية، والمنهج، والسلوك، والفن، فإنه يمكن القول بحق إنها تؤدي إلى سوء الفهم. وبالطبع يمكن أن تتبنى سياسة مراوغة وأن نبرر ذلك عندما نستخدمها، فالكلمة تعنى بالضبط ما نختار أن تعنيه، لا أكثر ولا أقل^(٢). ولكن مركزية الذات هذه لها عيوبها. فالمطلوب هو مدخل قائم على تعاون أكبر، فى السعى من أجل الوضوح. والتعريفات الستة كلها أو مجموعة التعريفات لكلمة "الدبلوماسية" لها صلة بالموضوع. وفضلا عن ذلك، فإن صلتها بالموضوع تتم فى وقت متزامن. وهى تؤكد بشكل جماعى المزج الحتمى بين الجوهر والعملية فى الشئون الدولية والشئون الوطنية معا. وهى تدل، بشكل جماعى أيضا، على أننا نهتم بمجال واسع من الظواهر التى يمكن أن نفكر فيها باعتبارها علم اجتماعى للعلاقات الدولية، وهو علم اجتماعى يواكب علم السياسة أو علم التربية الوطنية وعلم الاقتصاد، وما يحدث من تداخل فيما بينها. ولكن إذا لم نستخدم كلمة "الدبلوماسية" "Diplomacy" لكل هذا، فهل هناك بديل آخر؟ هناك مصطلح "Diplomatics" الذى كان يمكن أن يناسب مقتضى الحال بشكل يدعو للإعجاب. لو لم يكن هذا المصطلح قد استخدم أساسا بمعنى دراسة الشهادات والمستندات أو حل رموز الوثائق القديمة.

وإذا تعذر - ولو مؤقتا - التوصل إلى جملة شاملة تصف اهتماماتنا؛ فإننا جميعا مضطرون لأن يكون من الواضح فى أذهاننا أى من التعريفات بالذات الذى يمكن أن نلصقه بمصطلح "الدبلوماسية"، وأن نعترف بالاعتماد المتبادل لهذا التعريف المعين مع التعريفات الأخرى للمصطلح. إذ ينبغى أن نجنب أنفسنا والآخرين أية بلبلة.

الدبلوماسية وليدة زمانها: الدبلوماسية القديمة والدبلوماسية الجديدة :

يعتبر المزج الحتمي بين الجوهر والعملية أبرز صفة للدبلوماسية فى أى من التعريفات الستة الموضحة سابقاً. وأحد خصائص الدبلوماسية الرئيسية هى أنها وليدة زمانها. فالطبيعة البشرية قد لا تتغير كثيراً. والطريقة التى يتم بها تفاعل البشر قد تتمشى مع بعض النماذج المعينة العريضة. ولكن من مزايا الحضارة القدرة على تفسير التجربة الإنسانية بطريقة تؤدى إلى تراكم الحكمة، ويقود هذا إلى محاباة السلوك البناء وليس السلوك المدمر. ولا يعنى هذا أن التقدم لا يتوقف أحياناً. فالفوضى لا تستأصل أبداً. بل إن الطريقة التى تتعامل بها الأمم مع بعضها البعض تأخذ شكل خليط غير مؤكد من الاستجابات للضغوط والفرص الحالية، والتكيف من خلال مجموعة من السوابق، ووضع القواعد، ومراعاة القواعد، وإخضاع القواعد، فى مزيج لا يمكن التنبؤ به.

وإذا لم تكن هناك أمور مطلقة فى الدبلوماسية، فهناك على الأقل مقارنات لا بد من إجرائها. ويمكن أن نستفيد إذا نظرنا إلى الدبلوماسية كما تمارس فى أوقات مختلفة، وأن نلاحظ الاختلافات، ونصل إلى أسباب هذه الاختلافات. ومن المفيد لنا، ونحن فى نهاية القرن العشرين، أن نتأمل الموقف من بدايته. وسنجد أن الاختلاف شاسع.

لقد ظهر - لمدة ٢٠٠ سنة، منذ نهاية حرب الثلاثين عاماً فى ١٦٤٨ حتى نشوب الحرب العظمى عام ١٩١٤- نموذج مميز للدبلوماسية فى أوروبا وهو ما يطلق عليه الآن بشكل عام "الدبلوماسية القديمة" للتمييز بينه وبين "الدبلوماسية الجديدة" التى ظهرت بشأورها فى نهاية الحرب العظمى، والتى ارتبطت بوجه خاص باسم وودرو ويلسون رئيس الولايات المتحدة. لقد قام سير هارولد نيكلسون الحجة البريطانى المعروف فى الدبلوماسية بوضع قائمة بالخصائص الخمس الأساسية "للدبلوماسية القديمة" كما يلي:

الأهمية الأولى لأوروبا، والنقوذ الرئيسى للقوى العظمى التى لها مصالح أوسع وتمتلك مالا أكثر ومدافع أكثر، والمسئولية المشتركة للقوى العظمى فى تدبير أمور القوى الصغرى بما فى ذلك المحافظة على السلام بينها، ووجود خدمة دبلوماسية

محترفة متمائلة على قدر الإمكان فى كل دولة أوروبية، والقاعدة القائلة بأن المفاوضات السديدة لابد أن تكون مستمرة وسرية^(٣).

وما علينا إلا أن نطلع على هذه الخصائص لنرى إلى أى حد تختلف الأحوال الدبلوماسية اليوم. فقد حدث توسع فى مسئوليات الحكومة فى ميدان الإدارة الاقتصادية والأحوال الاجتماعية، وهناك زيادة كبيرة فى حجم الصفقات وفى سرعة الاتصالات، وحدث نمو مشابه فى المضمون الشعبى للشئون الدولية والمدى الذى يمكن أن يصل إليه التقرب إلى الرأى العام وتشكيله. وقد اضمحلت المركزية الأوروبية بشكل جذرى بظهور مراكز قوى أخرى. وحصلت الأمم التى كانت تحت السيطرة الأوروبية على استقلالها، وفوق كل ذلك، وتحت كل ذلك نشأ الاعتماد المتبادل الذى يشكك بشكل متزايد فى واقعية مفهوم السيادة القومية ومفهوم الحدود القومية.

" فالدبلوماسية القديمة" كانت ذات طابع سياسى نخبوى غير معلى وبعبدة عن الجمهور الثائر وكانت محايدة عقائديا، وتوجهها لنماذج التجارة والنفوذ. وكانت على استعداد للجوء للحرب باعتبارها وسيلة لتحقيق أهدافها. وفى الممالك والإمبراطوريات الأوروبية كان الأمر يتعلق بامتيازات الأسر المالكة. وفى أطروحة للفيلسوف البريطانى جون لوك عن الحكومة المدنية، أصر على أن صالح المجتمع يتطلب أن أشياء عديدة يجب أن تترك لفتنة صاحب السلطة التنفيذية^(٤). وسار فى الاتجاه نفسه رأى أمريكى مستقل ومكتمل. فبعض المجتمعين فى مؤتمر فيلادلفيا عام ١٧٨٧ الذين كان لديهم خبرة بحقائق الشئون الخارجية بذلوا كل جهدهم لإقناع زملائهم بأن السيطرة التنفيذية الحازمة أمر جوهري. وبينما كانوا على استعداد لأن يروا أن تترك إدارة الشئون الداخلية - إلى حد كبير - لمجلس شعب، إلا أنهم ما كانوا يأخذون هذه المخاطرة بالنسبة للشئون الخارجية. وبعد مناقشة "الضرورة المطلقة للنظام" وعدم التحقق الكافى فى الذهن الشعبى بأهميته فى الشئون القومية، كتب جون جاي Jay فى "الأوراق الفدرالية" Federalist Papers : "إنه من الحكمة لهذا السبب أن يقرر المؤتمر ليس وجوب أن يعهد بكل سلطة عقد المعاهدات إلى رجال قادرين وأمناء فحسب، بل يجب أيضا أن يستمروا فى مواقعهم فترة كافية حتى يألفوا الاهتمامات القومية وحتى يشكلوا نظاما ويقدموه لإدارتها".

ولم يكن "الدبلوماسية الجديدة" أى من الخصائص الغالبة "الدبلوماسية القديمة" التى سبق أن وصفناها. فقد فجرت قيود الهيمنة الأوروبية. وتوجهت اهتماماتها إلى أبعد من مجرد المسائل السياسية التقليدية. وأصبح يسيطر عليها الاهتمامات الاقتصادية ومعانيها الاجتماعية. وتستوعبها الديمقراطية وحقوق الإنسان، سواء أكانت فردية أم جماعية. وهى ذات طابع شعبى أكثر منه نخبوى. وهى تتمثل فى المصلحة الشعبية المؤكدة والمناقشات. فالصالة لها أهمية المسرح نفسها .

سلسلة من الغزوات للجبهة السياسية :

كيف يمكن للمرء - من وجهة نظر إدارة العلاقات الدولية - أن يحلل جيدا التغييرات التى طرأت خلال القرن العشرين والتأثير التى كانت لها على طريقة تفاعل الأمم مع بعضها؟ ربما كانت أنسب طريقة هى أن نفكر فى سلسلة من "الغزوات" للجبهة السياسية، حيث الأنشطة التقليدية، كما تجسدها "الدبلوماسية القديمة"، قد تجاوزتها تطورات العالم الحديث الذى تعتبر "الدبلوماسية الجديدة" استجابة لها. وهذه "الغزوات"، على الرغم من أنها مختلفة منطقيا، إلا أنها تعتمد على بعضها البعض وتتداخل فيما بينها. وهى لا تقدم نفسها فى ترتيب تاريخى دقيق. والعناصر التى تتكون منها كانت موجودة ويمكن تتبعها. ولكنها فى القرن العشرين اعتبرت ذات أهمية كبيرة، فرديا وجماعيا. ويمكن أن تصنف فى أى نظام تحليلى وتاريخى دقيق على أساس الخطوط التالية:

(أ) الغزو "الاقتصادى"، حيث يتزايد الاعتماد المتبادل والتغلغل المتبادل للاقتصاديات كما تتزايد درجة مسئولية الحكومة للإدارة الاقتصادية بحيث طغت على مضمون الشؤون الدولية بطريقة لم يشهدها القرن التاسع عشر.

(ب) غزو "الاهتمام والمشاركة الشعبية"، ونتيجته أن أصبح الرأى العام مصدر اهتمام رئيسى ومكسبا أساسيا فى إدارة السياسة الخارجية.

(ج) غزو "تقرير المصير وتفكيك الاستعمار" وبه وجدت مفاهيم الديمقراطية والحكم الذاتي المألوفة في العالم النامي نفسها ذات امتداد منطقي إلى نطاق الشعوب الخاضعة للإمبراطوريات السابقة، بما يتضمنه كل ذلك بالنسبة للتدابير الدولية المطروحة.

(د) غزو "حقوق الإنسان"، حيث أصبحت معاملة الأفراد والأقليات مسألة تثير الاهتمام الدولي، مع أبعاد سياسية وإنسانية مهمة.

(هـ) الغزو "الاجتماعي" الذي لا يركز فقط على إبراز التنمية الاقتصادية باعتبارها وسيلة لتسهيل مستوى أفضل للمعيشة، وإنما يركز أيضا على التنمية الاجتماعية وعلى المشكلات الملحة للمجتمع: مثل الفقر والبطالة وسوء الصحة والتعليم غير الكافي وعلى ما تعاني منه النساء من حرمان من المزايا والمشكلات الخاصة بالأطفال والشباب والمعوقين وكبار السن.

(و) غزو "القضايا الجديدة"، خاصة مسألة كيفية معالجة التهديدات التي تتعرض لها البيئة، وكذلك التهديدات الجماعية الأخرى التي تتعدى الحدود القومية: مثل سوء استخدام المخدرات والإرهاب وأمراض نقص المناعة/الإيدز.

(ز) غزو "تكنولوجيا المعلومات" التي استطاعت بسرعة انتشارها في كل مكان أن تغير العالم. وكان لا بد من أن تتغير المفردات وأن تمتد باستمرار حتى تستوعب المفاهيم الجديدة التي أظهرتها التكنولوجيا.

(ح) غزو "تعدد القاعين"، ومن نتائجه زيادة كبيرة في عدد أولئك الذين أصبحوا جزءا من عملية إدارة العلاقات الدولية، فلم يعد الأمر يقتصر - كما في أيام "الدبلوماسية القديمة" - على الملوك والوزراء والدبلوماسيين المحترفين.

وسأوجز هذه "الغزوات" بالترتيب كما يلي:

(أ) الغزو الاقتصادي :

شهد القرن التاسع عشر أوج سياسة الحرية الاقتصادية *laissez-faire* وهي التعبير الاقتصادي عن الحد الأدنى من التدخل الحكومي في إدارة الاقتصاد، مع

ما يصحب ذلك من عدم التركيز على الأمور الاقتصادية فى إدارة العلاقات الدولية. ومن منظور قرن لاحق نرى أن دبلوماسية القرن التاسع عشر تبدو فعلا وكأنها تدريب سياسى رقيق، يتسم بالبطء فى الاستجابة للتغيرات السريعة والمكثفة فى النشاط الاقتصادى، ليس داخل الدول فحسب وإنما أيضا فيما بينها. وربما كان أعمق تحليل بريطانى لأبعاد هذه التغيرات ما تضمنه كتاب "الدبلوماسية المكبلة بالقيود" -Diploma- cy In Fetters الذى نشر عام ١٩٤٤ لسير فيكتور ويلسلى Sir Victor Wellesley، نائب وكيل وزارة الخارجية البريطانية فى الفترة من ١٩٢٥ إلى ١٩٣٦^(٥). وكانت أطروحته تدور فى جوهرها حول فكرة أن الثورة الصناعية قد طورت الاقتصاديات القومية إلى اقتصاد عالمى قائم على الاعتماد المتبادل والتغلغل المتبادل، وأن ذلك أدى إلى تغيير جذرى فى خلفية إدارة الشؤون الخارجية. ومع هذا فإن جهاز الشؤون الخارجية بقى ثابتا، ومن ثم توقف عن العمل بكفاءة. ويقول ويلسلى إنه فى القرن التاسع عشر "لم تظهر على السطح مشكلات اقتصادية واجتماعية كبيرة يمكن أن تتال من نقاء فكر الدبلوماسيين. ولهذا لم يضطروا إلى أن ينقبوا ويفكروا بعمق".

ويرى ويلسلى أن القرن العشرين كان مختلفا. وطالما كان الممارسون الدبلوماسيون يفكرون بأسلوب سياسى تقليدى دون أن يراعوا النطاق الكامل للعوامل ذات الصلة، استمرت الدبلوماسية "مكبلة بالقيود". وهذا النقد لا يمكن أن يطبق بحال على الدبلوماسيين اليوم. فالعوامل الاقتصادية تجبرهم على الاهتمام بالحكومات طول الوقت. وأصبح الاقتصاد العالمى، الذى ناقشه فى المحاضرة الخامسة مركز اهتمامهم. ولم تعد المهمة تنحصر فى الاعتراف بأهمية نطاق واسع من العوامل بقدر ما تعكس هذا الاعتراف فى صنع سياسة رشيدة. وقد تعامل كتاب ويلسلى بالتفصيل مع الطريقة التى تتطلبها كل هذه الاعتبارات لكى تنعكس ليس على خبرة وتدريب وتنظيم الدبلوماسيين فحسب، وإنما أيضا على جهاز الحكومة ككل وعلى إدارة العمل البرلمانى. وهو يرى أن السياسة الخارجية لا يمكن التعامل معها من فراغ أو على أساس العيش من اليد للفم. وقد يوضح هذا - بالإضافة إلى أسلوبه المتسم بالاستطراد إلى حد ما - السبب فى أن عمله الرائد لم ينتشر بشكل جيد حتى بين المحترفين لا فى أيامه، ولا بعد ذلك. ولكن الكثير من رسالته، على الأقل فيما يتعلق بالتنظيم

الدبلوماسية، أدرج في المقترحات للإصلاح الدبلوماسى البريطانى التى تم تبنيها فى نهاية الحرب العالمية الثانية^(٦).

(ب) غزو الاهتمام والمشاركة الشعبية :

يمكن وضع هذا المقترح باقتضاب كالاتى: كما أن الحرب هى مأساة لكل فرد وكابوس لكل إنسان، فإن الدبلوماسية هى عمل كل شخص. وكان أحد خصائص القرن التاسع عشر النقص النسبى فى الاهتمام الشعبى بالشئون الخارجية. فقد كانت هذه الشئون قاصرة فعلا على الأقلية المتعلمة. ولما كان نطاقها سياسيا إلى حد كبير ، فلم يكن اهتمامها منصبا على الرجال والنساء من عامة الشعب، ولم تكن لها أهمية كبيرة فى حياتهم اليومية. وقد نشبت حربان عالميتان، بفاصل من السلام المضطرب فيما بينهما، وأحدثتا تغييرا فى كل ذلك. وتمزقت الحياة اليومية للملايين من البشر بسبب ما شهدته النصف الأول من القرن العشرين من اضطرابات. وتزامن القلق من أجل تجنب مصائب الحرب مع التدويل المتزايد لوجودنا لتأكيد المضمون الشعبى للشئون الدولية.

وقد تزايد المضمون الشعبى للشئون الدولية بشكل كبير بطريقتين منفصلتين. الأولى هى وجود اهتمام شعبى معزز بقوة، واستعداد الحكومات المسئولة ديموقراطيا لمواجهة بفيض مناسب من المعلومات والإيضاحات: سواء أمام البرلمان أو وسائل الإعلام أو المنظمات غير الحكومية بكل أنواعها أو الأفراد. وهذا الفيض لابد أن يكون قوميا ودوليا. وقد لاحظ دزرائيلى Disraeli "أنه نون إعلام لا يمكن أن تكون هناك روح للرأى العام، ونون روح للرأى العام لابد أن تصاب أية أمة بالانحلال". وهذا التأكيد على الإعلام يستمد قوته - إلى حد كبير - من الشعور بأن السرية هى عيب خاص بالدبلوماسية القديمة". وقد تحدث الرئيس ويلسون عن الموائيق العننية للسلام التى يتم التوصل إليها علانية^(٧). والهدف هو أنه لا يجب مواجهة الناس بالأمر الواقع فى ميدان السياسة الخارجية، مع احتمالات العواقب الكارثية. وإنما لابد أن يلموا على الأقل بوجه عام بما يجرى، كما لابد للحكومات أن تقنع ناخبها بتصرفاتها.

ويقودنا هذا إلى العنصر الثاني من المضمون الشعبي للشئون الخارجية، وهو نطاق التأثير على الرأي سواء داخليا أو خارجيا. وقد كان ينظر إلى حرية الصحافة على أنها تضفى على الصحفيين سلطة كبيرة، وكان ذلك يسبب ضيقا أحيانا حتى لمعظم الحكومات الطيبة. وكان ماكولى هو الذى لاحظ أن الشرفة التى يجلس فيها مراسلو الصحف قد أصبحت السلطة الرابعة فى المملكة⁽⁸⁾. واليوم تعتبر جهات عديدة أن التغطية الفورية للأحداث على مستوى العالم من خلال التليفزيون والإذاعة بمثابة إضفاء سلطات مبالغ فيها على وسائل الإعلام. ويعتبر البعض أن شبكة سى إن إن (CNN) التى تنقل الأنباء عبر الكبلات هى بالفعل العضو السادس عشر الواقعى من أعضاء مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وهناك نوع من القلق فى الدول النامية الصغيرة والتى مصادر معلوماتها المستقلة محدودة. ومع هذا فإن الحكومات هى التى لديها معظم إمكانيات التأثير على الرأي العام. والدعاية هى - إلى حد كبير - أحد سمات القرن العشرين بفضل انتشار التعليم وتطور وسائل الاتصال الجماهيرية. وقد وجهها الحلفاء بفاعلية كبيرة فى الحرب العالمية الأولى ضد العناصر المتذمرة داخل الإمبراطورية النمساوية المجرية. وقد وصل النازيون بالدعاية إلى درجة عالية من التأثير. وتحدث المنظرون السياسيون عن السلطة على الرأي العام باعتبارها عنصر منفصل، يختلف عن السلطة العسكرية والاقتصادية. وقد ظهرت إلى الوجود كل من المجلس البريطانى والخدمات الخارجية لهيئة الإذاعة البريطانية استجابةً للدعاية المعادية. وكانت أهميتها للدبلوماسية البريطانية كبيرة بفضل السمعة التى تحسد عليها والتى بنتها على الجودة والموضوعية⁽⁹⁾.

(ج) غزو الحكم الذاتى وتفكيك الاستعمار :

هناك سمة عظيمة من سمات "الدبلوماسية القديمة" وهى الانتشار الإمبراطورى للقوى الأوربية الرئيسية، سواء داخل أوروبا أو فى القارات الأخرى. وقد حدث توسع بالغ التأثير للقوة الأوربية خارج أوروبا فى أواخر القرن التاسع عشر، فيما عرف "بالاندفاع نحو أفريقيا". وكان الاحتلال الاستعمارى الذى ترتب على ذلك قصير الأمد

من المنظور التاريخي. فالإمبراطوريات داخل أوروبا دامت فترات أطول بكثير. وقد منحت معاهدة فرساي والتدابير المتعلقة بها بعد نهاية الحرب العظمى: الاستقلال لعدد من البلاد الأوروبية، على أساس مبدأ تقرير المصير الذى ثابر على الترويج له الرئيس ويلسون وأعيد رسم خريطة أوروبا على أسس قومية وإثنية. وكانت النتائج مخيبة للأمال بعمق. ولم تتحقق تدابير الأمن الجماعى التى كانت مطلوبة لتنفيذ تسوية ما بعد الحرب ، بسبب أوجه القصور فى عصبه الأمم. ولكن مبدأ تقرير المصير احتفظ بجاذبيته القوية. وخارج أوروبا لم تشهد نهاية الحرب العظمى ازدهار تقرير المصير على النطاق نفسها. وقد أعيد تسمية عدد من المستعمرات التابعة للقوى المنهزمة لتصبح "الأقاليم تحت الانتداب" التابعة لعصبة الأمم. وتم تقسيم الإمبراطورية التركية القديمة إلى مناطق نفوذ وهى فى الحقيقة مناطق محتلة.

ولم يشهد تفكك الاستعمار دفعة حقيقية إلا بعد الحرب العالمية الثانية. وتضاعفت عضوية الأمم المتحدة إلى أكثر من ثلاثة أضعاف منذ عام ١٩٤٥، وازدهر نظام الدولة القومية بدرجة لم يسبق لها مثيل. ومع هذا فإن الاعتماد المتبادل فى الوقت نفسه تسبب بشكل متزايد فى التشكيك فى هذا النظام. وهكذا نجد فى مركز العلاقات الدولية اليوم تناقضا لا يسهل حسمه. فالرأى السائد يقف بقوة إلى جانب تفكيك الاستعمار باعتباره امتداد لفاهيم الديمقراطية والحكم الذاتى لشعوب الإمبراطوريات السابقة. ومن جهة أخرى، تم تجاهل المفهوم القائل بأن قيام الدولة مرهون بالقدرة على ضمان الدفاع الذاتى إلى جانب القدرة على البقاء اقتصاديا، بلا مساعدة، وخاصة فى حالة عدد من البلاد الأصغر والأفقر. فالمجتمع الدولى يضم عددا من الأعضاء سيعتمدون على حماية ومساعدات الآخرين فى المستقبل المرئى. ومسألة هل وكيف يتم التدخل فى شئون مثل هذه البلاد ليس مستبعدا. والرائج وصف الدول التى تعانى من انهيار، بأنها "دول فاشلة". والصومال مثال على ذلك. ولا حاجة إلى تأكيد عدم الاستقرار الدولى الذى يتهدهه ذلك ومع هذا فلم يصل إلى حد إضعاف الولاء الحاسم العام لنظام الدولة القومية.

(د) غزو حقوق الإنسان :

لا ينطبق مفهوم تقرير المصير بالطبع على البلاد أو الشعوب فحسب. فقوته الباقية مستمدة من الإيمان بحقوق الفرد، حتى وإن كانت في كثير من الحالات لا يمكن ضمانها إلا جماعيا. ولكن لا يوجد ضمان بأن الحكم الذاتي وتقرير المصير على المستوى القومي سيؤكد حرية الفرد ورفاهيته. وتنشأ مشكلة معينة عندما تكون هناك أقليات مهمة في داخل الأمم - سواء أكانت أقليات إثنية أم دينية أم ثقافية أم لغوية أم إقليمية - وبوجه خاص عندما تكون هذه الأقليات مرتبطة بأقليات مشابهة، أو حتى بأغلبيات، في الدول المجاورة. هذه هي المشكلة التي عانت منها أوروبا لقرون. ومن المحتمل أن تستمر لعشرات السنين القادمة.

وبالنسبة للإدارة العملية للعلاقات الدولية، يجد القلق على حقوق الفرد في أي مكان وفي كل مكان تعبيراً حاداً له متمثلاً في الصراع الذي لم يحسم بين سيادة الدول ومقاومة التدخل الدولي في الشؤون التي تدخل أساساً ضمن الاختصاص الداخلي للدول، من جهة، والإدراك الدولي بأن الطريقة التي تعامل بها الدولة رعاياها، خاصة أقلياتها، قد تكون ذات أهمية دولية حيوية، من جانب آخر.

(هـ) الغزو الاجتماعي :

أوضح ميثاق الأمم المتحدة بجلاء تام أن الحفاظ على السلام العالمي لا يتضمن فقط تجنب الصراع المسلح، وإنما يتضمن أيضا إجراءات لتحسين مصير الفرد ومن ثم إزالة التوترات والاضغوط. والقلق الدولي في هذا الشأن هو انعكاس لقبول الحكومات الوطنية مسئوليات على نطاق واسع جدا فيما يختص بالشؤون الاجتماعية، واعترافها بأن العمل الفعال يتوقف إلى حد كبير على التعاون الدولي وكذلك على الإجراءات المحلية. وهكذا فإن حجم العمل الدولي الذي يتم اليوم في الساحة الاجتماعية كان يمكن أن يذهل الدبلوماسيين منذ قرن من الزمن.

(و) غزو القضايا الجديدة وخاصة حماية البيئة :

إن الغزو "الاقتصادي" الذي سبق الإشارة إليه له بالطبع مضمون تقني عالٍ. وهو يتسم أيضا بمعدل تغيير سريع ومتنامٍ. وقد كان هناك دائما علماء المستقبل بشكل أو بآخر. ولكنهم ربما الآن أكثر بروزًا وأعلى صوتًا وأفضل في التعبير عن همومهم. وهناك على أي حال تأكيد متزايد على "القضايا الجديدة"، التي تتطلب اهتمامًا فائقًا بالمجتمع الدولي وبالهيكل والاتجاهات الجديدة حتى يمكن تناولها بفاعلية.

وتتمثل أهم هذه القضايا "الجديدة" في حماية البيئة. وهذا موضوع ضخم وله أبعاد دبلوماسية واسعة. والنقطة الحيوية هي أن الاهتمام الشعبي بالتلوث واستنزاف الثروات الطبيعية قد دعا الحكومات الغربية على مدى حوالي ٢٥ سنة إلى إعطاء اهتمام متزايد لمسألة حماية البيئة. ومن الواضح أن الإجراءات العلاجية تتطلب تعاونًا دوليًا على نطاق واسع. ولا بد أن تأخذ الحكومات في حساباتها الجوانب العديدة للعلاقات الدولية التي تعتمد فيها المسائل البيئية اعتمادًا متبادلًا. وفي العالم النامي ترتبط مشكلة البيئة أساسًا بالنمو السكاني والفقر وما يستتبعه من ضغط على الأرض والموارد الطبيعية الأخرى. وفضلاً عن ذلك إذا كانت الإجراءات العلاجية التي يسعى إليها الغرب تشمل على الانبعاثات المخفضة لغازات "البيت الزجاجي"، فإن ذلك سيعوق التنمية الصناعية للدول الفقيرة. وترى هذه الدول أنه يجب أن يكون هناك تعويض من تلك الدول الغنية التي أسهمت عمليات التصنيع السابقة فيها بشكل كبير في المشكلة. وبمعنى آخر فإن حماية البيئة قد أصبحت مصدراً آخر للتوتر بين دول الشمال ودول الجنوب .

وكان من العلامات المميزة صدور تقرير عام ١٩٨٧ عن اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، التي تشكلت عام ١٩٨٢ بناءً على طلب الجمعية العامة للأمم المتحدة برئاسة رئيسة الوزراء النرويجية مسز جرو هارلم برونتланд Mrs Gro Harlem Brundtland. وعنوان التقرير: "مستقبلنا المشترك، Our Common Future"^(١٠) وقد أبرز مفهوم التنمية المستدامة sustainable development: وهي التنمية التي تلبي حاجات الحاضر دون التفريط في قدرة الأجيال في المستقبل على تلبية حاجاتها وهذا المفهوم

سليم سياسيا، وربما كان أحد الأسباب أنه غامض عن عمد. وهو يشير إلى التعاون الدولي والمصروفات المتقاسمة. وقد أكدت اللجنة أن التنمية العالمية المستدامة تتطلب من الأغنياء أن يتبنوا أساليب حياة تتناسب مع الإمكانيات الإيكولوجية للكرة الأرضية، في استخدامهم للطاقة على سبيل المثال. وعلاوة على ذلك فإن التنمية المستدامة لا يمكن تطبيقها إلا إذا كان حجم السكان والنمو يتمشيان مع الإمكانيات الإنتاجية المتغيرة للنظام الإيكولوجي.

وكان اللجنة نفوذ في تعبئة المجتمع الدولي لتناول المسائل البيئية المتعددة الجوانب على أساس أكثر تماسكا. وعقد مؤتمر بشع للأمم المتحدة عن المسائل البيئية في ريو دي جانيرو عام ١٩٩٢ - بعنوان "مؤتمر الأرض" - وكان قد تم عقد إطار اتفاقية عن التغيير المناخي واتفاقية عن التنوع البيولوجي قبل ذلك بقليل. وفي المحاضرة الخامسة مزيد من بحث علاقة القضايا البيئية بالجوانب الأخرى للاقتصاد العالمي^(١١).

وهناك قضايا "جديدة" أخرى، ليست لها نفس النطاق العالمي، ومع هذا فإنها تثير اهتماما كبيرا على مستوى العالم وتتطلب معالجة دولية تعاونية وليس عملا قوميا فحسب. ومن هذه القضايا يمكن أن نذكر ثلاثة أمثلة بارزة: الإرهاب، خاصة حينما ينشأ نتيجة اختلافات دينية أو أيديولوجية، أو ينبع من إنكار ملحوظ لحقوق الإنسان، وانتشار أمراض نقص المناعة/الإيدز. وتقدر تجارة المخدرات غير المحبودة على نطاق العالم بما قيمته ٥٠٠ بليون دولار، وهو ما يعادل ٥٠ في المائة من إجمالي الإنتاج المحلي للمملكة المتحدة^(١٢).

(ز) غزو تكنولوجيا المعلومات :

كما توحى هذه السلسلة من "الغزوات"، يأخذ الاعتماد المتبادل كثيرا من الأشكال. ولكن لا شيء "عولم" حياتنا مثل التطورات الثورية في السنوات الخمس والعشرين الماضية أو نحو ذلك، ليس في الاتصالات نفسها فحسب، ولكن أيضا في إدماج عمليات بث المعلومات ومعالجتها والتي كانت منفصلة من قبل. ولقد كان التقدم سريعا جدا

وكانت احتمالات حدوث مزيد من التغيير ملحوظة بحيث كان من الصعب فصل الحقيقة عن الخيال، وفصل التنبؤ الرصين عن الوهم. فتكنولوجيا المعلومات هي المحك للحياة الحديثة.

وقد وضع ستيوارت إلدون Stuart Eldon، عضو الخدمة الدبلوماسية البريطانية، أخيرا كتابا بعنوان "من القلم الريشة إلى القمر الصناعي" *From Quill Pen to Satellite*^(١٣) لخص فيه التغييرات التي أتت بها هذه التطورات في عمل وزارات الخارجية. وقد امتزجت العملية بالجواهر امتزاجا لا فكاك منه في هذا الميدان، كما في غيره من الميادين. ومن المحتم أن إدارة العلاقات الدولية ستخضع أكثر لضغط الوقت. وسيظهر محتواها الشعبى. وستحتاج إلى أن تستغل التطورات في تكنولوجيا المعلومات، بقدر ما ستعجز عن تفادى التأثير بها. وكما سبق أن ذكرنا فإن هذه التطورات قد أصبحت كثيفة وسريعة بالفعل. بل إنها ستزداد كثافة وسرعة في المستقبل.

(ح) غزو تعدد الفاعلين :

إن النتيجة الحتمية للتوسع الضخم في الاتصالات الدولية أن أولئك المندمجين في إدارة هذه الاتصالات قد ازداد عددهم بشكل كبير. ولكن هذه الزيادة هي مسألة سبب ومسبب. وعلى أساس المقترح النظرى (جدا) بأن الزيادة الكبيرة في عدد الدول ذات السيادة وفي نطاق العمل الذى يتم بين الحكومات لم يؤد إلى إحداث تغيير من الدبلوماسية "القديمة" إلى الدبلوماسية "الجديدة"، إلا أنه أحدث زيادة نتيجة لذلك في عدد الدبلوماسيين والمسؤولين في المنظمات الدولية. فالدبلوماسية كان يمكن أن تصبح صناعة نمو على هذه الأسس وحدها. ولكن الانتقال إلى الدبلوماسية "الجديدة" قد واكبه نمو كبير جدا في اهتمام الجمهور، واندماج في العلاقات الدولية. ولم يصبح عدد الفاعلين كبيرا جدا فحسب، ولكن كان التنوع أيضا كبيرا، وشمل ذلك السياسيين والأروقة، ووسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية من كل نوع. وفضلا عن ذلك، عندما لم يعد مفهوم العلاقات الدولية مقتصرًا على النشاط بين الحكومات، وتوسع ليشمل إجمالى تأثير دولة على دولة أخرى، أو بالأحرى تأثير حضارة على حضارة أخرى، فإن

النمو في عدد الفاعلين أصبح أكبر. ولا بد أن يشمل التعدد المصدرين المرئيين والخفيين وحتى السياح والأنشطة المتعلقة بكل العلاقات. وحسب لغة المسرح ، فإن المسرحية لم تعد دراما كلاسيكية على مسرح صغير، ولكنها تحوالت إلى فيلم ملحمي يعمل فيه الآلاف.

أبعاد التحول من الدبلوماسية القديمة إلى الدبلوماسية الجديدة :

الغرض من هذا المسح "لغزوات" المنظر الواجبة السياسية هو شرح التحول من "الدبلوماسية القديمة" إلى "الدبلوماسية الجديدة" استجابةً للتغيرات المهمة في الشؤون الإنسانية التي شهدتها القرن العشرين. وعلى الرغم من أن كل من "الغزوات" مهمة في حد ذاتها، إلا أن تأثيرها الجماعي هو الذي أدى إلى تحول العلاقات الدولية. فهي مزيج قوى جدا من المادة والعملية. وهي مجتمعة قد أثرت بعمق في الدبلوماسية في كل معنى من معانيها الستة التي أشرنا إليها في صدر هذه المحاضرة. فقد وسعت بشكل كبير مضمون الشؤون الدولية. كما أنها أدت إلى تعقيد كبير في إدارة السياسة الخارجية. كما أنها عقدت أيضا إدارة العلاقات الدولية لأنها جعلت البديل المخيف للحرب أكثر تدميرا بشكل غير محدود. أما عن جهاز إدارة العلاقات الدولية، فقد أصبحت الدبلوماسية أشبه بمشروع تجاري، بينما كانت في الأيام الخوالي في ظل "الدبلوماسية القديمة" شبيهة أكثر بالفن^(١٤). وعلى الوتيرة نفسها فإن الطريقة التي تدار بها العلاقات قد مرت بتحول عميق. وأخيرا، فإن "الغزوات" سواء أكانت جماعية أو تراكمية، قد أحدثت تغييرا عميقا في المهارات والمعرفة المطلوبة للقيام بعمل الدبلوماسي، بينما لم تغير بالقدر نفسه الصفات الشخصية التي يحتاجها الدبلوماسي رجلا أو امرأة للقيام بها بنجاح.

والمحاضرات التالية تسمى لتوضيح الانطباع المشترك لكل هذه التغييرات في العمل الدبلوماسي، مسجلة التحول من "الدبلوماسية القديمة" إلى "الدبلوماسية" الجديدة. وتراعى المحاضرات التتابع الذي جاء في المقدمة، والذي يناقش وضع إطار لتنمية القدرة على المساعدة في وضع السياسة، وهو مطلب رئيسي للدبلوماسي. وتحلل المحاضرتان الثانية والثالثة الآثار العملية للتحول من الدبلوماسية القديمة إلى

الدبلوماسية الجديدة، سواء بالنسبة لطبيعة العالم اليوم أو للمشكلات التي تواجهها الحكومات الوطنية في تنظيم جهودها للتعامل معها. وهي تغطي على التوالي "طبيعة المجتمع الدولي اليوم" و "السيادة الوطنية وحدودها". وتنتقل المحاضرة الرابعة إلى الجوانب المؤسسية، فتناقش الأمم المتحدة والتعبير المؤسسي الرئيسي للدبلوماسية الجديدة والعنصر الحيوى فى عالم اليوم القائم على الاعتماد المتبادل. ولا يمكن لأحد أن يتصور أن كل شئونها يمكن أن يتم تناولها حصرا بالأمم المتحدة أو عن طريقها هي ومنظمتها، التي ترتبط بها فى نظام الأمم المتحدة. فالأمم المتحدة شرط ضرورى ولكنه ليس كافيا للإدارة المناسبة لعالم اليوم. فما الذى يكون شرطا كافيا؟ بالطبع، ليس هناك إجابة واحدة. والطريقة العملية لمعالجة القضية هي النظر إلى حقيقة الاقتصاد العالمى والتدابير التي تحتاجها الحكومات لإدارتها، بالاعتراف الكامل بالعوامل غير الاقتصادية - أى العوامل الاجتماعية والتنموية والبيئية والأمنية - التي لها صلة بالموضوع. هذه هي مهمة المحاضرة الخامسة.

وتتناول المحاضرة السادسة "هندسة العمارة الأوروبية"، وهي مجموعة غير عادية من التدابير التي لا تؤثر فقط على قارة أوروبا، من الناحية الجغرافية، ولكنها تؤثر أيضا على الأطلنطي وعلى روسيا وكذلك اليابان. ولا يعكس هذا أهمية البعد الأوروبى للدبلوماسية القديمة والتحول إلى "الدبلوماسية الجديدة" فحسب، ولكنه يعكس أيضا العنصر الأوروبى الحيوى فى ضمان سلام ورفاهية العالم مستقبلا. وملحق المحاضرة السادسة يستعرض اتفاقية السلام الخاصة بالبوستنة والهرسك من وجهة نظر الجوانب المؤسسية المرتبطة بها.

وتقترب المحاضرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشر من "الدبلوماسية الجديدة" من جانبها التنفيذى. كما أنها تعود مرة أخرى إلى الظواهر التي غطتها المحاضرات الست الأولى على التوالي من وجهة نظر صنع السياسة الخارجية، وتنظيم الخدمات الدبلوماسية المحترفة، وأخيرا مهارات الدبلوماسى الفرد. وقد يختلف ميزان التأكيد بين المادة والعملية فى هذه المحاضرات الأربع - إلى حد ما - عن الميزان فى المحاضرات الست السابقة. ومع ذلك يبقى المزج بين الجوهر والعملية لا فكاك منه.

ولأسباب تم ذكرها في المحاضرات، فإن عام ١٩٩٥ كان عاما مثمرا بشكل خاص لدراسة تطور "الدبلوماسية الجديدة"، ولا سيما ما يتعلق بالأمم المتحدة في عام يوبيلها الذهبى، والموقف فى أوروبا فى أعقاب الحرب الباردة وانهار يوغوسلافيا السابقة.

(٢)

طبيعة المجتمع الدولي اليوم

تتبعت المحاضرة السابقة تطور الدبلوماسية من "الدبلوماسية القديمة إلى الدبلوماسية الجديدة" خلال القرن العشرين، استجابة لسلسلة من "الغزوات" القائمة على الاعتماد المتبادل والخاصة بالواجهة السياسية بواسطة ظواهر "غير سياسية"، مدفوعة بتفاعل الصالح العام والوعى العام والثورة فى الاتصالات. فما يواجهه الدبلوماسيون اليوم مختلف إلى حد كبير عما واجهه من سبقوهم منذ قرن مضى. فصنع السياسة يجب أن يضع فى الاعتبار مجموعة من الظواهر الأوسع والأسرع فى التغيير، وأن تعمل تحت الأضواء المبهرة للإعلام. وعلينا أن نكون واضحين على قدر الإمكان بالنسبة لطبيعة المجتمع الدولي اليوم.

وهذه المحاضرة تناقش أربعة مقترحات تلخص التحول من "الدبلوماسية القديمة" إلى "الدبلوماسية الجديدة"، وتوضح ما ينبغى على الدبلوماسيين ومن هم فى خدمتهم أن يضعوه فى حساباتهم بدرجة لم تكن مألوفة فى القرون الماضية:

(أ) كلمة "نولى" لا تعنى أبدا كلمة "بين الحكومات".

(ب) التمييز بين الشؤون الخارجية والشئون الداخلية قد لفه الغموض، وقد ظهر مع بداية الاعتماد المتبادل وتأثيره على كل مناحى الحياة.

(ج) هذا هو عصر الرجل العادى والمرأة العادية.

(د) تزايد ما هو مطلوب من الحكومات فى وقت تضمحل فيه باستمرار قدراتها على تقديم ما هو متوقع منها فى المجالين الداخلى والخارجى.

وسيتم بحث هذه الافتراضات كل على حدة. أما عن الجوانب الأخرى للاعتماد المتبادل، فإن تأثيرها الجماعي والتراكمي، وليس تأثيرها الفردي، هو الذي يخدم في تشكيل المجتمع الدولي اليوم، ومن ثم في تشكيل صنع السياسة بطريقة فعالة. وستركز هذه المحاضرة على الجانب العملي للتحليلات، وبهذا تساعد على تمهيد الطريق للمسح في المحاضرة الثالثة الخاص بأبعاد سيادة الدولة و"شرعية" أنشطة الدولة في ميدان السياسة الخارجية.

ما بين الحكومات وما بين الدول

عندما ظهرت كلمة "ما بين الدول" (أو كلمة "دولى") لأول مرة في نهاية القرن التاسع عشر، كانت الكلمة تعنى عملاً "ما بين الحكومات". وهناك تكرار للمعنى لا ضرورة له في هذا التبسيط المريح. ولا يوحى هذا بأنه لم يكن هناك صلة عبر الحدود لم تأخذ شكل المعاملات فيما بين الحكومات. وكان الموقف أقرب إلى وجود قدر كبير من مثل هذا الاتصال، ولكنه كان أساساً اتصال ذا طبيعة خاصة وليست قومية أو متصلة بالدولة، ومن ثم كان متسماً بأنه بين الحكومات. وهذا الاعتماد المتبادل أثر على هذه الحالة في جانبين. أولاً، زاد نطاق الأمور التي تؤثر في المواطن بشكل فردي كما تؤثر في الاقتصاد أو المجتمع ككل، زيادة كبيرة وهذه الأمور لسبب أو لآخر أصبحت من بين الاهتمامات المباشرة للحكومات. ثانياً، نما المكون الخارجى لحياة الأمة نمواً كبيراً حتى إنه أصبح عاملاً رئيسياً في اهتمامات الحكومة، بصرف النظر فعلاً عن مضمونه الدقيق المتعلق بما بين الحكومات. وبهذا كان التغيير له طابع النوع والدرجة معاً.

ولهذا فإن التمييز بين ما هو بين الدول وما هو بين الحكومات لا يتعلق بمجرد جدل نظري. فالإدارة الرشيدة للعلاقات الدولية تهتم بالمحافظة على العلاقات الدولية وتقويتها مع تجنب مصادر الخلاف والنزاع، ومن ثم البعد عن خطر الاحتكاك أو ما هو أسوأ بين الأمم. فأي مصدر للخلاف أو النزاع، مهما كان هذا المصدر غامضاً، لا بد أن يكون محل اهتمام المسؤولين عن السياسة الخارجية وعن المحافظة على الأمن

والرفاهية في البلاد. لقد استطاع الاعتماد المتبادل أن ينشر شبكته على نطاق واسع. وفي النماذج الدبلوماسية البسيطة، قد توجد مصادر الخلاف في الأمور "السياسية" حصرا بطريقة أو بأخرى وفي السياسات الخاصة بها، والتي تتبعها حكومات استبدادية ذات سيادة تتسم بالسرية والتي تحكم البلاد باقتصاديات مكتفية ذاتيا إلى حد ما. وفي الظروف الدولية الأكثر تعقيدا قد تنشأ التوترات بسبب مشكلات اقتصادية. فالاقتصاد متعلق بالندرة. وحيث لا توجد ندرة، لا حاجة للاقتصاد. أما إذا وجدت الندرة، فإنه توجد منافسة بين الاستخدامات الممكنة ومستخدمى الموارد محل النقاش.

وباعتبار أن الحكومات أهم الشخصيات المعنوية في العلاقات الدولية، فإنها لا تعبر فقط عن السياسات السياسية والاقتصادية المتنافسة، وإنما أيضا عن الاختلافات الايديولوجية والدينية. وقبل القرن العشرين انعكست هذه المنافسات والاختلافات في العلاقات بين الحكومات. وفي مقال لاقت للنظر ظهر في صيف ١٩٩٣ في مجلة الشؤون الخارجية *Foreign Affairs* التي يصدرها مجلس العلاقات الخارجية، وجه الاكاديمى الأمريكى البارز البروفسور صمويل هانتنتجتون Samuel Huntington السؤال التالى: هل نحن نواجه الآن "صدام حضارات"؟ *clash of civilisations*. ومن رأيه أن المصدر الأساسى للصراع فى السنوات القادمة لن يكون ذا طابع ايديولوجى أساسا أو اقتصادى أساسا: فالانقسامات الكبرى بين البشر والمصدر الغالب للصراع ستكون ذات طابع حضارى. وسيعم صدام الحضارات السياسة العالمية^(١).

وكما كان متوقعا، فإن اطروحة البروفسور هانتنتجتون لم تمر بلا اعتراض. ومع هذا فإن رسالتها الأساسية رسالة لا يمكن للدبلوماسيين أن يتجاهلها ببساطة. وقد استمرت الدول القومية والحكومات باعتبارهما فاعلين رئيسيين فى إدارة العلاقات الدولية. ولكن - كما سبق أن لاحظنا - يوجد الآن عدد كبير من الفاعلين. ولهذا يجب أن نفتح أذهاننا لأى من العوامل التى يجب أن تستحوذ على اهتمامنا قبل غيرها فى لحظة معينة. وربما كانت كلمة "دولى" تحتاج إلى إعادة تعريف، ينتقص من قيمتها ولا يكون تعريفا محايدا، بحيث يوضح أنها "تميل"، أو قد تميل، إلى التسبب فى صعوبات فى عالم قائم على الاعتماد المتبادل. وقد لاحظ أحد الخبراء بضجر قائلا: "إن الشؤون الدولية هى شىء لعين يتلوه شىء لعين آخر". وقد وصف الروائى البريطانى المرموق إ. م. فورستر E.M. Foster السياسة الحديثة بأنها "برقيات وغضب".

الشئون الخارجية والداخلية

يمتد عدم الدقة فى المعانى المتعددة التى تحيط بمصطلح "الدبلوماسية" وهو ما أشرنا إليه فى المحاضرة الأولى، إلى مسألة التعريف - لأسباب تتعلق بالإدارة والعمل - بما هو مقصود بالشئون الخارجية ، التى عادة ما يكون هناك وزير رفيع المستوى أو وزير دولة مسئول عنها دستوريا . إن ما نتحدث عنه فى الواقع هو المكون الخارجى للحياة الوطنية، والذى قد يسود فى ظروف الاعتماد المتبادل الحديث. ومن هنا فإن المفهوم التقليدى بأن الشئون الخارجية هى تخصص قائم بذاته وشديد الغموض، ويمكن أن يبتعد عن باقى الشأن العام وأن يتم التعامل معه منفصلا عنه، هو مفهوم لم يعد بعد الآن يصمد أمام التمهيع النقدى. فقد وضع منذ ما يقرب من قرن أن عناصر هذا المكون الخارجى يجب النظر إليها فى علاقتها بهذه الجوانب من العمل الداخلى المتصلة به، بمثل ما ينظر إلى عموم الشأن الخارجى الذى يعتبر وزير الخارجية المحرك الأساسى له والموصى له بكل تركته. وبمعنى آخر، على المرء أن يتناول الشئون الخارجية من وجهة نظر أنها "أمر يتعلق بشئون، ومن وجهة نظر أخرى على أن هذه الشئون أمر يتعلق "بالخارج" ومن هنا كانت ضرورة وجود جهاز فعال للحكومة لإدارة السياسة الخارجية، وهذا الموضوع سنعود إليه فى المحاضرتين السابعة والثامنة. ولكن هناك وجهة نظر أخرى، وبخاصة مثلا فى حالة الدول الصغيرة التى تدخل فى تجمع بولى متكامل بشكل وثيق مثل الاتحاد الأوروبى، حيث المكون الخارجى لا يمثل الذيل الذى يهز الكلب ولكنه يمثل الكلب نفسه.

فى حالة المملكة المتحدة، يوحى هذا بتشابه عجيب مع الموقف قبل إنشاء وزارة الخارجية البريطانية عام ١٧٨٢^(٢)، فقد تطور مكتب وزير الدولة منذ العصور الوسطى. وفى القرن السابع عشر كان هناك وزيران رئيسيان للدولة وكل منهما مسئول عن جوانب من الشئون الداخلية والخارجية معا. واعتبارا من عام ١٧٤٠ انقسمت مهامهما إلى مجالات جغرافية تقريبا، شمالية وجنوبية. وتمشى هذا بوجه عام مع تقسيم أوروبا إلى دول كاثوليكية وبروتستانتية خلال حرب الثلاثين عاما كانت الإدارة الشمالية تغطى الإمبراطورية الرومانية المقدسة وهولندا واسكندنافيا وبولندا وروسيا، بينما الإدارة

الجنوبية تغطي فرنسا ودول أمريكا اللاتينية وتركيا. وخلال القرن الأول الذي طبقت فيه الدبلوماسية القديمة، كانت السياسة الخارجية لبريطانيا تدار بما يتمشى مع السياسة الداخلية. ونتيجة لإصلاحات ١٧٨٢، تحولت الإدارة الشمالية لتصبح المكتب الخارجى (أو ما يعادل وزارة الخارجية - المترجم)، وتحولت الإدارة الجنوبية لتصبح المكتب الداخلى (أو وزارة الداخلية)، ولكن مع مسئوليته عن المستعمرات (وكان قد انخفض عددها إلى ١٢، نتيجة لحرب الاستقلال الأمريكية). وكان المبرر لتقسيم العمل هذا منذ ٢٠٠ عاما هو الحميمية بين مختلف جوانب المكونات الخارجية والداخلية للحياة الوطنية، مهما كان الإجمالى النسبى لأحد المكونات على الآخر. وكلما كانت هذه الجوانب معقدة كلما كان من الصعب تحقيق هذه الحميمية بشكل كاف.

عصر الرجل العادى والمرأة العادية

قد يبدو من الغريب وصف القرن العشرين، الذى شهد من قبل أهوالا لا يمكن تصورها عانى منها الفرد، بأنه عصر الرجل العادى والمرأة العادية. إن هتلر وستالين وحتى ماو لاد أنهم كانوا متنافسين على لقب أعظم عدو للجنس البشرى. ومن المؤكد أن ما أحدثته حربان عالميتان، والوصول إلى الذروة بإلقاء قنبلتين ذريتين على اليابان، لا يمكن مقارنتها بالنسبة للبؤس الإنسانى، بأى معاناة سابقة للبشرية. فقد كان المزيج من التكنولوجيا والبيروقراطية والأيدولوجية أمرا مهلكا بوجه خاص. وكان القرن العشرون أكثر القرون دموية فى التاريخ. وعلى الرغم من أنه خلال الخمسين سنة الأخيرة نجت البشرية من أى تكرار للحربين العالميتين اللتين نكبنا النصف الأول من القرن، إلا أن عشرات الملايين من البشر لاقوا حتفهم نتيجة للصراع. واعتبر خطر التدمير النووى وتطوير أسلحة أكثر شرا للدمار الشامل وتحسين فاعلية الأسلحة الكيماوية والجرثومية، أبشع شهادة على تطبيق التقدم التقنى فيما يعود بالضرر وليس المنفعة على البشر. والإرهاب - وهو أصلا كارثة - يمكن أن يصبح أسوأ بكثير إذا استطاع أن يصل إلى الأسلحة المتقدمة جدا. والهجرة الإجبارية هى أوضح دليل على الحرمان المستشرى بين سكان العالم المتزايدين بسرعة.

ولكن ليست هذه هي القصة بأكملها. فالحياة لن تخلو أبدا من الخطر والعوز. كما أنه ليس من قبيل الاستنارة محاولة وضع صحيفة تستهدف المنفعة وتوازن بين الألم واللذة في جيل واحد ومقارنته بجيل آخر. فاهتمامنا منصب على أبعاد إدارة العلاقات الدولية بالنسبة لخصائص المجتمع الدولي اليوم. وفي هذا الشأن يبدو الافتراض بأن عصرنا هو عصر الرجل العادي و المرأة العادية افتراضا أساسيا. وربما كان أهم جانب يختلف فيه المجتمع الدولي عن موقف "الدبلوماسية القديمة" إنما يتمثل في وضع النساء ، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا. وقد شهد القرن العشرون خطوات واسعة، ليس في التحرر السياسى والاجتماعى لنصف الجنس البشرى فحسب، وإنما أيضا في وضعه الاجتماعى. فمنذ مائة عام مضت كان من الطبيعى التحدث عن "الرجل العادى" عند الإشارة إلى السكان ككل. أما اليوم، فإنه حتى مع تأكيد الذكور المتعصبين بأن كلمة "الإنسان" (ومعناها أيضا الرجل) man يجب النظر إليها على أنها تشمل "المرأة" أيضا، فإن هذه الجملة تبدو مزيفة بشكل واضح. وبالطبع هناك طريق طويل لا بد من قطعه قبل أن يعتبر وضع المرأة مساويا للرجل، فى أى تعريف يكون مقبولا. ولكن التجمع الكبير فى بكين فى سبتمبر ١٩٩٥، بمناسبة المؤتمر الرابع للأمم المتحدة عن المرأة كان رمزا للتقدم الذى تم إحرازه بالفعل. وقد أشرنا إلى هذا الحدث بتفصيل أكثر فى المحاضرة الخامسة.

والافتراض بأن عصرنا هو عصر الرجل العادى والمرأة العادية يمكن تقسيمه إلى ستة افتراضات فرعية:

- (أ) أصبح مصير ورفاهية الفرد، أكثر من أى عهد مضى، بمثابة بؤرة الاهتمام العالمى بصنع السياسات، بالنسبة للشئون الداخلية والشئون الدولية معا.
- (ب) حققت حقوق الإنسان أولوية لم يسبق لها مثيل من قبل.
- (ج) المدخلات غير الحكومية فى إدارة العلاقات الدولية أكبر من أى وقت مضى.
- (د) متوسط مستوى المعيشة حاليا هو الأعلى فى التاريخ.

(هـ) على الرغم من أن الأصولية تعتبر دائما في المناقشات السياسية مثيلا للتعصب والطغيان والإرهاب، فإنها لا يجب أن تعتبر مجرد مرادف للاغتراب أو التطرف. بل إنها إنذار بأن الأفراد هم الفيصل النهائي للسياسات.

(أ) بؤرة صنع السياسات :

إن أولى هذه الافتراضات الفرعية يعكس الخصائص البارزة للدبلوماسية الجديدة، والقرن العشرين الذي تخدمه، وهي الدور الذي بدأ الفرد يحتله في أولويات صنع السياسات، قومية وبوليا. وقد تم التأكيد على رفاهية الفرد في ديباجة ميثاق الأمم المتحدة بشكل مباشر وواضح بعيدا جدا عن "الدبلوماسية القديمة". إن أفكار الديمقراطية والمسئولية الديمقراطية لها تاريخ طويل ومشرف. فإعلان الاستقلال الأمريكي يتحدث عن أن الحياة والحرية والسعى وراء السعادة هي حقوق لا يمكن التفریط فيها. ولكن في أوروبا وفي الإمبراطوريات في القارات الأخرى حيث السيطرة، كانت المسألة مسألة سيادة وخضوع أكثر منها حكومة مسؤولة ومواطنين. ففي العالم القديم، والعالم الحديث نفسه، كانت العبودية هي البنية التحتية لمؤسسات الديمقراطية. وبعد التسامح المسموح به في الفجوة بين الطموح (أو الهدف) والواقع، نجد أن "الدبلوماسية الجديدة" قد حققت الكثير لجعل الحاضر عصرا تكون فيه الحياة مجزية أكثر لعامة الشعب. و"الحكم الرشيد" "Good governance" هو تعبير عن قبول الذين تم انتخابهم للمسئولية الشاملة لإدارة الشؤون لما فيه صالح الفرد وليس الدولة. واللائمة المرتبطة بقبول هذه المسئولية هي الاعتراف بأن القدرة على القيام بها بما فيه رضا عامة الناخبين هو المصدر النهائي للشرعية الديمقراطية.

وهناك جانب من التركيز على الفرد وله أهمية خاصة في إدارة العلاقات الدولية، وهو الاهتمام بالجانب الإنساني. فالاستجابة الدولية السريعة والسخية للتخفيف من وطأة الكوارث، سواء أكانت كوارث طبيعية أم من صنع الإنسان، كانت مظهرا بارزا للعالم القائم على الاعتماد المتبادل. ويمكن أن نرجع كثيرا من الفضل في هذا إلى التليفزيون، باعتباره وسيلة لقيامه بإذاعة الفظائع التي تصيب الإنسان نتيجة هذه الكوارث

إلى غرف المعيشة فى أنحاء العالم، مما يساعد على التحفيز لتوفير الموارد المالية لمساعدة جهود الإغاثة. ولكن هذا النبض من التعاطف الإنسانى ليس أمراً منعزلاً أو سريع الزوال. فهو مرتبط بالجهود المطردة الضرورية لمساعدة جهود التنمية فى الدول النامية. فالتعاون فى التنمية الدولية عمل كبير ومركب. ومع هذا فإن الاحتياجات التى يتطلبها هذا التعاون تبدو أنها تتجاوزه.

وكذلك لا تعتبر الهموم الإنسانية شيئاً منفصلاً عن السياسة الاقتصادية وأنها مفروضة عليها بطريقة أو بأخرى . فهى كامنة فى الاتجاهات الاجتماعية، وقد افترض مؤسسو النظرية الاقتصادية وجودها شرطاً ضرورياً لتنفيذ توصياتهم. وقد وصف آدم سميث Adam Smith فى الصفحة الأولى لأطروحته العظيمة بعنوان "ثروة الأمم" *Wealth of Nations* بأنه "أستاذ سابق للفلسفة الأخلاقية فى جامعة جلاسجو". وكانت عقيدته الأساسية باعتباره فيلسوف أخلاقى تقوم على أن جميع مشاعرنا الأخلاقية تنشأ من "التعاطف"، الذى كما يقول "يقودنا إلى الدخول فى مواقف الآخرين فننتقاسم معهم مشاعرهم التى تستثيرها هذه المواقف"^(٣).

(ب) حقوق الإنسان :

وحتى إذا اعتبر المجتمع الانسان بؤرة صنع السياسات، فإن هذا يختلف عن أن نضمن له أو لها الحريات الأساسية التى تجعل الحياة مجزية أكثر. فالإنسان لا يجب أن يكون مجرد أحد موضوعات اهتمام المجتمع، ولكن لابد أن يكون هو الأساس.

وبهذا المعنى، فإن القرن العشرين، بكل مثالبه، يستحق لقب عصر الرجل العادى والمرأة العادية. إن توافق الآراء الذى انعكس فى المداولات ونصوص تأسيس الأمم المتحدة ينص على أن الفرد ينبغى أن يطمح إلى التقدم الاجتماعى ومستويات أفضل وأن تقدم له المساعدة لتحقيق ذلك "فى نطاق حرية أوسع"^(٤). من هنا جاء الالتزام بالتعاون الدولى فى "تنشيط وتشجيع احترام حقوق الإنسان للجميع دون تمييز بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين". وللمرة الثانية، فإن هذه المشاعر لم تظهر على

المسرح كاملة النمو. فهي نتاج قرون من الأفكار والضغط والتضحيات. كما أن وضعها في وثائق، مهما كانت جادة، ليس ضمانا لتنفيذها. ومع هذا فإنها تمثل، إلى حد غير مسبوق في التاريخ، الغرض المعلن للمجتمع الدولي باحترام الفرد وتنمية إمكانياته.

(ج) المؤسسات الديمقراطية :

هناك مظهر رئيسي للدبلوماسية الجديدة هو أن يطبق على المجتمع الدولي مبادئ الديمقراطية وإقامة المنظمات للتعبير عنها، وخاصةً عصابة الأمم والأمم المتحدة. وفي الوقت الذي لا يمكن فيه الافتراض بأن إقامة هذه المنظمات كان يهدف فقط إلى دعم عصر الرجل العادي والمرأة العادية، فإن العمل الجيد للمنظمات الدولية الديمقراطية كان مع ذلك وثيق الصلة بالموضوع. فالديموقراطية في الدول ذات السيادة، التي يمكن أن تضم دولا ذات طابع استبدادي لا يمكن - كما سبق أن قدمنا - أن تضمن حرية الفرد داخل هذه الدول الاستبدادية. ولكن ضغط الرأي العام الدولي يعزز الضغوط داخل كل دولة لضمان حقوق الإنسان واحترام الفرد. وبمعنى آخر فإن الرجل العادي والمرأة العادية لديهما مصدر للمساندة في الخارج من نوع لم يسبق وجوده. فالحركة المناهضة للفصل العنصري anti-Apartheid هي أبلغ مثال لهذا. فهذه المساندة كانت أيضا عاملا له أهمية كبرى للشعوب المضطهدة في ظل الإمبراطورية السوفيتية السابقة. وهو ما ينطبق على كثير من الدول اليوم.

(د) المشاركة في صنع السياسة الخارجية :

لقد أوضحنا وجهة النظر بأنه يوجد الآن عدد كبير من الفاعلين في إدارة العلاقات الدولية. ومدخلات هؤلاء الفاعلين تختلف اختلافا بينا. فهذه المدخلات قد تكون مباشرة أو غير مباشرة. وهي مهمة باعتبارها عوامل تؤخذ في الحسبان عندما تصنع الحكومات سياساتها، وهناك احتمالات أن تزيد أهميتها. وقد أشرنا إلى الأبعاد العملية في المحاضرتين الرابعة والسابعة، وتتناول الأمم المتحدة وتشكيل السياسة الخارجية.

والنقطة ذات الصلة فى السياق الحالى ليست فى أن نطاق المشاركة الشعبية فى تحديد السياسة الخارجية أصبح أكبر فحسب، ولكن فى أن السياسات الحكومية القائمة على استشارات ومساندة شعبية مصيرها إلى الفشل أيضا. ويمكن النظر إلى معاهدة ماستريخت على أنها أشبه بحالة كتاب مقرر للاستشارات غير الحكومية فقد الصلة تماما برأى الناس العاديين.

وعلى الرغم من أن معاهدة ماستريخت لافتة للنظر باعتبارها مثالا للمشاركة غير الكافية من جانب الناخبين، وهم مختلفون عن الحكومات، فقد طواها النسيان بانهيار الإمبراطورية السوفيتية. وانتهت سبعون عاما من القهر والتلقين والرعب، بنى خلالها جهاز من السيطرة غاية فى التعقيد، وتميزت النهاية بفشل الحكومات وانهيار النظام الذى حرصت على الدفاع عنه. ولم تتحطم الإمبراطورية السوفيتية بفعل قوى خارجية ولا حتى بثقل عدم كفاءتها. لقد قام الناس العاديون بتثبيتها جانبا.

(هـ) مستوى المعيشة والتنمية البشرية :

إن صلاحية الافتراض بأن عصرنا هو عصر الرجل العادى والمرأة العادية يحتاج إلى اختبار، ليس من ناحية التطلع أو الالتزام الجماعى فحسب، ولكن أيضا بالنسبة للنتائج. فقد حقق القرن العشرون نتائج باهرة. إذ ارتفعت مستويات المعيشة ولم يقتصر ذلك على العالم المتقدم، إنما تعداه إلى عدد من الدول النامية، بطريقة جعلت المستفيدين يشعرون بالامتنان بينما كانوا فى الغالب لا يميلون إلى أخذ الأمور على علاتها.

ولا يعنى هذا أبدا أننا نوحى بأن مشكلات الفقر والعوز فى العالم قد تم حلها. فهذا أبعد ما يكون عن الواقع، ولكن الاحتمالات الاقتصادية والفنية وحتى السياسية ما تزال ماثلة حتى الآن بحيث يمكن الوصول إلى الحد الأدنى من المستوى المقبول للوجود فى متناول سكان العالم المتزايدين ككل. ويتمثل أحد أهم التطورات فى السنوات الأخيرة فى نمو النشاط الاقتصادى فى أكثر دول العالم ازدهاما بالسكان وهى الصين والهند.

وقد وصل معدل نمو إجمالي الناتج القومي للصين في السنوات العشر الماضية إلى حوالي ١٠ في المائة سنويا. ووصل المعدل في الهند عن الفترة نفسها إلى أكثر من ٥ في المائة وهو إنجاز ملحوظ طبقا للمستويات التقليدية للاقتصاديات الغربية. وهاتان الدولتان تضمان معا ثلث سكان العالم، ومن ثم يفترض أنهما تواجهان صعوبات لا حل لها بسبب مجرد عدد السكان وحده. وقد قيل إن أغنى إقليم صيني وهو كانتون الجنوبية كانت قد وعدت بالقضاء على الفقر بحلول عام ١٩٩٧ عندما تعود للصين جارتها هونج كونج، التي تتمتع بأكبر دخل للفرد في العالم. وإذا كانت الصين والهند قد استطاعتا تحقيق تقدم كبير، فإن مناطق الفقر المدقع في أجزاء أخرى من العالم، وخاصة في أفريقيا تطرح على المجتمع الدولي مشكلة أقل تطابقا.

وهناك التنبؤات متفائلة متكررة عن احتمالات النمو طويل الأجل لإجمالي الناتج المحلي ودخل الفرد في العالم. وحسب أي تحليل "موضوعي" فإن هذه التنبؤات، إذا كانت أقرب إلى الدقة في أي مكان، فإنها ستولد لسد احتياجات مستوى كريم للمعيشة للجميع. ومع هذا فإن أهم جملة هنا هي "التحليل الموضوعي". فكلما ارتفعت المستويات ارتفعت التوقعات. ويحدث الشيء نفسه لدى المقبولية فيما يتعلق بما يشكل مستوى معيشة مقبول. فالمشكلة ذاتية كما أنها موضوعية.

وبالطبع فإن مستوى المعيشة ليس هو مسألة دخل الفرد وحده. فميثاق الأمم المتحدة، كما سبق أن ذكرنا، تحدث عن التصميم على "دعم التقدم الاجتماعي والمستويات الأفضل للمعيشة في حرية أكبر"، وبمفهوم أوسع. وفي السنوات الأخيرة قام البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة بمزج مؤشرين آخرين - تعليم الكبار وتوقع الحياة - مع القوة الشرائية لإصدار دليل للتنمية الإنسانية. وفي عام ١٩٩٥ قدم البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، في سياق مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة في بكين مؤشرين جديدين لدراسة النوع الاجتماعي والتنمية، الأول هو دليل النوع الاجتماعي، الذي يتواءم مع دليل التنمية الإنسانية بحيث يظهر الاختلاف بين الرجل والمرأة. والمؤشر الثاني هو مقياس تمكين النوع الاجتماعي، الذي يقيم تقدم المرأة من الجانبين الاقتصادي والسياسي. وكلا المؤشرين يشيران إلى أن عدم المساواة في النوع الاجتماعي Gender (أي في الأدوار الاجتماعية للرجل والمرأة - المترجم) هو ظاهرة عالمية.

وقد علق المؤرخ ارنولد توينبى Arnold Toynbee بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بقليل بأن عصرنا هو أول جيل منذ فجر التاريخ تجرأ فيه الجنس البشرى فى إيمانه بأنه من العملى توفير مزايا الحضارة للجنس البشرى بأكمله. ويعتبر من قبيل التكهن ما إذا كان توينبى ومعاصروه سيشعرون بالثقة نفسها فى هذا الاحتمال إذا كانوا قد علموا أن سكان العالم سيزيد بأكثر من الضعف قبل نهاية القرن. ومع هذا فإن ما حدث قد دل على أن طموحات خمسين عاما مضت لم تكن فى غير موضعها تماما.

فقد تحدث توينبى عن مزايا الحضارة، وهو مفهوم أوسع من مستوى معيشة أفضل، حتى عندما يؤدى إدراج أدلة كيفية مثل دليل التنمية الإنسانية إلى تكملة المعايير الاقتصادية البحتة. وجهة النظر هذه تستحق التأمل. فالارتفاع فى مستوى المعيشة قد لا يكون خيرا مطلقا، فهو أقل إشباعا عندما يتم تناوله اعتباره وسادة، ويؤدى إلى انهيار فى الكفاءة والحيوية التى أنتجها لأول وهلة. ويمكن للأمن الاجتماعى أن يبطل الدافع للإسراف والاستعداد لتقديم تضحيات. إن إتاحة القروض على نطاق واسع يخدم العملية الإنتاجية بلا شك، ولكنه قد يعطى الإشباع أولوية على حسن التدبير. فالمديونية الطوعية قد تكون مؤذية فى آثارها مثل المديونية غير الطوعية. والنزوع إلى الاستهلاك مسألة تتعلق بالتركيز على الذات. وما يشار إليه بشكل ممتع على أنه "روح الرواد الأوائل" وهو الشعور بأن الجهود التى سبق أن بذلها الأجداد تبرر سهولة الحياة التى ينعم بها الأحفاد - هو مثال كلاسيكى للنجاح الذى يحمل معه بذور فئائه. ويشكل إجمالى، فإن الارتفاع السريع فى مستوى المعيشة قد يواكبه انهيار فى الفضائل المدنية التقليدية، وفقدان الهدف المشترك والإيمان. ولا يمكن أن نسمى ذلك تقدما.

وذات يوم كانت كلمة التغريب (Westernisation أو إضفاء الصبغة الغربية) مرادفة للتقدم. ولكن النصف الثانى من القرن العشرين شهد هذا القبول الآلى فى ظل مزيد من التحدى. كما أنه فى ظروف الاعتماد المتبادل الحديث، فإن سلطة الدولة تشكل عقبة فى سبيل التقدم فى بعض الجوانب، أكثر منها مصدرها الوحيد كما كان الحال فى القرون الماضية - وقد بحثنا هذه النقطة فى المحاضرة الثالثة - ولهذا توجد مقاومة متزايدة للمعادلة المبسطة بربط التغريب بالتقدم. وقد حدث انبعاث جديد لما هو معروف "بالقيم الآسيوية"، وتم التعبير عنه باقتصاديات ناجحة للغاية للدول المطلة على المحيط

الهادي. ويقول سفير سابق لسنغافورة: "الديموقراطية إحدى الفضائل في سلة من الفضائل التي لها وزنها". ومن غير المحتمل أن يكون المقابل الآسيوي للديموقراطية هو نفسه النموذج الغربي^(٥). فهو يركز أكثر على السلطة والخير المشترك. وقد كتب مستر ديفيد هاول David Howell - رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس العموم - نشرة بعنوان "التشريق أو إضفاء الصبغة الشرقية"^(٦). فيجب أن يكون واضحا لدى الغرب سبب تبني قيم "كونفوشيوس"، وخاصة ما يتعلق منها بتأكيد الوشائج الأسرية المتينة، التي يرى مستر هاول أنها ليست مظهرا بارزا للمجتمعات في شرق آسيا فحسب، ولكنها أيضا عنصر رئيسي لنجاح اقتصادياتها. وعلى أية حال، فإنه من الفطنة بالتأكيد توقع بعض ردود الفعل السلبية في الغرب، إن لم يكن أيضا في أماكن أخرى، لما يعتبر انهيارا للفضائل المدنية، ونموا للتجاهل القاضح للالتزامات وتركيز مبالغ فيه على الحقوق التي يبدو أن "التقدم" يسمح بها، إن لم يكن يشجعها في الواقع.

(و) الأصولية Fundamentalism والقدرة على استيعاب التغيير :

إن خبرة الحياة لا توحى بأن التقدم سيكون خاليا من العقبات أو المساوي. فمن الواضح أن التطورات العظيمة للقرن العشرين بما في ذلك "الدبلوماسية الجديدة" قد جعلت مصير الفرد مجزيا أكثر، إلا أن هناك ثمن لا بد من دفعه. ما هو الخطر الرئيسي الذي يجب على المهتمين بصنع السياسة الخارجية أن يأخذوه في الحسبان؟ ربما كانت الإجابة البسيطة هي: "هل أسباب الضيق والعناء التي فرضها التغيير السريع على الناس، وخاصة التغيير المستحدث من الخارج الذي يشعر أولئك الذين يقاسون من هذا العناء بأنهم لا سيطرة لهم عليه"، من الواضح أن التغيير أحدث تأثيرا متفاوتا على أولئك الذين تأثروا به، فقد تسبب في العناء والضيق داخل العائلات وداخل المجتمعات المحلية وبين الأجيال وبين المهن. وقد ينظر إليه على أنه تهديد للقيم الراسخة. وسيكون التهديد أعظم إذا نظر إليه على أنه شكل من أشكال العدوان من الخارج، حتى وإن كان قد اتخذ طابعا ثقافيا أو اقتصاديا وأكثر منه عسكريا. والتغيير يجب أن يتمشى مع الميول الفطرية وليس ضد هذه الميول، فالناس يحتاجون إلى

الجنور، ويحتاجونها حتى يتغذوا. ويعتبر الارتباك والاستياء من أعراض التغيير الذي يتم دون اعتبار لمشاعر السخط.

وعلى ضوء هذا يمكن "للأصولية" أن تكون مصطلحا مضللا، وخاصةً أنه غالباً ما يستخدم في مناقشة الإرهاب والروح القتالية. ومع هذا فإنه ليس مرادفاً للشعور بالاعتراض أو العنف أو التطرف. وهو أقرب أن يكون تحذيراً مفيداً بأن القدرة على استيعاب التغيير غير متعادلة. فالتغيير السريع قد يثير رد فعل قويا ومذهلاً. وبالنسبة لصانعي السياسات فإن الأصولية هي تذكير بأن القيم الأساسية يجب أن تحترم، وأن الرجل العادي أو المرأة العادية هما مستودع لهذه القيم الأساسية، مهما كان عدم الوضوح في تعبيرهما في أي موقف معين، وأن المواطن الفرد، بصفته مستودعاً للقيم الأساسية، فإنه من المحتمل أن تكون له الكلمة الأخيرة.

الضغط الواقع على الحكومات لإرضاء جماهير ناخبها :

النتيجة العلمية لكل مظاهر المجتمع الدولي اليوم - مثل الاعتماد المتبادل والتعقيد والتغيير السريع والمعلومات الآنية والتأثير المشترك ليس للدول فحسب ولكن أيضاً للثقافات بل والحضارات - يجعل مهمة الحكومات شديدة الصعوبة في المجال الخارجي والمجال الداخلي أيضاً. فالقضايا التي على الحكومات أن تتناولها والإجراءات التي يجب أن تتخذها تكتنفها صعوبات كبيرة ومتزايدة. ومع هذا يجب أن يضاف إلى ذلك العنصر الأكثر ذاتية، في الدول الديمقراطية على الأقل، للناخبين الأكثر إلحاحاً والأقل صبراً، بما يعكس قنوم عصر الرجل العادي والمرأة العادية. فالناخبون يطلبون المزيد والمزيد من حكوماتهم في الوقت الذي يزداد عجز الحكومات عن الاستجابة لمطالبهم. فالتطلعات المتزايدة للناخبين تواكبها تزايد الضعف الحكومي. ومن المفهوم سبب ادعاء المنتخبين للحكم، من أن لآخر، بأن البلاد "لا يمكن حكمها".

واحتمال عدم الاستقرار في مثل ما يقدمه هذا الموقف لا يحتاج إلى تأكيد. ومع ذلك لا يعني هذا الإيحاء بأنه لا توجد غير نتيجة واحدة وهي إنكار الناخبين المتزايد "لشرعية" الحكومات الوطنية. فالفشل المتكرر الواضح للحكومات قد لا يؤدي

فقط إلى الاستهتار بالحكومات والسياسيين ولكن أيضا إلى إدراك أكبر لمقدرة الحكومات على تلبية التوقعات المتزايدة. وعلى الأقل هناك افتراض مقنع فيما يبدو بأن هناك فجوة متنامية بين الخدمات المطلوبة من الحكومات الوطنية من جهة، وبين الخدمات التي تقدمها بالفعل من جهة أخرى، وأن هذه الفجوة ستشجع إدراك أن توفيرها حكوميا ليس دائما هو الحل. فجوهر سياسة الحرية وعدم التدخل قائم على أساس أنه لكي تحكم بطريقة أفضل من الضروري أن تحكم بالحد الأدنى. وهذه السياسة في الماضي قد تكون ركزت الاهتمام على التخلص من القيود على حرية الفرد. ولكن هذا المبدأ ينطبق أيضا على الإدعاء بتنظيم كل شيء مركزيا بما يستتبع ذلك من فرض معدلات عالية من الضرائب. فالحكومة "الكبيرة" باعتبارها المورد الشامل (للخدمات) ربما تكون قد وصلت إلى ذروتها في الستينات. وربما يكون هناك ميل مرة أخرى لصالح المجتمع المدني، وهو مفهوم مفاده أن المواطنين يتكفلون بحياتهم، مع توقع بأن الحكومة لا تفعل أكثر من ضمان الأمن والإمساك بالجرس (لدقه عند الخطر). والمجتمع المدني الدولي هو امتداد للمدخل نفسه^(٧).

نظام عالمي جديد أم فوضى؟

أدت عملية الأمم المتحدة عام ١٩٩١ المعروفة بـ"عاصفة الصحراء" لطرد العراق من الكويت، والتي جاءت بسرعة في أعقاب انهيار الكتلة السوفيتية ونهاية الحرب الباردة، لإنعاش الآمال في نظام عالمي جديد. وهناك مراجع عن "نهاية التاريخ"^(٨)، تمثل النصر "النهائي" للديموقراطية الليبرالية واقتصاد السوق على الشمولية والاشتراكية. وهذا التفاؤل - أو بالأحرى الشعور بالانتصار - سرعان ما تم الاعتراف به باعتباره مؤشر. وكان مصير يوغوسلافيا السابقة أبلغ دليل على تهديد الفوضى العالمية الجديدة، أكثر منه النظام العالمي الجديد. فقد حاصر الصرب من البوسنة: سراييفو في إبريل ١٩٩٢، مع إعلان نيتهم على "خنقها". وهناك مثال مرعب لما حدث. فهناك إغراء - من زاوية الحقبة التاريخية وليس الوحدة الزمنية التحكيمية - باعتبار بداية القرن العشرين في ٢٨ يونيو ١٩١٤، عندما اغتيل ولي عهد عرش هابسبرج في سراييفو على يد إرهابي من

الصرب، مما أدى إلى نشوب الحرب العظمى. ويمكن اعتبار أنها انتهت أيضا في سراييفو في إبريل ١٩٩٢. وبمعنى آخر فإن القرن الواحد والعشرين سيرث قلقا ناتجة عن نهاية الحرب الباردة وخط متزايد بين نظام الدولة والاعتماد المتبادل. ودلائل المستقبل في هذا التحليل كئيبة. فقد نواجه احتكاكا وسخطا لا نهاية لهما دون أن تكون هناك أرضية مشتركة ووسائل لمواجهةها بشكل جماعي.

ولكن هذه النظرة التشاؤمية يجب ألا تمر بلا تحدٍ. فالمجتمع الدولي لابد أن يتعلم أن ينظم نفسه ليتعامل مع الموقف الذي يواجهه. فإذا نجحت اتفاقية السلام بين البوسنة والهرسك، واعتبر أن القرن العشرين قد انتهى، ليس في إبريل ١٩٩٢ بنية صرب البوسنة على "خنق" سراييفو، ولكن في ١٤ ديسمبر ١٩٩٥، عندما وقعت اتفاقية السلام في باريس، فإن القرن الواحد والعشرين سيكون مشجعا بشكل أكبر بكثير. وهذه النقطة نوقشت باستفاضة في ملحق المحاضرة السادسة. ولكن مهما كان الإرث المعين الذي يورثه القرن العشرون للقرن الواحد والعشرين، فإن عناصر صنع السياسات الفعالة يمكن إدراكها. وأهمها: الواقعية والرغبة في مواجهة حقائق غير مقبولة. وقد علمتنا السنوات الخمس الماضية أن اليقظة التي ميزت السياسة الخارجية منذ عام ١٩٤٥ أمر لا غناء عنه. بل إن سرعة التغيير جعلتها أكثر ضرورة عن ذي قبل. وقد قيل: "إن الطبيعة تكره الفراغ". كما أنها تكره المبالغة في تبسيط الأمور. فالتغيير السريع نادرا ما يكون بسيطا. وعلم الأرصاد الجوية يقدم لنا بصيرة ذات صلة. ومشاهدو التلفاز يألّفون خطوط تساوي الضغط الجوي، وهي خطوط على خريطة تربط بين نقاط لها ضغط بارومتري متساو، وتطبيق هذا التشبيه على الجو السياسي واضح. ففي أحوال التغيير السريع لابد أن نتوقع جوا سياسيا عاصفا.

ثانيا: الشدائد يمكن أن تساعد في تحفيزنا على أن نحصى ما نحن فيه من نعمة. والتحليل الاقتصادي يقول بأن الافتراض بأن قيمة أى سلعة أو خدمة يمكن الحكم عليها حكما سليما عندما يكون هناك تهديد بفقدها. وهذا صحيح بالنسبة للسياسة مثلما هو صحيح بالنسبة للاقتصاد. فما الذى يمكن أن تقدمه الفوضى؟ إن الخطر ليس كبيرا، فعندما يواجه الناس الاختيار، فإنهم لن يختاروا الفوضى أو اللانظام ويتركون النظام. ولكن المسألة هي أنهم لن تتاح لهم فرصة الاختيار، لأنه في أحوال

انهيار النظام فإن أولئك القادرين على وضع سياسات مقبولة لاستعادة الوضع قد لا يكون لديهم الحافز ولا الهياكل التي تساعدهم على تنفيذ هذه السياسات. "فكل ما هو ضروري للشر لينتصر هو امتناع الناس الصالحين عن عمل أى شىء".^(٩) والعقدة الجوهرية للعلاقات الدولية، كما فى الديموقراطية داخل الدول ، تتمثل فى استخدام خبرة الماضى فى خدمة إدارة الحاضر والمستقبل، وخاصةً فى تغذية المؤسسات التى تنعم بتأييد شعبى وتسهل التغيير السلمى.

ثالثا: إن خبرة خمسين عاما من السلام تشجع الرأى القائل بأن "الديموقراطيات الليبرالية لا تحارب بعضها البعض". ومن حقنا أن نستمد بعض الارتياح فى هذا الشأن من عملية "الدبلوماسية الجديدة". ولكن يحكم هذا الارتياح الإدراك بأن الوطنية يمكن أن تأخذ أشكالا عنيفة عندما تتور. فالعدوان من أساسيات الطبيعة البشرية لدرجة أنه لا يمكن الافتراض الأمن بأنه يمكن طرد الأرواح العدوانية بمجرد تطبيق الديموقراطية. وعلى أى حال، فإن الأخطار الأمدح اليوم لا تنشأ فحسب من الصراع بين الدول بقدر ما تنشأ فى داخلها. ومع هذا فإن الافتراض يستحق الدراسة، ما دام صحيحا، لأنه مؤشر مهم على الأولويات التى يجب على المجتمع الدولى أن يأخذ بها من أجل الصالح المشترك.

الديموقراطيات الليبرالية لا تحارب بعضها البعض :

كثيرا ما يقال إن الحرب بين دولة معينة ودولة أخرى "أمر لا يعقل". وفى حالة دول أوروبا الغربية، مثلا فإن التفسير هو أن ما أحدثته الحرب العالمية الثانية من وحشية ودمار كان من الفظاعة بحيث يمكن أن يكون كافيا لكبح أى شعور عدوانى طبيعى لأجيال قادمة. ولكن الطبيعة البشرية لا تتغير بشكل قاطع فى فترات زمنية قصيرة. ومع هذا، فإن المؤسسات، حتى وإن لم تغير الطبيعة البشرية، فإنها يمكن أن تؤثر على طريقة سلوك البشر، فرديا وجماعيا. والحقيقة أن مدى اعتراف المؤسسات بالصفة الراسخة للطبيعة البشرية، بما فيها من نقاط الضعف والقوة، يمكن أن تكون مقياسا يعتمد عليه لفاعليتها. هذه الاعتبارت كانت الركيزة التى قام عليها المدخل للأمم المتحدة

والاقتصاد العالمى والهندسة المعمارية الأوروبية وهو ما استعرضناه فى المحاضرات الرابعة والخامسة والسادسة على التوالى. وهناك نوع من السخرية فى أن تطبيق مبادئ الديمقراطية على العلاقات الدولية لا يمثل محاولة مباشرة لإيجاد حل للسلام بين الدول بقدر ما هو نتاج فرعى لتطبيق هذه المبادئ داخل الدول. ويوضح هذا فكرة أن الدول تفكر طبقاً لقيمتها الأساسية، وهى فى معظمها داخلية، عندما تدير علاقاتها الدولية. وفى الماضى كان الغالب الأعم أن لهذه القيم الأساسية تأثير غير حميد على العلاقات الدولية. أما مع الديمقراطية فإن التأثير حميد بشكل قابل للإثبات.

والعمليات الديمقراطية الداخلية، إذا طبقت على إدارة العلاقات الدولية، فإنها تكون بمثابة مستوعب للصدمات عندما تنشأ الصعوبات. وستقدم عرضاً محسوباً للسياسة التى يجب اتباعها. وهذه العمليات لن تشجع الخديعة والاستفزاز ولكنها ستلهم الثقة والرغبة فى البحث عن حل وسط مفيد للجميع. وهى تعكس الإدراك الذكى للمصلحة الذاتية فى عالم يتسم بالاعتماد المتبادل. فالحرب مدمرة جداً حتى إن المنتصرين - إذا كان هناك منتصرون - سيكونون قلة على حساب الكثرة. والغالبية - إذا منحوا الفرصة - سيمنعون اللجوء للحرب. فالغنائم التى أدت بهم إلى الحروب فى الماضى - مثل الوصول إلى الثروات والمجال الحيوى والمياه والأراضى الخصبة ومصادر الطاقة مثلاً - يمكن اعتبارها إما من الصعب الحصول عليها بالقوة، أو الحصول عليها بسهولة بالوسائل السلمية. وكما أن النزعة التجارية، التى تفترض أنه من الممكن أن تكسب من التجارة على حساب الآخرين فقط، قد حل محلها نظرية التجارة الدولية الأكثر تعاوناً والقائمة على المنفعة النسبية، فذلك استبدلت السياسة العملية Realpolitik (غير المستندة إلى اعتبارات أخلاقية أو عقائدية - المترجم) بالمصلحة الذاتية المستنيرة.

ولكن هل هذا هو السؤال: من ظهر أولاً الدجاجة أم البيضة؟ هل بداية الاعتماد المتبادل، المتميز بسلسلة من "غزوات" الواجهة السياسية التى شرحناها فى المحاضرة الأولى، قد استغنى عن معظم - إن لم يكن كل - الأسباب التى جعلت الناس يحاربون فى الماضى؟ هل هو الاعتماد المتبادل كما نعرفه الذى يجعل إقامة المؤسسات الديمقراطية أمر حتى لأسباب متعلقة بالإدارة؟

من المرجح أن الإجابة عن كل هذه الأسئلة هو "نعم، ولكن...". فالديموقراطية قد تكون "أسوأ شكل ممكن من أشكال الحكم باستثناء أى شكل آخر تمت تجربته". ولكنها المفتاح لإدارة الاعتماد المتبادل على الصعيد العملى على الأقل، على الرغم من أية تحفظات قد تصدر من جهات عديدة، على الصعيد الفلسفى. فحكمة "الدبلوماسية الجديدة" تتمثل فى استخدام المؤسسات لتحقيق توافق الآراء بالنسبة للعملية، واحتواء أية خلافات قد تتعلق بالجواهر.

(٣)

السيادة الوطنية وحدودها

تناولت المحاضرة الأولى تطور الدبلوماسية، باعتبارها وليدة زمانها، من "الدبلوماسية القديمة" إلى "الدبلوماسية الجديدة"، استجابةً لموجات التغيير التي أتت بالاعتماد المتبادل الحديث، وتستعرض المحاضرة الثانية طبيعة المجتمع الدولي اليوم، مع الأمور الغامضة التي خلقتها بسبب عدم التناسب بين وقائع الاعتماد المتبادل من جهة، والمسئوليات التي ما تزال مع ذلك ملقاة على عاتق الحكومات من جهة أخرى. وعدم التناسب هذا يؤكد نفسه في كل شيء، وهو يؤدي إلى تفاقم صعوبات سياسة الحكم التي هي أصلاً كثيرة. ومن المحتمل أن تصبح أكثر إلحاحاً. ونتائجها للإدارة العملية للسياسة الخارجية بعيدة المدى. ويمكن تحليلها بشكل مناسب بالرجوع إلى مفهوم السيادة، وهو مصدر السلطة التي تمارس به الحكومات سلطاتها. وهذه المحاضرة ستتناول قضية السيادة في أربع مراحل:

(أ) السيادة في الداخل .

(ب) السيادة في علاقتها بأنواع السيادة الأخرى .

(ج) السيادة في النظام الدولي .

(د) السيادة وحدودها .

السيادة في الداخل :

كما سبق أن شرحنا، كانت "الدبلوماسية القديمة" نتاج النظام الدولي الذي ظهر مع سلام وستفاليا عام ١٦٤٨. وكان جوهر هذا السلام هو "الولة - الأمة" nation-state.

وكان جوهر "الدولة - الأمة" بالتالي هي السيادة بمعنى "السلطة المطلقة والمستقلة". ومع هذا فإن النتيجة الحتمية للاعتماد المتبادل أن يتم إدخال تعديلات كثيرة على هذه المقولات حتى تعكس حقائق القرن الواحد والعشرين وليس القرن التاسع عشر.

وفى المقام الأول يوجد قدر كبير من المناقشات عن حقيقة مفهوم "الدولة - الأمة". فمن الواضح أن هناك تطابقا اليوم بين مفهوم الأمة nation ومفهوم الدولة state أكثر مما كان عليه الحال منذ مائة عام مضت. فالاختبار العملي للمواطنة nationhood اليوم ليس هل الناس يدينون بالولاء برضاء أو غير رضاء للدولة والعهامل، ولكن هل الناس يشعرون بنوع من التماثل مع أولئك المسئولين سياسيا. فالمواطنة بمعنى آخر مرتبطة بشكل من الانتماء - مع روابط جغرافية أو لغوية أو عرقية أو ثقافية أو عقائدية أو دينية - وهو تعريف ينطبق على الأقليات داخل الدول كما ينطبق على الأمم. ويقال إن الأمة هي مجموعة من الذاكرة ومن ثم مجموعة من الولاءات التي تتولد عن الذاكرة. والدولة - بهذا المنظور، هي شيء نفى إلى حد كبير. فهي وسيلة لتوفير الخدمات المشتركة الجوهرية مثل الأمن، والقانون والنظام، والسلع الاجتماعية. والمبرر النهائي لها هي قدرتها على توفير هذه الخدمات المشتركة الجوهرية، بالإضافة إلى إدماج كافٍ للصلات والولاءات المرتبطة بالمواطنة.

وقد أكدت الزيادة الضخمة في عضوية الأمم المتحدة التي أحدثتها تقرير المصير والقضاء على الاستعمار: التطابق بين "الأمة" و"الدولة" في التعريف الذي سبق أن استخدمناه. كما أنها أكدت أيضا المدى الذي تعتمد عليه فكرة الدولة بشكل أقل على توفر المعايير الرسمية وبشكل أكثر على الرغبة العملية للدول الأخرى لمنح الاعتراف للكيان المطروح (للانضمام إلى عضوية الأمم المتحدة). فالتفاوتات كبيرة بين الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. ولكن لا يوجد احتمال حقيقى في المستقبل القريب فى استبدال الدولة باعتبارها وحدة أساسية لإدارة العلاقات الدولية. ولهذا فإن المطلوب هو أن يؤخذ فى الاعتبار الحدود التي تحدها.

وهذه الحدود يمكن فهمها بطريقة أفضل، كما اقترحنا فى بداية هذه المحاضرة، فى علاقتها بمفهوم السيادة. فتعريف السيادة الذى ذكرناه أنفا هو أنها "السلطة

المطلقة والمستقلة". ومع هذا، هناك عدد من المعانى للمصطلح. فالسيادة يمكن أن تعنى، من بين أشياء أخرى:

- (١) التفوق أو التميز بالنسبة للامتياز والكفاءة .
- (٢) التفوق بالنسبة للسلطة أو السيطرة أو الرتبة .
- (٣) السيطرة أو السلطة أو الحكم بشكل فائق .
- (٤) وضع أحد الملوك .
- (٥) القوة المهيمنة العليا فى المجتمعات التى ليست تحت الحكم الملكى .
- (٦) أقلية تحت حكم حاكم ندى سيادة .

والمعنى فى (٦) على الرغم من أنه محدود إلا أن له علاقة مباشرة بالسياق الحالى، ما دامت تعتبر حرمة الأراضى، بشكل طبيعى، صفة رئيسية للسيادة. ومن هنا فإن اجتياح الأراضى يعتبر أحد المصادر الواضحة للافتئات على السيادة الوطنية. ومع هذا فإن المعنى فى (٥) يعكس بوجه عام اهتمامنا الأول، أى ممارسة سلطة مطلقة ومستقلة على أيدى قوة مهيمنة عليا. وهذه القوة قد لا تكون فرد حاكم، ولكن حكومة منتخبة، تخضع لضغوط مستمرة ومتعددة وكذلك موافقة انتخابية دورية. فالسيادة وضعت فى شكل تفويض.

والمعنى فى (١) حتى (٤) تصور صفات السيادة التى ارتبطت فى الماضى بالملوك أكثر منها بالحكومات الدستورية. ومفهوم السيادة بالطبع يسبق بوقت طويل نظام الدولة - الأمة، وكان يعنى أشياء عديدة. فهو لا يمكن أن يعنى الكفاءة بالمعنى الإدارى فحسب، ولكن أيضا الامتياز، والذي له طابع معيارى، وقد ارتبط مرارا وتكرارا بالأشخاص أكثر من ارتباطه بالمؤسسات. وإلى هذا الحد يمكن أن يأمل فى أن يحصل على ولاء كامل من رعايا صاحب السيادة. ويمكن أن يعنى الخضوع للقوة السائدة، بما يعنيه ذلك من أن القوة هى الحق، أو أن الملكية هى - كما يقول المثلى - تسعة أعشار القانون. ومع هذا، ففيما يتعلق بأنها تعنى احترام الوضع الراهن *status quo*، فقد يكون الأمر هو توقيع لشخص صاحب السيادة أكثر منه خوف من أولئك

الذين يزاولون السلطة. وإذا أخذناها إلى نتيجتها المنطقية، فيمكن أن تعنى الحق الإلهي للملك. فبعد أقل من عام بعد سلام وستفاليا، كان الإنجليز يقطعون رقبة أحد ملوكهم الذي اعتنق هذا الحق ليس بحكمة ولكن بطريقة جيدة أكثر من اللازم. وكان أحد معاصريه في فرنسا، وهو لويس الرابع عشر يشعر بالقلق - ومع حق - بالنسبة للالهوية. وبالنسبة له كانت "الدولة هي أنا". *l'état c'est moi*. فالحق الإلهي الذي ادعاه ملوك أوروبا نبع أصلا من تقاليد مسيحية أوروبية مشتركة. ومع هذا فقد كان خاضعا لقانون أخلاقي نابع من المصدر نفسه. وجزءه مقابل للحقوق المستمدة من سيادة أصحاب السيادة، فإن عليهم التزامات سواء نحو نظرائهم أو من يتحكمون فيهم. وأدت حركة الإصلاح الديني Reformation (في القرن السادس عشر بأوروبا - المترجم) والانقسامات العميقة في العالم المسيحي التي أعقبتها إلى كسر هذا النموذج المعين من الحقوق والالتزامات. وسنعود فيما بعد في هذه المحاضرة إلى الأبعاد العميقة لهذا التمزق في إدارة العلاقات الدولية.

ومع هذا، فإن اهتمامنا الأول ينصب الآن، كما سبق أن ذكرنا آنفا، على المعاني في (٥) و (٦). فالسيادة تمارس في كل جوانب حياة الأمة، بما في ذلك مكوناتها الدولي. ولكن في الواقع، كم من السلطة يتمتع به "صاحب السيادة" وكيف ستمارس هذه السلطة في إدارة السياسة الخارجية؟ إذا كانت هذه السلطة مطلقة، فإن ممارستها في المكون الخارجي لحياة الأمة يمكن أن يمثل صفقة رابحة أقل تعقيدا عما إذا كانت السلطة أكثر خضوعا للرقابة الديمقراطية. فالعمليات التي ستمارس من خلالها ستكون أقل تعقيدا، والغايات التي ستوجه إليها قد تكون أقل تنوعا، وستكون درجة الاهتمام الشعبي ومناقشة الجوهر والعملية أقل وضوحا. ولكن إذا كان المجتمع يتميز بالاهتمام بالديموقراطية، واحترام حقوق الإنسان وتحقيق الحكم الرشيد، وهو اهتمام لا يمكن لمن يتولون الحكم إلا أن يستجيبوا له، فإن القيود على السيادة ستكون أكبر بكثير. وفضلا عن ذلك، فإنه إذا كان المكون الخارجي لحياة الأمة كبيرا، وهو ما قد يكون عليه الحال في عالم اليوم القائم على الاعتماد المتبادل، فإن تعقيدات الإدارة الجيدة تتوقف على درجة اهتمام هيئة الناخبين بالأحوال السائدة خارج الحدود الوطنية، والتي ليس لصاحب السيادة عليها سوى تحكم محدود. إن الاحتياجات الماسة

لناخبين قد لا تتضاءل. ولكن قدرة السلطة السيادية على الاستجابة لها قد انخفضت بشكل واضح. وهذه المفارقة، وهو ما ركزنا الاهتمام عليه في المحاضرة الثانية، ترتبط بلب إدارة العلاقات الدولية.

وهناك شكوى متزايدة بأنه في التعامل مع كثير من المشكلات التي يعاني منها المجتمع الدولي فإن الدولة-الأمة تكون إما صغيرة جدا أو كبيرة جدا بحيث يتعذر عليها اتخاذ إجراء فعال. وفي عالم قائم على الاعتماد المتبادل، لا توجد دولة قوية بما فيه الكفاية بحيث تتصرف بمفردها تماما. فالمطلوب تدابير دولية على درجة كبيرة من التنوع. والجهاز الدولي أمر لا يمكن الاستغناء عنه. ومع هذا فإن مثل هذا الجهاز قد لا يكون فعالا إلا إذا تمتع بسلطة كافية. ومع هذا فإن الدول- الأمم قد تعزف عن التسليم بذلك. فالاعتماد المتبادل في الوقت نفسه يضع ضغوطا على الهياكل الداخلية للدولة، خاصة عندما تكون هناك أقليات كبيرة لها ارتباطات بالخارج سواء أكانت ارتباطات عرقية أو ثقافية أم لغوية أم دينية أم إقليمية. وحتى إن لم يكن هناك مثل هذه الأقليات، فإن هناك عددا متنوعا من الاعتبارات المحلية، إلى جانب رغبة شعبية عالية النبذة تدعو للمشاركة أو "التكميلية"، مما قد يشكل ضغطا لا يمكن مقاومته على الحكومة المركزية.

والمفارقة في هذا الوضع من الأمور هو أن الدولة كانت إلى عهد قصير نسبيا قاطرة التحديث، ولكن الآن ازداد الاعتقاد بأنها عائق له. وقد بدأ المد يتجه لصالح الوحدات الأصغر أو الأكبر، عندما أدت أمواج التغيير، التي سبق أن ناقشناها، إلى تحول في الحياة اليومية للناس العاديين، والدولة أصبحت تحت التهديد بشكل متزايد. فهي لا تستطيع - بشكل واقعي - أن تدعى الحق الإلهي. كما لم تعد الصلاحية الدستورية تمثل أي دفاع حقيقي طويل الأمد من ادعاءات السيادة. وفي النهاية فإن شرعية السلطة السيادية التي تمارس في الداخل أو الخارج ستتوقف على قدرة الحكومة على تحقيق ما يريده الناخبون. وقد تم تلخيص المأزق بلباقة في شكل (هو ولا شك مشكوك في صحته) من الرفض الذي استخدمه عميد كلية في أكسفورد عندما واجه طالبا لم يكن يستريح لوجهه فقال له: "أيها الشاب، أعتقد أنك ستكون أكثر سعادة إذا التحقت بكلية أكبر أو كلية أصغر".

السيادة فى علاقتها بأصحاب السيادة الآخرين :

السلطة "السيادية" التى تمارسها دولة ما فى إدارة علاقتها الخارجية ليست بمثابة سلطة ضخمة منفردة. إنها نتيجة لتفاعل كل القوى ذات الصلة، وبعضها على الأقل يمكن أن تكون فى صراع. ونتيجة لذلك فإنه قد يكون من الصعب تحديد موقع السيادة. ولكن مع كل ما يحيطها من أسباب التعقيد والغموض، فإنها السمة المركزية للعلاقات الدولية، طالما أن الدولة ستبقى الوحدة الأساسية للتنظيم السياسى. ومن هنا فإن العلاقات بين أصحاب السيادة ما زالت تحظى بالاهتمام الأول. ومن الناحية العملية، تعترف الحكومات بأن هناك قيودا داخلية على حريتها فى الحركة فى ميدان الشؤون الخارجية تضاف إلى القيود المتمثلة فى أنشطة ومصالح أصحاب السيادة الآخرين. وهكذا فإن المساحة التى يمكن أن يناوروا فيها محدودة. ولكن الموقف ليس قاتما تماما. "فأصحاب السيادة" بقدرتهم على إجراء اتصالات فيما بينهم سيفهمون بسهولة المدى الذى سيواجهون به المشكلات المشتركة. واحتمالات التعامل معها يمكن أن تتحسن إذا عوملت بروح الفهم المشترك، بل وحتى بروح التعاطف المشترك. وأحد مزايا الدورات التى لا تكاد تنقطع من اللقاءات الدولية على أعلى مستوى فى عالمنا المعاصر يتمثل فى الإسهام الذى يمكن لهذه اللقاءات أن تقدمه فى هذا الصدد. فالدبلوماسيون، الحريصون دائما على وضعهم وهيبتهم - ربما تعرضوا فى الماضى لإغراء إبقاء الزعماء متباعدين، بحجة أن التقارب بينهم قد يولد عداوة وكراهية شخصية يعقبهما كوارث. ومع هذا فقد ولى الزمن الذى يمكن فيه لمثل هذا المدخل أن يلقى تأييدا كبيرا. فالمطلوب ليس تجنب مؤتمرات القمة وإنما التأكد من أنها تحقق نتائج مفيدة. والعنصر المهم فى هذا الشأن هو ضمان التفاهم المشترك بين "أصحاب السيادة" عن السبب الذى يجدون أنفسهم مضطرين فيه للالتجاء لتصرفات معينة، ولماذا تستثير هذه التصرفات - عند اتخاذها - ردود فعل غير مواتية من جانب "أصحاب السيادة" الآخرين؟

ومسألة ردود الفعل عند الآخرين إزاء تصرفات أحدهم أمر حيوى فى المجال الدبلوماسى، كما هو الحال فى مجالات عديدة أخرى. فالنظرية الاقتصادية تفترض وجود سوق "على درجة من الكمال" حيث لا تأثير لتصرفات الأفراد والمشتريين

والبائعين على تصرفات البائعين والمشتريين الآخرين. وهذا الكمال نادرا ما يتحقق في الأسواق. وهو أيضا لا يتحقق في الدبلوماسية، فالموقف يتميز أكثر باحتكار القلة في السوق حيث حجم البائعين والمشتريين كافٍ ومهمٌ بحيث يؤثر على تصرفات بعضهم البعض. وقياس ردود الفعل المحتملة للآخرين لا يتعلق فقط بالتحليل البحت وإنما أيضا بمجال التقدير الفطري والخبرة. ومع هذا، فإنه فيما يتعلق بعواقب إساءة التقدير؛ فإنه حتى الالتجاء إلى الوسائل التحليلية الباطنية أمر لا يجب تجاهله. فنظرية المباريات the theory of games التي وضعت لأول مرة منذ خمسين عاما مضت⁽¹⁾، تقدم أفكارا مثيرة ولكنها ليست بالضرورة مربحة بالنسبة لكيف تكسب في لعبة الشطرنج أو البوكر، وتستند على التنبؤ برد فعل الحركات التي يقوم بها اللاعب نفسه. ومن الطبيعي أن تطبيق النظرية على مجالات إستراتيجية العمل التجاري وعلى الدبلوماسية لا يحتاج إلى إيضاح. ولكن ربما لا يتمثل العنصر الرئيسي في أهدافنا في مجرد تحليله للأساليب، بقدر ما هو وصف للأهداف: سواء كان الهدف مثلا هو "مباراة صفرية" zero sum game حيث حضية الفوز لكل اللاعبين هي صفر في كل مرحلة من المباراة، أو "مباراة إيجابية" positive sum game حيث يطمح كل اللاعبين في الفوز، وإن اختلفت درجاته.

وفي نظرية التجارة الدولية فإن مبدأ الميزة التفضيلية هي مثال للاقتصاديات "الإيجابية". فبينما توجد دولة على كفاءة أكثر من غيرها في إنتاج كل السلع والخدمات ذات الصالح المشترك، وبهذا يكون لها ميزة مطلقة فيها جميعا، إلا أنه من صالح الدولتين أن تبيع كل منها إلى الأخرى السلع التي لها فيها ميزة تفضيلية وأن تشتري السلع التي ليس لها فيها ميزة تفضيلية. وتنطبق هذا الاعتبار أيضا بشكل عريض على إدارة العلاقات الدولية. والواقع أنها تنم عما يسمى المدخل "التجاري" mercantile approach للدبلوماسية: بمعنى أن الدبلوماسية هي عمل تجاري وأن مهمة التجارة هي أن تولد مزيدا من الأعمال التجارية وقد كتب سير هارولد نيكلسون في أواخر الثلاثينات من القرن العشرين⁽²⁾. فوصف العمل التجاري بأنه واحد من بين عدد من الأساليب والتقاليد الدبلوماسية. وقد قارن بين أساليب أربع قوى أوروبية: بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا. وفي رأيه أن البريطانيين، بينما يعوقهم الجهل بالأوضاع في

الخارج وهم عرضة لأن يتذبذبوا بين غير المعقول والواقعي، إلا أنهم يميلون إلى اعتبار أساس الدبلوماسية هو "أساس العمل التجارى الجيد نفسه، بمعنى الجدارة والثقة ومراعاة شعور الآخرين والحل الوسط"^(٣).

وفى رأى نيكلسون أن المدخل الألمانى مختلف تماما. فهو "بطولى" وليس تجاريا. فالسياسة الألمانية كانت فى جوهرها "سياسة القوة"، وقد عكست محاربا ذا تصور عسكرى. وقد أعطت أهمية أكبر للخوف الموحى أكثر من الإيحاء بالثقة. ويقول نيكلسون: إن السياسة الفرنسية "قد حكمها فى السنوات الستين الأخيرة بشكل مطلق تقريبا الخوف من جاريتها الشرقية ولهذا كانت أكثر ثباتا من أية قوة عظمى أخرى. وهذا القلق الدائم جعل السياسة الفرنسية متسمة بالتوتر والتصلب وعدم المرونة". وكان هذا التصلب على "نقيض ملحوظ من الدبلوماسية المتحركة للإيطاليين". لقد كان النظام الإيطالى مستمدا من تقاليد عصر النهضة للولايات الإيطالية. ولم يكن قائما على "مفهوم العمل التجارى السليم، ولا على سياسة القوة، ولا حتى على التحقيق المنطقى لأهداف معينة. إنه أكثر من انتهازى، فهو قائم على المناورة المستمرة".

وهذا المسح المقارن قد يبدو على شىء من الغرابة فى التسعينات من القرن العشرين. ومع هذا، فقد وصفه نيكلسون بجانين مهمين. أولا: لقد أدرك أن ما يمكن أن يعتبر اختلافا فى الأسلوب الدبلوماسى هو فى حقيقة الأمر وظيفة لسياسات ومصالح مختلفة - أو بمعنى آخر المزج الذى لا مخرج منه بين توأما المؤلف: الجوهري والعملية. ويقول نيكلسون: إن الاختلافات فى النظرية الدبلوماسية والممارسة إنما "تنشأ من التنوعات فى التقاليد والشخصية القومية والاحتياجات، فهذه هى التى تحدد السياسة، كما أن السياسة بدورها تحدد الأساليب الدبلوماسية"^(٤). ومن المؤكد أن المرء يمكن أن يجنى من تصنيفه هذا بعض التبصر المفيد لأوروبا فى الثلاثينيات مثل: التهدة البريطانية والتمنى، وتكتيكات هتلر والنازيين، ونقاط ضعف الجمهورية الفرنسية الثالثة، وتبختر موسوليني فى إيطاليا والبحر الأبيض المتوسط وأفريقيا.

ثانيا: أوضح نيكلسون أنه لا يعتبر أن ما جاء فى قائمته هو على سبيل الحصر. بل إن الهدف من هذه القائمة هو هدف توضيحي. وهو بهذه الصفة يعتبر نقطة انطلاق

مفيدة لتحليل مدى المداخل لإدارة السياسة الخارجية التي قد تميز أنظمة معينة. وكلما كان النظام سلطويا ومتسما بالسرية كلما كان من المتوقع أن تلعب العوامل الشخصية وحتى النفسية دورا. فما هي العوامل التي تعلق على المصلحة القومية في بعض التعريفات العامة والتي تلهم تحركات "مستقلة ذاتيا" على مسرح السياسة الخارجية؟ هل هي الوطنية؟ هل هو الإحساس بالمصير نفسه؟ هل هي الفرائز الحيوانية (التي نسب إليها الاقتصادي البريطاني الشهير جون ماينارد كينز John Maynard Keynes - جزئيا على الأقل - قرارات رجال الأعمال الخاصة بالاستثمار؟ هل هي النزوة؟ هل هو الحدس، وهي كلمة اكتسبت معنى جديدا وشريرا نتيجة لارتباطها بهترة؟ هل هي رغبة في رفع ظلم ما؟ هل هو انتهازية (لقد وصف دبلوماسي بريطاني كلمة "فن الدفاع" defencemanship بأنه "فن الانتصار دون الدخول في قتال فعلى")؟ والقائمة لا تكاد تنتهي. ومع هذا فإن كل هذه الدوافع يمكن اعتبارها "ذات سيادة"، من حيث أنها لا تعترف بالتزام تجاه الآخرين، ولا تقبل أى قيد فيما عدا ما تواجهه من تحدٍ. وبمعنى آخر فإن القوة هي الحق إلى أبعد مدى.

ومع هذا، فمن الواضح أن السياسة الخارجية التي تدار على هذا الأساس لا تعتبر وصفا للسلام والانسجام العالميين. فكلما أصبح العالم قائما أكثر على الاعتماد المتبادل، كلما كان هذا المدخل أكثر تصدعا. وسيكون غير مثمر، حتى بالنسبة للدول التي تتبناه إيمانا منها أنه في مصلحتها أن تفعل ذلك. والمدخل الأكثر منطقا وفاعلية هو أن تعمل في إطار الالتزامات والقيود المقبولة، وذلك عندما تقوم بصنع سياساتك بل وصنع سياسات الآخرين أيضا. فالمصلحة الذاتية المستتيرة، المختلفة عن المصلحة الذاتية الأثنية، تشير إلى نوع من النظام في إدارة العلاقات الدولية.

السيادة في النظام الدولي :

إذا أخذنا، نقطة انطلاق الحاجة إلى نظام لإدارة العلاقات الدولية لصالح جميع الأطراف ذات الصلة، فإلى أين نتجه لنحصل على ما نسترشد به فيما يتعلق بإقامة هذا النظام؟

ونحن نتذكر أن "الدبلوماسية القديمة" كانت فى خدمة نظام الدولة - الأمة التى ظهرت للوجود بعد صلح وستفاليا عام ١٦٤٨ وحرب الثلاثين عاما الكارثية التى وضعت نهاية لها. ويتمثل لب نظام الدولة - الأمة فى سيطرة الدولة، إبناءً على المبدأ العلمانى للسيادة والاهتمام بإقامة القانون والنظام أساسا على المستوى القومى، وبهذا يحل محل نفوذ كل من الإقطاع والكنيسة. ومع هذا فإن تناقض الموقف يتمثل فى أن التركيز الأكبر كان على السيادة الفعالة فى الداخل، وأن المزيد من السيادة لم يكن يعتبر خطأ أو صوابا، وإنما هو شىء يتنافى مع الأخلاق amoral، وكان هناك مزيد من الشك الذى يحيط بطبيعة أية سلطة تهدف إلى التحكم فى العلاقات بين الدول. وعلى الرغم من أن الحاجة إلى نوع من النظام كانت أمرا أوليا، إلا أن الناس كانت تحس بهذه الحاجة كلما دخلوا فى معاملات مع بعضهم البعض. وقد تم إشباع هذه الحاجة بالرجوع إلى مفاهيم مثل القانون الطبيعى، وهو ذو طابع دينى أساسا، وعرفه القديس توماس الاكويينى St. Thomas Aquinas، بأنه جزء من القانون الإلهى الذى يكتشفه العقل الإنسانى، وهو مختلف عن الجزء الذى يمكن الكشف عنه بشكل مباشر. فالقانون الطبيعى يقدم أساسا عقلانيا rationale للتحكم فى سلوك أصحاب السيادة فى بلادهم وبين بعضهم البعض. ومع هذا، فإنه عندما تزيل أى قيود على أصحاب السيادة، تظهر لك مقارنة غير منسجمة: بين السيادة غير المقيدة التى تطالب بها الدول - الأمم، من جهة، وبين ضرورة وجود تدابير لإدارة العلاقات بين أصحاب السيادة، والتى دونها يستحيل تحقيق أهدافهم المعلنة، ومع هذا فإنها تمثل هجوما على السيادة نفسها، من جهة أخرى.

وقدمت النظرية السياسية إجابة جزئية على الصعيد الداخلى: بأن هناك "عقدا" بين مواطنى دولة ما وبين الحكومة التى بمقتضاه يسلم هؤلاء المواطنون للحكومة بسلطات كبيرة للقمع من أجل تحقيق أهداف متفق عليها. إلا أن هذه النظرية لا يمكن نقلها بسهولة إلى المسرح الدولى. فالعلاقات هنا أكثر غموضا. وإذا كان هناك أى عقد، فإنه يتسم أكثر بصعوبة الإدراك. وقد يكون أقوى على جانب الطلب منه على جانب العرض - أى أن الحاجة إلى مثل هذا العقد تكون أوضح فى الإدراك أكثر من وسيلة الاستجابة الفعالة لهذه الحاجة. وأقوى مثال، فى كل الأحوال، هو مفهوم القانون

الدولى. "قانون الأمم أو القانون الدولى"^(٥)، فى رأى أحد فقهاء القانون البريطانيين وهو ج. ل. بريلى J. L. Brierty الذى ذكره فى كتابه الموثوق به : قانون الأمم "The Law of Nations" يمكن تعريفه بأنه "مجموعة قواعد ومبادئ العمل الملزمة binding للدول المتحضرة فى علاقاتها ببعضها البعض". وهذا التعريف مثير للاهتمام بشكل كبير لعدة أسباب. السبب الأول: أنه يكمل تعريف الدبلوماسية الذى تبناه الحجة البريطانى المشهور سير إرنست ساتو، والذى بحثناه فى المحاضرة الأولى وهو: "تطبيق الذكاء والمهارة على إدارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة". وللتعريفين استخداماتهما باعتبارهما معايير للسلوك ينبغى أن تطمح إليهما إدارة السياسة الدولية. ولا يدعى أيهما أنه وصف شامل جامع لكيف تسلك الحكومات وغيرها من "الفاعلين" فى ميدان العلاقات الدولية، فى تعاملها مع بعضها البعض.

السبب الثانى: أن استخدام كلمة "مُلزم" توحى بأن هناك إلزاما باحترام مجموعة قواعد العمل ومبادئه. ولكن لم تحدد الطبيعة الدقيقة لهذا الفرض. فالفرض ليس "قانونيا" بالمعنى الحديث المألوف لنا: أى أن يكون مستندا إلى قانون وضعى، ومعززا بالقوة، ومخولا لسلطة أعلى، لفرض الرضوخ على الدول ذات السيادة ومعاقبتها لعدم الرضوخ. واستخدام مصطلح "القانون الدولى" يمكن أن يكون مضللا إذا كان يوحى بتشابه وثيق مع القانون المحلى. ومصطلح "قانون الأمم" قد يكون أكثر دقة، وخاصةً بما يوحى به حول طبيعة الفرض الذى تعبر عنه كلمة "مُلزم"

ثالثا: إننا نحتاج لأن نتمعن جيدا "مجموعة قواعد العمل ومبادئه" التى ينطبق عليها كلمة الفرض بفارق دقيق فى المعنى. فما يتضمنه ينشأ بوضوح من المادة ٢٨ من لائحة محكمة العدل الدولية^(٦). وهى تنص على أن المحكمة، التى من وظيفتها أن تحكم طبقا للقانون الدولى، فى المنازعات التى ترفع إليها، تقوم بتطبيق:

(أ) الاتفاقيات الدولية، سواء أكانت عامة أم خاصة، التى تقر قواعد تعترف بها صراحةً الدول المتنازعة .

(ب) العرف الدولى، باعتباره دليل على الممارسة العامة التى يقبلها القانون.

(ج) المبادئ العامة للقانون الذى تعترف بها الدول المتحضرة .

(د) القرارات القضائية وتعاليم خبراء القانون الدولي فى مختلف الدول، باعتبارهم وسائل مكتملة لتحديد قواعد القانون.

وتؤكد اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية فى ١٩٦١ ، وهى آخر اتفاقية شبة عالمية عن "العلاقات والمزايا والحصانات الدبلوماسية"، فى الديباجة أن "قواعد القانون الدولي العرفى ينبغى أن تستمر فى حكم المسائل التى لم تنظمها صراحةً نصوص الاتفاقية الحالية"، ويؤكد هذا نقطة أن الفقرة الفرعية (أ) من المادة ٢٨ من اللائحة على الرغم من أنها صريحة نسبياً إلا أن هناك ، بشكل حتمى، عنصراً متداولاً بشأن الفقرات (ب) و (ج) و (د). هل الحكومات تحترم القانون العرفى لأنه إلى حد ما موجود من قبل، أو أن سلوك الحكومات، على الأقل "الأمم المتحدة"، يمثل النمط الذى يحفظه القانون العرفى فى الواقع؟ ومن الطبيعى أن تكون الإجابة هى أن "كلا" الحكومتين قد تحترمان القانون العرفى على أسس ليست قانونية. وقد قام سير إيان سنكلير Sir Ian Sinclair، وهو مستشار قانونى سابق لوزارة الخارجية والكمونولث البريطانية، وخبير بارز فى القانون الدولي، بعرض المسألة بوضوح مميز بقوله:

"لما كان القانون الدولي حقاً ينظر إليه على أنه يضم عناصر مهمة من الأخلاق الدولية والضمير الدولي، فإن هناك فى الغالب مطالب لمنحه السلطة، ولكن السبب الآخر المساوى له هو أن هناك اتفاقاً أقل بكثير من الاتفاق الجماعى بين الدول عن "مضمون" هذه القواعد القانونية الدولية المتعلقة بنزاع معين أو موقف معين، بحيث إن العملية المستمرة لتطوير القانون الدولي وتقنينه بشكل مطرد إنما تفرض نفسها كأمر حتمى" (٧).

وإذا كانت "مجموعة قواعد العمل ومبادئه" الذى يتكون منها قانون الأمم هى هكذا عبارة عن توازن دقيق بين التزامات معينة ومعايير عامة، ويحكم على مدى ملاءمتها فى كل ظرف على حدة، أليس هذا أشبه بوعاء هش يحتوى على الأموال فى السلام والانسجام الدوليين؟. هناك من يعتقدون أن القانون الدولي يمكن أن يعتبر، بشكل واقعى، فرعاً للأخلاق أكثر منه للفقهاء. وهناك آخرون يقترحون أن يكون القانون بمثابة التراث التقليدى ولكن ليست هذه مجادلة من أجل رفضه. فالمطلوب هو الاعتراف

بأوجه قصوره والسعى لإزالتها أو التقليل منها. "فالقانون الدولي" باعتباره شكل من أشكال السيادة العليا قد يكون أمرا لا يمكن الوصول إليه. وكما سبق أن اقترحنا، فقد تكون تسميته خاطئة. ولكن هناك مزيجا من التقاليد المشتركة والمصالح المشتركة والحصافة والسوابق التي يمكن على الأقل اعتبارها قانونا "بين" الأمم، ويكون على أية دولة قادرة على أن تتخذ وجهة نظر مستنيرة لمصلحتها الذاتية أن تؤيد ذلك وتشجعه. وهذا القانون بين الدول يجب أن يحتضن ويقنن ويتم التوسع فيه، وهي مهمة تعتبر بحق من أولى أولويات الأمم المتحدة.

هل هي أخلاقيات عالمية جديدة؟

إذا كانت القيود التي يفرضها القانون الدولي على ممارسة السيادة الوطنية هي جزئيا على الأقل مسألة أخلاق - كما سبق أن اقترحنا عاليه - فما هو بوجه عام دور الأخلاق في التأثير على سلوك الحكومات في عالم يقوم على الاعتماد المتبادل؟ هل من الممكن أن نفكر في نظام متفق عليه للأخلاق لكي نوحده به العالم؟ أو صيغة حديثة مثلا للقانون الطبيعي؟ إن عالم اللاهوت الكاثوليكي المرموق هانز كونج Hans Kung يعتقد أن عصرنا الجديد بعد الاستعمار والمتعدد المراكز polycentric يحتاج إلى أخلاق متفق عليها ولا يمكن أن يقدمها سوى الدين. فكما يرى كونج فإن الدين وحده قد أظهر أنه قادر على قيادة شعوب بأكملها والتأثير فيها، بصرف النظر عن الخلفية والتعليم. وفي الوقت نفسه إن يكون هناك سلام بين الأمم نون أن يسود السلام بين الديانات. فالحوار بين الديانات أمر جوهري. وقد أعرب كونج عن نيته في دراسة التاريخ وعلم اللاهوت عند المسيحية واليهودية وعلم التوحيد عند الإسلام بحثا عن أساس أخلاقي مضمون للسلام العالمي⁽⁸⁾.

هذه قراءة للموقف الدولي أكثر تفاؤلا من قراءة البروفسور هانتجتون، التي تمت مناقشتها في المحاضرة الثانية، والتي تقول بأن صراع الحضارات سيسود السياسة العالمية. ولكن الأمر ليس خارجا عن الموضوع أبدا إذا بحثنا عن دستور للسلوك للمعاملات بين الدول ذات السيادة، وهذا يثير السؤال: "إلى أي مدى استطعنا أن

نحقق بالفعل أخلاقا متفق عليها بشكل واقعي *de facto* إن لم نقل بشكل قانوني *de jure*؛ لقد احتوى ميثاق الأمم المتحدة على قدر من الاستنارة والأخلاق لم يسبق أن تحقق من قبل في العلاقات الدولية. وقد كانت الأمم المتحدة تضم أصلا حوالي خمسين دولة وهي بعضويتها الحالية التي تبلغ أكثر من ثلاثة أضعاف هذا العدد، أصبحت الآن ذات فعالية عالمية. ومع هذا بقيت مقوماتها بلا تغيير. وقد تم التعبير عنها بشكل عملي في العمل الجماعي للأمم المتحدة ووكالاتها في كل ميدان يهم الإنسان تقريبا. والحقيقة أنها أفصحت عن نفسها في عدد كبير جدا من الوثائق المتفق عليها، وخاصة في ميدان حقوق الإنسان.

إن درجة توافق الآراء التي حققتها الأمم المتحدة بالفعل تؤكد النقاش حول العالمية الأخلاقية والثقافية والنسبية الأخلاقية والثقافية. وفي مؤتمر الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الذي عقد في فيينا عام ١٩٩٣، كان هناك تحد من عدد من الدول الأفريقية والآسيوية والشرق أوسطية لشمولية الصياغات في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان *Universal Declaration of Human Rights*، وهو الوثيقة الرئيسية في هذا الشأن. وكانت هناك ادعاءات بأن الإعلان كان غريبا في مضمونه الفلسفي وأن عنصر المشروطية الذي يشجعه في المساعدة من الدول المتقدمة للدول النامية يشكل تدخلا خارجيا في الشؤون الوطنية. وفي إعلان بانكوك في إبريل ١٩٩٣ وافقت حكومات دول آسيا والمحيط الهادئ على أن حقوق الإنسان تحتاج إلى إعادة النظر فيها في سياق يراعى أهمية الخصائص الوطنية والإقليمية ومختلف الخلفيات التاريخية والثقافية والدينية. ومن الصعب معارضة هذا الاقتراح. ولكن هذا لا يعفى الحكومات من احترام الدفعة العريضة لتوافق الآراء في الأمم المتحدة بالنسبة لحقوق الإنسان. كما أنه لا يعوق العمل الدولي في سعيه وراء توافق الآراء هذا.

إن سجل نظام الأمم المتحدة هو مثال جيد للمدخل الوظيفي *functionalist* للعلاقات الدولية المرتبطة بوجه خاص باسم دافيد ميثراني *David Mitrany*^(١). ومن رأى ميثراني أنه إذا عملت الدول معا في وكالات وظيفية *functional* (مصممة لأداء وظيفة معينة - المترجم) فإن ذلك يساعد على نسج خيوط من التعاون السياسي مما ينشط باطراد النمو السلمى للمجتمع الدولي. ونكرر ثانية أنه من غير المحتمل أن يوجد اتفاق

سهل وسريع على مثل هذا المقترح. ولكن ذلك يعزز نقطة أن العمل الذى تقوم به الأمم المتحدة والولايات المتحدة المتفق عليها التى تعتبر أساسا لهذا العمل، لها أهمية قصوى فى حد ذاتها وأيضا فيما تعلمه لنا عن كيفية إدارة شئوننا. إنها تشكل مجموعة من السوابق وهى لهذا ذات صلة بالقانون الدولى العرفى. وقد أكد بريلى أن العرف بمعناه القانونى يدل على أكثر من مجرد العادة أو الاستخدام: وهو استخدام يشعر به من يعتبره ملزما^(١٠). ويوحى ذلك بأن مبدأ الخدمة - إلى جانب أهميته السياسية وبالإضافة إليها - له أهمية أخلاقية وقانونية أيضا.

وبينما نجد أن مبدأ الوظيفة هو وسيلة لتشجيع التعاون الدولى وهو أمر لازم للاعتماد المتبادل، إلا أننا لا يمكن أن نعتمد بحكمة اعتمادا كليا على قوة الدفع التى يولدها مبدأ الوظيفة حتى يمكن استمرار هذا التعاون. فلا يمكن أن نضمن لهذا الاعتماد المتبادل أن يقدم الدرجة المطلوبة من السلوك المستتير. فهل هناك أساس آخر يمكن أن نطمح إليه لبناء نظام أخلاقى يدعم الأمم المتحدة ويعزز الحكم الرشيد الدولى، ومبدأ الوظيفة الذى يخدم كل ذلك؟

وللمرة الثانية فإن الإجابة غير مباشرة. فالنظام الأخلاقى مرغوب فيه فى حد ذاته. ويوجد تأثير هذا النظام فى صلاحيته الكامنة وليس فى قيمته العملية وحدها. وعلى الأقل ينبغى علينا أن نتجنب جعل النظام الأخلاقى أكثر صعوبة فى التحقيق. لقد عبر الحاخام الأكبر البريطانى دكتور جوناثان ساكس Dr Jonathan Sacks عن رأيه فى أن قصة القرن العشرين هى قصة استبدال المجتمع بالدولة ومن ثم إحلل السياسة محل الأخلاق. وما كان يعتبر حلا فى الماضى - أى الدولة المفرطة فى النشاط hyperactive - قد أصبحت تمثل مشكلة^(١١). وهذا المقترح يتصل بشكل مثير للاهتمام بالجدل الدائر - الذى أشير إليه سابقا فى هذه المحاضرة، ومضمونه أن الدولة أصبحت عائقا للتحديث بينما كانت فى الماضى عاملا رئيسيا له. فالحكم الرشيد يتوقف بشكل متزايد على العوامل غير الحكومية. وفضلا عن ذلك، إذا كان الخطر الأكبر فى المستقبل يتمثل فى الحرب داخل الدول وليس فيما بينها، فيترتب على ذلك أن يصبح للعوامل غير الحكومية أهمية أكبر من ذى قبل فى العلاقات الدولية.

السيادة وحدودها

الغرض من هذه المحاضرة - كما سبق أن أوضحنا في بادئ الأمر - هو أن نبحث الحدود التي ترد على حرية المناورة لحكومات الدول عند ممارستها لمسئولياتها السيادية في ميدان العلاقات الدولية. وعلى الجبهة الداخلية، تنشأ هذه الحدود بسبب تعقد القضايا والتنوع الكبير في الضغوط والمصالح داخل الدولة والتي تتولد بسببها. فالحكومات التي هي أبعد ما تكون عن حرية التصرف، تكون في معظم الحالات خاضعة لضغط الرأي العام وتوقعات الأفراد بالنسبة لمستوى معيشتهم والخدمات التي يتوقعون الحصول عليها من أولئك الذين في السلطة. والسيادة تستند على الشرعية الديمقراطية. والحق الإلهي للملوك قد استبدل بصوت الشعب، والذي يعبر عنه باللاتينية *vox populi, vox dei*^(١٢).

وعلى الجبهة الخارجية، فإن الحكومات تعاني من تعقد القضايا، التي يعتبر الاعتماد المتبادل مظهرها الرئيسي، كما تعاني من أفعال الحكومات الأخرى ذات السيادة وردود الأفعال بالنسبة لها. ونتيجة كل هذه القيود هو أن الحياة يمكن أن تصبح صعبة جدا بالنسبة للحكام. "فالرأس التي تلبس التاج لا تعرف الراحة"^(١٣). ولكن على الأقل يمكن التغلب على الصعوبات إلى حد ما بالتعاون العملي الفعال بين الحكومات ذات السيادة، ليس على أساس مؤقت فحسب، ولكن أيضا بطريقة بنيوية أكثر عن طريق تنشيط نظام قائم على الحكم. وقد لوحظ أن "الديموقراطية هي نظام لإحصاء الرءوس أكثر منه لتحطيمها"^(١٤). فالديموقراطية المطبقة بوليا، مع "الدبلوماسية الجديدة" في خدمتها، هي وسيلة لتحقيق الأهداف الرئيسية للسياسة الخارجية - لدعم الأمن والرخاء للدولة - ليس بتجاهل الحدود على سيادة الحكومة، ولكن بقبولها لما فيه المصلحة المشتركة، وجعلها تعمل بشكل مفيد.

(٤)

الأمم المتحدة

هناك موضوع متكرر لهذه المحاضرات وهو عدم الانسجام بين حقائق الاعتماد المتبادل التي لا فكاك منها من جهة، وبين الولاء الدائم الجاد للهوية الوطنية والسيادة، ولنظام الأمة - الدولة التي يعبر عنهما، من جهةٍ أخرى. ولأسباب تم توضيحها في المحاضرة الأولى، ازداد عدم الانسجام منذ الثورة الصناعية في أوروبا منذ مائتي سنة مضت. وطالما هناك مثل عدم الانسجام هذا، سيكون هناك احتياج إلى مجموعة متنوعة من المنظمات والتدابير للمساعدة في إدارة الاعتماد المتبادل. والحقيقة أنه يوجد بالفعل آلاف من هذه المنظمات، وهي جميعاً تعكس بطرقها المختلفة الحاجة إلى دول ذات سيادة تعمل معاً بدلاً من العمل منفردة. وفي نهاية طرف من الطيف قد تكون هذه المنظمات مهتمة وحدها بالوظائف التنظيمية في ميدان متخصص محدود. وفي نهاية الطرف الآخر من الطيف توجد تحالفات كبرى مع المسؤوليات الحيوية من أجل الحفاظ على السلام. وقد تكون المنظمات ثنائية، أو مكونة من أكثر من ثلاثة أطراف *plurilateral* أو متعددة الاتجاهات *omni-lateral*، وقد تكون محلية أو قطاعية *sectoral* أو إقليمية أو بين القطاعات *intersectorial* أو "كبيرة" أو "صغيرة". وهي جميعاً تمثل استعداداً وطنياً معيناً، حتى وإن كان على مضمض، لأن تمنح الهيئات الدولية قدراً من التحكم في الشؤون الوطنية التي تحتوى على بعض التضحية بالسيادة.

وقد تعددت المنظمات الدولية بالفعل في القرن التاسع عشر. ثم ازداد عددها بوفرة في القرن العشرين. كما أنها تغيرت في الطابع. ففي أبسط معانيها يمكن اعتبار العلاقات الدولية عملياً بأنها مسألة تتعلق بالمعاهدات بشكل أو بآخر، وأنها لا تتطلب

متابعة أكثر من مراعاة الحكومات الأطراف فيها لنصوصها. ولكن مع ازدياد الاعتماد المتبادل، فمن المطلوب نموذج أكثر تعقيدا للتدابير الدولية. وكما حدث على المستوى الداخلى من أن قواعد النظم الأساسية المتكاملة، والتي سرت من خلال عملية قضائية، حل محلها بشكل متزايد أسلوب جديد تم بمقتضاه اقتصار النظم الأساسية على رسم السياسات الأساسية، وخلق سلطات لإدارتها، وتحديد الصلاحيات والإجراءات لهذه السلطات، بحيث تقام منظمات دولية بموظفين دائمين وبوجود مستقل لها لتحل بشكل متزايد محل المعاهدة المتكاملة على المستوى الدولى. وقد تسببت سلسلة "الغزوات" للواجهة السياسية، والمشار إليها فى المحاضرة الأولى إلى إعطاء دفعة قوية لبناء المنظمات الدولية.

لقد كان التطور الكبير فى الأداة الدولية من صنع عصبة الأمم League of Nations بعد الحرب العظمى. وكان للعصبة الوضع الرفيع لأية معاهدة - أو بالأحرى لأى ميثاق - وقد انبثقت عن مؤتمر صلح قام على خطوط "الدبلوماسية القديمة" المألوفة مستخدمة مصطلحات "الدبلوماسية القديمة" المألوفة، مثال ذلك، "الأطراف السامية المتعاقدة" High Contracting Parties. ومع هذا، فإن الناتج أدى إلى شن "الدبلوماسية الجديدة". وكانت السمة الرئيسية للعصبة هى مفهوم الأمن الجماعى الذى تطلب آلية تنفيذية جماعية لترد أليا على العدوان بغض النظر عن هوية المعتدين، وهو مفهوم لا يمكن أن يعتبره الأوروبيون مثاليا خياليا إلى حد ما.

ومن مفارقة التاريخ أن هذه الأداة العظيمة الأولى "الدبلوماسية الجديدة" قد نبذها مجلس الشيوخ الأمريكى، على الرغم من أن وودرو ويلسون هو الذى أسهم إسهاما أساسيا فى إقامة هذه الأداة. ولو كان هناك التزام أمريكى بالأمن الجماعى لكانت السنوات العشرين التى أعقبت ذلك مختلفة تماما. ومن الطبيعى أن تكون العصبة عندئذ أقل تركيزا على أوروبا بكثير، وكان هناك ثقل أكثر حزما ضد الطموح الشمولى فى ألمانيا وإيطاليا وروسيا واليابان. ومع هذا، فعلى الرغم من كل أوجه قصور العصبة فى المجالين السياسى والأمنى، فقد أظهرت العصبة خصائص "الدبلوماسية الجديدة" التى صمدت أمام تحديات الزمن، فقد كان هناك رضا وإدراك شعبيين، واهتمام بالديموقراطية وحقوق الإنسان، وتعاون فى عدد من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية،

وأولويات أوسع بكثير من المسائل "السياسية" التقليدية. وأنهى الأمر بأن أثبتت العصبية نجاحها فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى بصورة أكبر من نجاحها فى المجال السياسى. وكانت خبرتها مرشداً مفيداً لأولئك الذين أرسوا بناء منظمة تخلفها فى نهاية الحرب العالمية الثانية.

وكان الرئيس روزفلت أول من استخدم اسم "الأمم المتحدة" عام ١٩٤١ لوصف الدول المحاربة ضد دول المحور. وقد استخدمت هذا الاسم ٢٦ دولة موقعة على إعلان واشنطن فى أول يناير ١٩٤٢. وقد عاهدوا أنفسهم على الاستمرار فى مجهودهم الحربى المشترك وعدم عقد سلام منفصل. وتم إعلان الحاجة إلى منظمة دولية لتحل محل عصبة الأمم فى إعلان موسكو الموقع من أربع قوى (هى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والصين والاتحاد السوفيتى) فى ٢٠ أكتوبر ١٩٤٢. وفى مؤتمر دامبرتون أوكس فى واشنطن فى العام التالى صاغت هذه الدول الأربع مقترحات محددة. وهذه المقترحات شكلت أساس المناقشات التى دارت فى مؤتمر سان فرانسيسكو فى عام ١٩٤٥، الذى تم فيه اعتماد ميثاق الأمم المتحدة^(١).

جوهر الأمم المتحدة :

لقد وضعت أغراض الأمم المتحدة ووسائلها فى ديباجة الميثاق باقتضاب رزين، وكان النص قد صيغ بحيث ينقل فى ٢٠٠ كلمة فقط المغزى الكامل لما وضع فى متناول اليد^(٢). وقد ألت شعوب الأمم المتحدة على أنفسها إنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب، وإعادة تأكيد الإيمان بحقوق الإنسان الأساسية، وبكرامة وقيمة الإنسان، وبالحقوق المتساوية للرجال والنساء، وبالأمم كبيرها وصغيرها، وبتوفير أحوال مواتية لتحقيق العدالة واحترام الالتزامات، وبدعم التقدم الاجتماعى ومستويات أفضل للحياة فى ظل حريات أوسع. وتحقيقاً لهذه الأهداف ألت الأمم المتحدة من جديد على نفسها أن تأخذ بالتسامح والعيش معاً فى سلام وحسن جوار، وأن تضم قواها كى تحتفظ بالسلم والأمن الدوليين، وأن تكفل عدم استخدام القوة المسلحة فى غير المصلحة المشتركة، وأن تستخدم الآلة الدولية فى ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية لكل الشعوب^(٣).

وحتى تنفذ هذه النوايا، فإن الأمم المتحدة قد أقيمت بست مكونات رئيسية (الفروع الرئيسية) وهي:

(١) مجلس الأمن، وله مسئولية أولى هي حفظ السلم والأمن الدوليين مع تمتعه بسلطات إلزامية mandatory في هذا الشأن. وتقرر أن تكون العضوية الدائمة للقوى الخمس العظمى - الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا والصين - مع حق النقض veto .

(٢) الجمعية العامة، ولها نفوذ authority شامل ومسئوليات تداولية deliberative، ولكن دون أن يكون لها سلطات إلزامية. وتتضمن قراراتها توصيات للحكومات ولا تفرض تعهدات ملزمة عليها .

(٣) المجلس الاقتصادي والاجتماعي، وعليه مسئولية "تحت سلطة الجمعية العامة" بالنسبة لنصوص الميثاق في ميدان التعاون الاقتصادي والاجتماعي .

(٤) مجلس الوصاية، وعليه مسئولية في مجال بعض الأقاليم غير المستقلة وليس كل هذه الأقاليم .

(٥) محكمة العدل الدولية، التي تعمل طبقا لنظام أساسي Statute ملحق بالميثاق. ويتعهد كل دولة عضو في الأمم المتحدة بأن تلتزم بقرار المحكمة في أية قضية تكون طرفا فيها .

(٦) الأمانة Secretariat ويتولاها أمين عام له الحق في أن يقوم بمبادرات، وهو أيضا طبقا لنص المادة ١٠٠ من الميثاق، لا يخضع للضغوط من الحكومات الأعضاء.

ويتعهد كل عضو في الأمم المتحدة "باحترام الصفة الدولية البحتة لمسئوليات الأمين العام والموظفين".

ونص الميثاق في ثلاثة أوجه مهمة على سير وإنجاز هذه الفروع الرئيسية. أولا: بمقتضى المادة السابعة، نص على أن "هذه الفروع الثانوية يمكن أن تنشأ كلما دعت الضرورة إلى ذلك". وثانيا: للمجلس الاقتصادي والاجتماعي، بمقتضى المادة ٦٣ . أن يضع اتفاقات مع مختلف الوكالات المتخصصة تحدد الشروط التي بمقتضاها يوصل

بينها وبين الأمم المتحدة. كما أن الأمم المتحدة خولت أيضا سلطة إجراء مفاوضات بين الدول ذات الشأن بقصد إنشاء أية وكالة متخصصة جديدة يتطلبها تحقيق المقاصد (المادة ٥٩). ونتيجة لهذين الحكمين، تم إنشاء شبكة مركبة من المنظمات التابعة للأمم المتحدة، عرفت "بنظام" system الأمم المتحدة، لتمييزها عن الأمم المتحدة نفسها. وقد أوردنا في الملحق رقم ١ رسما بيانيا للمنظمة يحتوى على نظام الأمم المتحدة. وثالثا : بمقتضى المادة ٧١ ، "فإن للمجلس الاقتصادي والاجتماعى أن يجرى الترتيبات المناسبة للتشاور مع المنظمات غير الحكومية التى تعنى بالمسائل الداخلة فى اختصاصه". وهذا الحكم يؤكد الأهمية الكبيرة لعمل الأمم المتحدة. وهو يعكس إشارة ديباجة الميثاق إلى "الشعوب" وليس "الحكومات" أو "الأطراف المتعاقدة السامية".

المبادئ الستة التى تركز عليها الأمم المتحدة :

فى التسعينات من القرن العشرين ربما لم تكن أحكام ميثاق الأمم المتحدة والبنية التى وضعت لتنفيذها، تبدو جذرية radical بشكل خاص. ولهذا فمن العسير بعد مضى خمسين عاما استحضر الأثر الذى أحدثه هذا العقد الدولى العظيم، عند إقراره على الأمم التى مزقتها الحرب، والتى كانت تتوق إلى السلام وإعادة الإعمار. لقد كانت وهى متأثرة بتجربة الحرب، تمثل تحقيقا لمدخل ويلسون فى إدارة العلاقات الدولية، وهو مدخل مختلف تماما عن التركيز الأوروبى التقليدى لسياسة الواقع العملى realpolitik أو raisons d'état. وقد جسد "الدبلوماسية الجديدة" بشكل متباين عن "الدبلوماسية القديمة". وهناك ستة مبادئ أساسية تركز عليها الأمم المتحدة. المبدأ الأول: ينبذ الحرب باعتبارها أداة للسياسة ويلزم أعضائه بتجنب استخدام القوة إلا إذا كان استخدامها من أجل الصالح المشترك. وكان هذا مبدأ ارتكزت عليه عصبية الأمم. ولكن ميثاق الأمم المتحدة تجاوز ذلك بتأكيد المساواة فى السيادة لجميع أعضائها، وبهذا تم إدخال مفهوم الديمقراطية فى إدارة العلاقات الدولية وكذلك فى الشؤون القومية.

ثانيا: لقد سعت إلى مجتمع دولى قائم على قواعد وليس على الإذعان للفوضى أو قانون الغاب. وتحدث الفقرة ذات الصلة فى ديباجة الميثاق عن توفير "الأحوال التى

يمكن فى ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولى. ويتحقق ذلك، من جهة، بإقامة محكمة العدل الدولية، ومن جهة أخرى بمنح الجمعية العامة تبعة تشجيع التقدم المطرد للقانون الدولى وتدوينه" (مادة ١٢ (١)). وقد أنشئت لجنة القانون الدولى عام ١٩٤٧ لهذا الغرض. ويعتبر مفهوم "العدالة" مفهوما محيرا أكثر من مفهوم احترام التعهدات، ولكنه أساسى له، بمعنى أن هذا الاحترام لن يتوفر فى النهاية إلا إذا كانت هذه التعهدات تعكس "العدالة". وكذلك فإن احترام التعهدات يوطد العدالة كما أنه يعكسها.

ثالثا: يتم تناول الأمن الجماعى بطريقة عملية وليست نظرية. ومفهوم ويلسون فى الأمن الجماعى، كما سبق أن أوردنا، تطلب وجود آلية تنفيذ جماعية تشمل جميع الأعضاء لمواجهة العدوان بشكل ألى بغض النظر عن هوية المعتدين. وكان يبدو أن عصبية الأمم كانت تتصرف أحيانا كما لو كانت هذه الآلية موجودة، على الرغم من أنه كان من الواضح أنها غير موجودة. ويعتبر مفهوم الأمم المتحدة أكثر دقة. فهو يعهد بالمسئولية حيث تكمن السلطة. ويتطلب الأمر إجراء من مجلس الأمن، يمكن لآية سلطة من السلطات الممنوحة لحق النقض veto أن توقفه. وهكذا يوجد عنصر من عناصر المهمة الخاصة المؤقتة ad hoc وإدراك بأنه إذا واجهت أى من القوى الكبرى معارضة، لأى سبب من الأسباب، فإن الآلية ستفقد فاعليتها. وقد وصف أحد المؤرخين البريطانيين المرموقين الميثاق بأنه "تحالف للقوى الكبرى، مجسدا فى منظمة عالمية"^(٤). فإذا كان التحالف غير قابل للتطبيق، وهو ما كان عليه فعلا خلال الحرب الباردة، فلا يمكن أن نتوقع من الميثاق أن يعمل كما خطط له.

رابعا: تولى الأمم المتحدة اهتماما بالوقاية prevention بمقدار اهتمامها بالعلاج cure، كما تهتم بتجنب الأزمات بدرجة اهتمامها بمعالجة الأزمات عند وقوعها. وأسباب الحرب متشعبة ومن المحتمل أن تكون أكثر تعقيدا من مجرد صدام إرادات بسيط بين زعماء مستبدين يسيطرون على دول متجانسة. وهناك نقطة ملفتة وهى الطريقة التى تتعامل بها الحكومات مع الأفراد أو الجماعات من مواطنيها، بمن فيهم من أقليات من أى نوع، سواء أكانت أقليات إثنية أم لغوية أم ثقافية أم دينية أم إقليمية. وكان ينظر إلى حقوق الإنسان على أنها مسألة ذات اهتمام دولى رئيسى. ونتيجة لذلك

دارت مناقشات عن الموضوع ككل، وعن تبني عدد كبير من النصوص تغطى بالتفصيل نطاقا واسعا من الموضوعات. ويمكن أن نذكر ثلاث وثائق لها أهمية خاصة: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨، العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية لعام ١٩٦٦، والعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦ أيضا. وهذه الوثائق الثلاث التي أسهمت فيها الغالبية العظمى من الحكومات الأعضاء تشكل معا "الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان" The International Bill of Human Rights^(٥).

خامسا: وجد أن منطق الاهتمام بمنع الصراع يؤدي بشكل واسع وكبير إلى الشئون الاقتصادية والاجتماعية، والطريقة التي يتم بها تناول هذه الشئون، سواء محليا أو دوليا. وهناك إدراك بأن السلام والرخاء مرتبطان ارتباطا وثيقا. فالتنمية هي وسيلة أولى لبناء السلام. والسلام شرط أساسى للتنمية السليمة. وكما سبق أن لاحظنا فإن عصبية الأمم قد أحرزت بعض التقدم فى تناولها للمسائل الاقتصادية والاجتماعية على أساس دولى. ولكن العمل على النطاق المطلوب يصبح عمليا أكثر عندما تعترف الحكومات بشكل أكثر موضوعية بمسئولياتها داخليا ودوليا فى هذه الميادين، وعندما تتطور الأساليب، يتسع هذا الاعتراف. وقد ناقشنا هذه القضية بتفصيل أكثر فى المحاضرة التالية عن "الاقتصاد العالمى".

سادسا: جسدت الأمم المتحدة مفهوم النشاط الجماعى بشكل أكمل عما كان عليه الحال من قبل فى العلاقات الدولية. والواقع أن الأمم المتحدة هي ثلاثة مجتمعات: فهي فى المقام الأول: مجتمع سياسى لأعضائه ذوى السيادة مصالح مشروعة وغالبا متباعدة. وهذه المصالح يجب أن يتم التصالح بشأنها إذا أريد تجنب كارثة الحرب. ومصادر الاهتمام المشروع من جانب الأعضاء بهذا المجتمع السياسى مصادر واسعة، مثلما هي المصادر المحتملة للصراع. ثانيا: الأمم المتحدة هي مجتمع للإدارة، بمعنى أن هناك الآن نطاقا هائلا للأعمال التجارية التي يتم عقد صفقات بشأنها بشكل جماعى بمعرفة الحكومات الأعضاء، أو بمعرفة الأمانة العامة للأمم المتحدة بالإتابة عن الأعضاء وهي تتكلف مليارات الدولارات سنويا. ولهذا من الحيوى أن تتم هذه الأعمال بشكل فعال، بمعنى تحقيق النتائج المرجوة، وبكفاءة، أى الاستخدام الأمثل للموارد المطلوبة والمتاحة. ثالثا: الأمم المتحدة هي مجتمع التفكير. ففى عالم يقوم على الاعتماد المتبادل

ويتعرض لتغيير متزايد السرعة، فإن الرغبة الجماعية للنظر حولنا والتطلع للأمام أمر جوهري. وربما لا يكون هناك شيء يوضح هذا أفضل من اهتمامنا بالبيئة والحاجة لتحقيق أساليب حياة مستدامة.

مواد التهريب في الميثاق :

مع تركيز ميثاق الأمم المتحدة على الشعوب أكثر من الحكومات، واهتمامها بالرفاهية وحقوق الإنسان، والنص على العمل الجماعي والإنفاق الجماعي والحساسية من التطورات في مجال التكنولوجيا والاتصالات التي يمكن أن تبطل المفاهيم القائمة للسيادة، فإن هذا الميثاق بقي مصدرا رئيسيا للسلطة "الحكومية" والامتياز "الحكومي". ويتضح هذا بجلاء في أربع مواد من الميثاق تحفظ بشكل خاص الحقوق التقليدية للحكومات. "ليس في هذا الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما (المادة ٢ فقرة ٧)، ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعي للدول، فرادى أو جماعات في الدفاع عن أنفسهم في حالة هجوم مسلح (المادة ٥١)، ليس في هذا الميثاق ما يحول دون قيام تنظيمات أو وكالات إقليمية تعالج من الأمور المتعلقة بحفظ السلم والأمن الدولي ما يكون العمل الإقليمي صالحا فيها ومناسبا ما دامت هذه التنظيمات أو الوكالات الإقليمية ونشاطها متلائمة مع مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها (المادة ٥٢)، ليس في هذا الميثاق ما يمنع أعضاء الأمم المتحدة من أن يعهدوا بحل ما ينشأ بينهم من خلاف إلى محاكم أخرى خلاف محكمة العدل الدولية (المادة ٩٥). ومع هذه المجموعة من التحفظات، قد يبدو أن هناك انتقاصا كبيرا من التزامات الحكومات الأعضاء. ومع هذا، هناك مقيضة لا مفر منها بين التنازل عن المسؤولية التنفيذية التي قد تكون الحكومات على استعداد لتقديمها في سبيل الصالح المشترك وصالح هذه الحكومات نفسها من جهة، وبين الدرجة التي تكون فيها لهذه الحكومات الحق في الإصرار على الحق الانفرادي في حماية ما تراه من مصالحها الحيوية، من جهة أخرى.

ويمكن القول أن الأمم المتحدة قد استطاعت أن تميل الميزان لصالح دور الدولة، وفي الوقت نفسه استطاعت أن تؤكد حقوق المواطنين، في التوقيت نفسه بالضبط عندما كان الاعتماد المتبادل يظهر بوضوح حدود قدرة الحكومات على تناول المشكلات والأولويات التي تواجهها. وبهذا القدر يمكن اعتبار أساليب عمل الأمم المتحدة والأخلاقيات والعادات السائدة فيها عائقا يحول دون إقامة ترتيبات الحكم الرشيد الذي يمكن في الغالب أن يحقق المدى الكامل لأهداف ميثاق الأمم المتحدة. ولكن العلاقة بين حقوق كل دولة والضرورات الجماعية للسلم والرخاء هي أبعد ما تكون عن البساطة والوضوح. فنحن نتحرك تجاه مجتمع كوني global قد يحتاج بشكل متزايد إلى ضبط كوني global regulation ولكن ليس معنى هذا أننا نريد حكومة عالمية. فأى نظام كوني يمكن أن ينشأ من تطور تدريجي وليس بالضرورة منظما لترتيبات الأمة - الدولة وانعكاساتها على المسرح الدولي على شكل تنظيمات دولية، خاصة الأمم المتحدة. والغريب أنه كلما احتوى ميثاق الأمم المتحدة على ضمانات السيادة الوطنية، كلما زاد عدد الحكومات التي على استعداد لقبول عمليا منطق الاعتماد المتبادل الحديث، وهذه نقطة يميل أنصار الفدرالية الأوروبية إلى نسيانها.

الأعوام الخمسون الأولى : تقييم :

إن خمسين عاما من التغيير السريع تعتبر فترة قصيرة لإجراء تقييم نهائي لدور منظمة في شمول الأمم المتحدة. وفضلا عن ذلك ففي أربعة أخماس هذا الوقت كان العالم يعاني من الحرب الباردة. ومع هذا، فمن حق المرء أن يضع كشف حساب مؤقتا ولكنه إيجابي بشكل قوى. وإذا اعتبرنا أن التشكيك الذي قوبل به المشروع الطموح من عدة جهات بمثابة مقياس، فإن مجرد استمرار المشروع على قيد الحياة يعتبر إنجازا كبيرا. فمشروع له مثل هذه الطموحات العالية كان يمكن أن ينهار لو لم يكن قد تم تصوره بشكل سليم. ومع هذا فهو لم يستمر على قيد الحياة فحسب، بل إن عدد أعضائه تضاعف ثلاث مرات، في الوقت الذي استطاع أن يحافظ على استمرارية ملحوظة في مقاصده وأعماله، وفي الوقت نفسه إظهار القدرة على التكيف والمرونة

الضرورية للتأقلم مع التغييرات الجذرية فى الأحوال. أما المبادئ الست التى قامت عليها الأمم المتحدة والتى نوقشت أعلاه، فقد بقيت راسخة بقوة. واحتفظت الأمم المتحدة بالأساس الأخلاقى العالى الذى حصلت عليه فى سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥. وهناك القول المأثور لجين مونييه Jean Monnet النائب السابق للأمين العام لعصبة الأمم، الذى عرف بأنه أحد الآباء المؤسسين للجماعة الأوروبية European Community، الذى يقول فيه إن المؤسسات قد لا تغير الطبيعة الإنسانية ولكنها قادرة على أن تؤثر فى طريقة سلوك البشر^(٦). وأى امرئ ينظر بشكل محايد إلى الطريقة التى تورطت بها إمبراطوريات أوروبا فى الحرب العظمى عام ١٩١٧ لن يجد مفرا من التسليم بأنه يجب إحداث بعض التغيير فى السلوكيات أمر مرغوب فيه^(٧). فعادة الاستشارة، والاعتراف بالمصلحة المشتركة، ورعاية وجهات النظر المشتركة وممارسة التعاون المعقول، كل ذلك أصبح متأصلا وينظر إليه على حقيقته وهو: أنه فى خدمة الانسجام الدولى والرفاهية الدولية.

وتعتبر ديباجة ميثاق الأمم المتحدة عن تصميم شعوب الأمم المتحدة على إنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التى خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصف. ونجح هذا التصميم. فلقد شهد العالم العديد من الحروب وكثيرا من المعاناة فى السنوات الخمسين الماضية. وكان هناك وعى بهذه الويلات بسبب النمو الهائل فى الاتصالات والتغطية الإعلامية. ولكن أمكن تجنب كارثة الحرب على نطاق الحربين العالميتين فضلا عن محو المدنية بالإبادة النووية. ومن الحماسة أن ننكر على الأمم المتحدة بعض الفضل على هذه النعمة كما أنه لا يجب أن نعزو كل الفضل للأمم المتحدة. والأكثر حماسة هو أن نفترض أن المجتمع الدولى يمكن أن يستغنى عن الأمم المتحدة فى القرن الواحد والعشرين. إن ذلك يعرض مستقبل الجنس البشرى للمخاطر لا يحق لأية حكومة منتخبة ديموقراطيا أن تقره.

إن المهمة هى فى تقييم أداء الأمم المتحدة فى السنوات الخمسين الماضية وبحث دورها فى تلبية احتياجات الدبلوماسية الجديدة فى القرن الواحد والعشرين. ويمكن القول بحق أنها نجحت، على الرغم من كل الصعوبات وأوجه النقص، فى مواجهة مقتضيات النصف الثانى من القرن العشرين. فهى منظمة لا يمكن الاستغناء عنها.

وكما أن "الدبلوماسية القديمة" يمكن أن تدعى أنها حافظت على السلام الرئيسي لمائة عام بعد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥، فإن الأمم المتحدة يمكن أن تدعى - كما سبق أن ذكرنا - بأنها أحرزت إنجازا مماثلا خلال نصف القرن الأخير، على الرغم من الحرب الباردة، التي سيطرت على العلاقات الدولية خلال معظم هذه الفترة^(٨). ويمكن أن ينسب إليها أيضا الفضل في أنها واجهت - وان لم تحل - عددا كبيرا من المشكلات التي لم ترق إلى شن الحروب، وخاصة في ميادين "الغزوات" التي سبق أن وصفناها. وقد حققت ذلك بفضل مرونتها وقدرتها على التكيف.

ومع هذا، هناك عدد من مصادر القلق عن كيف يمكن للأمم المتحدة أن تستجيب لمقتضيات الاعتماد المتبادل اليوم وغدا. ويمكن ذكر ثلاثة من هذه المصادر. الأول، داخل مجال الحفاظ على السلم والأمن، وهو لب مسئولية الأمم المتحدة، ومن الضروري أن نحفظ تحت الملاحظة الدقيقة بالمدى الذي يمكن أن نحافظ واقعيا على الحظر المنصوص عليه في المادة الثانية (فقرة ٧) من الميثاق عن التدخل في الشؤون "التي تكون من صميم السلطان الداخلي" للدول في أحوال الاعتماد المتبادل^(٩). وتقوم "الدبلوماسية الجديدة"، كما سبق أن قامت "الدبلوماسية القديمة" على أساس نظام الأمة - الدولة. ولكن عناصرها الرئيسية المتعلقة بالديموقراطية وحقوق الإنسان والحكومة المسؤولة والتعاون الدولي تثير السؤال التالي: إلى أي مدى تستند شرعية الحكومة، ليس على وجود نظام الأمة - الدولة وحده، ولكن أيضا على قدرة النظام على توفير الأحوال التي تساعد الناس على أن يحيوا حياة هادئة ومنجزة. وتشير "الدبلوماسية الجديدة" في هذا الصدد على المدى الطويل إلى استحسان الحكم الرشيد في كل دولة على حدة، فضلا عن الحكم العالمي القائم على سلطة دولية مقبولة. وبمعنى آخر فإنها تشير إلى مجتمع مدنى دولى له شكل ما. أما كيف يتم التعبير عن ذلك، وكيف يتم تحقيقه، فإنها مهمة تكتنفها صعوبة بالغة وتحتاج إلى الكياسة.

ثانيا: إن البحث عن "التقدم الاجتماعى والمستويات المعيشية الأفضل في ظل حرية أوسع، هي في صميم الأمم المتحدة، وهي ليست أمرا يتعلق بالأمم المتحدة وحدها. فالأمم المتحدة يمكن أن تنشط - إذا استخدمنا الصياغة الواردة في ميثاق الأمم المتحدة - هذه الأهداف. ولا يمكن أن نتوقع أن تحققها بنفسها. فتنشيطها

مرتبط بتقديم الاقتصاد العالمى وبمجموعة كاملة من الإجراءات التى تتخذها الحكومات لتوجيه وإكمال جهود الأفراد والشركات فى كل مجال ذى صلة. فالتقدم الاجتماعى والاقتصادى والتنمية المستدامة هى نتائج مجموعة ضخمة من القوى وسلطة اتخاذ القرار. ولكى يدار العالم القائم على الاعتماد المتبادل فإننا نحتاج إلى ترتيبات مرنة، تضم كل الهيئات الحكومية والمنظمات غير الحكومية التى لها تأثير على الاقتصاد العالمى. وهذه الترتيبات لا يمكن إلا أن تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأمم المتحدة. وليس من الجوهري أن تكون جزءا منها. وقد تم بحث هذا الموضوع فى المحاضرة الخامسة عن "الاقتصاد العالمى".

ثالثا: على الرغم من أن الأمم المتحدة قد اعترفت منذ البداية بأهمية الاعتبارات الإقليمية، ونطاق تسوية المنازعات الإقليمية وليست العالمية، فإن أهمية المنهج الإقليمى للاعتماد المتبادل العالمى قد زاد بدرجة كبيرة منذ نهاية الحرب الباردة. وينطبق هذا بشكل خاص على أوروبا، ليس بالمعنى الجغرافى التقليدى للمنطقة الواقعة بين الأطلنطى والأورال فحسب، ولكن أيضا على أساس واقعى *de facto* تستخدمه الأمم المتحدة. وفيما يتعلق بالأمم المتحدة، فإن المنطقة الأوروبية، التى تغطيها اللجنة الاقتصادية لأوروبا تشمل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وكل الجمهوريات السابقة للاتحاد السوفيتى. ولأغراض عديدة تعتبر اليابان أيضا جزءا من "منطقة اللجنة الاقتصادية لأوروبا" والتنمية داخل هذه المنطقة، بكل ما فيها من أسباب عدم الاستقرار وعدم إمكانية التنبؤ بشىء، تعتبر جوهرية ليس لأعضائها فحسب، وإنما للأمم المتحدة كلها. ومع هذا فمن المحتمل أن يستمر البت فى مصيرها داخل المنطقة إلى حد كبير وليس داخل تجمعات على مستوى العالم. وهذه النقطة مهمة لدراسة هندسة العمارة الأوروبية فى المحاضرة السادسة.

حفظ السلام فى ظروف متغيرة

على الرغم من أن الأمم المتحدة لديها مثالان مهمان لصالحها بالنسبة للمقاومة الناجحة ضد العدوان المسلح - فى حالة كوريا عام ١٩٥٠ والكويت بعد أربعين عاما - إلا أنها اشتهرت أكثر فى مجال أقل بروزا وهو حفظ السلام. وحفظ السلام هو

المحافظة على السلام بعد أن تتوقف الأعمال العدائية وپرضاء جميع الأطراف، ويقوم بذلك "خط أزيق رفيع" من المراقبين. وحفظ السلام ليس مذكورا فى الميثاق. ويعتبر إنجاز الأساليب التى تم تطويرها بمثابة خدمة عظيمة للمجتمع الدولى. ومنذ نهاية الحرب الباردة أصبح حفظ السلام أكبر، إن لم يكن أهم أنشطة الأمم المتحدة مع عدد من العمليات فى أجزاء مختلفة من العالم شملت أكثر من ٥٠٠٠٠ من العسكريين. وهذه الأنشطة تكلفت ٢ مليار دولار عام ١٩٩٢، وهى ثلاثة أضعاف الميزانية العادية للأمم المتحدة.

ولكن فى الأعوام الأخيرة تغير طابع عمليات حفظ السلام بشكل كبير. وقيل إن "الديموقراطيات الليبرالية لا تحارب بعضها البعض"، وهو طرح أثبت فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أن له بعض الوزن. ولكن تقلص عدد الحروب بين الدول قد واكب للأسف ارتفاعا فى عدد الحروب الأهلية، حيث الأحوال تجعل بالضرورة من المساعدة الخارجية من أى نوع أمرا مثيرا أكثر للجدل. وأعدت المشكلات التى تواجهها الأمم المتحدة الآن تدخل فى هذه الفئة مثل السودان ورواندا والصومال وأنجولا ويوغوسلافيا سابقا. وعندما تنتشب الصراعات داخل الدول بدلا من أن تنتشب فيما بينها، فإن المبادئ التقليدية التى تحكم حفظ السلام لا تنطبق بوجه عام مثل الطابع الدولى للنزاع، وموافقة كل الأطراف المعنية وعدم التحيز وعدم استخدام القوة. فضلا عن ذلك، ما هى صلة مبدأ عدم التدخل فى أمور من صميم السلطان (الاختصاص) الداخلى المنصوص عليه فى المادة الثانية (فقرة ٧) من الميثاق؟ وإذا كان هناك انهيار كامل للقانون والنظام داخل بلد ما، مما يؤدى إلى موقف فيه إساءة للضمير الإنسانى الدولى وتهديد لدول أعضاء مجاورة، فهل هناك بالضرورة حالة تستدعى الانتقال من الفصل السادس من الميثاق، الذى ينص على التسوية السلمية للمنازعات، إلى الفصل السابع ("فيما يتخذ من الأعمال فى حالات تهديد السلم والإخلال به ووقوع العدوان") والتى بمقتضاها يجوز لمجلس الأمن أن يبدأ عملا إلزاميا؟ واتصالا بهذا الاتجاه: هل المجتمع الدولى يرغب فى التدخل عندما تقوم حكومة، معروف عنها أصلا أنها حكومة راسخة، بمعاملة بعض أو كل رعاياها بطريقة تسبب إساءة عامة وخرقا واضحا للتعهدات فيما يتعلق بحقوق الإنسان؟ هذه النقطة سبق أن أثيرت فى أعقاب طرد القوات العراقية من الكويت، وفيما يتعلق بمعاملة الرئيس صدام حسين للأكراد وسكان جنوب العراق.

هل هي صفقة جديدة؟ الدبلوماسية الوقائية، وصنع السلام، وحفظ السلام،
وبناء السلام :

هذا المدخل العام لقضايا السلام والأمن العالميين كان مركزيا لتطور المناقشة عن دور الأمم المتحدة منذ نهاية الحرب الباردة. ففي يناير ١٩٩٢ اجتمع مجلس الأمن لأول مرة على مستوى رؤساء الدول والحكومات. وقد عقد الاجتماع بمبادرة بريطانية وتحت رئاسة بريطانية. وبينما أكد مجلس الأمن بأن "العالم اليوم لديه أفضل فرصة لتحقيق السلام والأمن الدوليين منذ اقامة الأمم المتحدة"، تعهد مجلس الأمن "بتناول بشكل عاجل كل المشكلات الأخرى، وبخاصة تلك المتعلقة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية، التي تتطلب استجابة جماعية من المجتمع الدولي..."^(١٠) والإشارة إلى "كل المشكلات الأخرى" هي تذكير بمدى اتساع جدول الأعمال الذي يجب على المجتمع الدولي أن يبحثه. وكما سبق أن أوضحنا، فعلى مدى أكثر من عشرين عاما أو نحو ذلك فرضت سلسلة من "القضايا الجديدة" نفسها بشكل متزايد على اهتمامنا: مثل حماية البيئة، والهجرة الجماعية الإجبارية، والإرهاب، والجريمة المنظمة، وإساءة استخدام المخدرات، ومرض الإيدز (نقص المناعة المكتسبة). وبالإضافة إلى ذلك برز بشكل أكثر إيجابية عدد من الأولويات الاجتماعية مثل دور المرأة في المجتمع، واحتياجات الأطفال، والإجراءات التي تتخذ لمساعدة كبار السن والمعوقين.

وقد طلب مجلس الأمن من الأمين العام، الذي كان قد تسلم منصبه منذ قليل، أن يعد تحليلا ويشير بتوصيات عن طرق تقوية قدرة الأمم المتحدة على القيام بالدبلوماسية الوقائية وصنع السلام Peace Making وحفظ السلام Peace Keeping، وجعلها أكثر كفاءة، في إطار الميثاق وأحكامه. وقد وزع تقرير الدكتور بطرس بطرس غالي في يونيو ٩٩٢. تحت عنوان "جدول أعمال السلام" Agenda for Peace^(١١)، وعلاوة على تصنيفات الدبلوماسية الوقائية وصنع السلام وحفظ السلام أضاف الأمين العام تصنيفا آخر هو "بناء السلام Peace Building بعد الصراع". وقد صمم ذلك لبناء بيئة جديدة يجب النظر إليها على أنها "نظير الدبلوماسية الوقائية" Preventive Diplomacy. وبهذا وجدت صلة أخرى تربط بين تنمية السلام والأمن من جهة والرفاهة الاقتصادية والاجتماعية من جهة أخرى. وكما لاحظ الأمين العام فإن "التنمية الوقائية هي كلمة ضرورية للدبلوماسية الوقائية".

وقد اهتمت الجمعية العامة بهذه الصلة ، عندما طلبت من الأمين العام خلال دورتها العادية عام ١٩٩٢ إعداد تقرير عن "جدول أعمال من أجل التنمية" (١٢) Agenda for Development . وقد اهتم بذلك عدد كبير من الحكومات الأعضاء. وعقد رئيس الجمعية العامة جلسات استماع في صيف عام ١٩٩٤ بعد توزيع تقرير الأمين العام. ورفعت توصيات الدكتور بطرس بطرس غالي إلى الجمعية العامة في دورتها العادية عام ١٩٩٤ . وقد تناولنا ذلك في المحاضرة الخامسة عن "الاقتصاد العالمي". وفي الوقت نفسه تم اقتراح عقد اجتماع قمة آخر لمجلس الأمن في يناير ١٩٩٥ ، بهدف بحث ما تم إحرازه من تقدم منذ اجتماع القمة السابق. ولم يتم تنفيذ هذا الاقتراح. ولكن الأمين العام أصدر في ٥ يناير ١٩٩٥ "ملحق جدول أعمال السلام" A Supplement to An Agenda for Peace الذى ركز على المشكلات العملية التى واجهها الأمين العام فى هذا المجال. وقد أكد على مشكلتين: هما صعوبة توفير عدد من كبار الشخصيات قادرة وراغبة فى العمل باعتبارهم ممثلين خاصين أو مبعوثين خاصين للأمين العام، وإقامة وتمويل بعثات ميدانية صغيرة للدبلوماسية الوقائية. وقد "انخفض إلى حد محسوس" توفر القوات والمعدات. وفى هذه الظروف احتاجت الأمم المتحدة إلى "التفكير الجاد فى المثل الأعلى وهو قوة رد فعل سريع". وفى الوقت نفسه كانت الأمم المتحدة عاجزة عن القيام بعمليات سلام قمعية. وفضلا عن ذلك، فإن مثل هذه العمليات كانت "تسلسل بالفعل إلى المقصود به أن تكون عمليات حفظ السلام"، مثال ذلك حماية الأنشطة الإنسانية، وحماية السكان المدنيين فى "مناطق آمنة"، والضغط على الأطراف لتحقيق المصالحة الوطنية أسرع مما هم على استعداد لقبوله.

ومن المهم أن سرد أسباب السخط لم يكن يستشهد به عامةً باعتباره أساس للإيحاء بأن الأمم المتحدة ليس لها دور فى هذه المواقف الصعبة والغامضة، ولا أن هناك أى كيان آخر يمكن أن تعهد إليه بالمسئوليات. بل إن الأمين العام يتحدى أعضاء الأمم المتحدة للتوصل إلى إجابات على الأسئلة الملحة.

إعلان العيد الخمسينى للجمعية العامة :

تتميز العيد الخمسينى للأمم المتحدة باجتماع تذكارى خاص للجمعية العامة فى نهاية أكتوبر ١٩٩٥ . وقد حضر الاجتماع عدد كبير من رؤساء الدول والحكومات،

الذين أصدروا بيانا، وعلى الرغم من أن مادة البيان قد تكون مألوفة، إلا أن ما ظهر منه من حجة وشمول يضيف عليه قيمة خاصة ودائمة بالنسبة لدارس الممارسة الدبلوماسية. وهو يجمع الاهتمامات الدولية الرئيسية بطريقة تعكس الطموحات التي يجب أن تستمر لإرشاد المجتمع الدولي وتثير الاهتمام بالتفاصيل العملية التي تعتبر جوهرية في تحقيق هذه الطموحات. ولم يثر البيان اهتماما شعبيا. ولكن استمر الاعتراف بقيمته الكاملة باعتباره جدول أعمال للمستقبل.

ويبدأ البيان بالتأكيد الجاد بمقاصد ومبادئ الميثاق. ويعبر عن الامتنان للذين قدموا خدمات جليلة للأمم المتحدة في الماضي، وخاصة أولئك الذين ضحوا بأرواحهم في سبيلها. ويعبر البيان عن تصميم الدول الأعضاء والمراقبين للأمم المتحدة، الذين يمثلون شعوب العالم على أن الأمم المتحدة ستعمل مستقبلا بفاعلية وقوة متجددة. وأنهم سيوزونها بما تحتاجه، ويقدمون لها التمويل اللازم، ويعملون على إنشاء هيكل لها من أجل أن تخدم بفاعلية الشعوب التي تم إنشاؤها باسمهم. وبناءً عليه فإننا سنسترشد بما يلي بالنسبة للسلام والتنمية والمساواة والعدالة والأمم المتحدة. ثم أعقب ذلك ما هو مطلوب بالتفصيل في الميادين الخمسة المذكورة. ومن الملاحظ أنه لا يوجد أي إحياء بأن كل هذا النشاط سيتم من خلال نظام الأمم المتحدة وحده، ولا من خلال الأمم المتحدة نفسها. وبالأحرى فإن الدول من أعضاء ومراقبين تتحدث بالإجابة عن شعوب العالم بالنسبة للمنظومة الكاملة لأنشطتها. والحقيقة فإننا نتذكر بشكل محدد التعهد الوارد في المادة ٥٦ من الميثاق بأن يقوم الأعضاء منفردين أو مشتركين، بما يجب عليهم من عمل لإدراك مقاصدها. والفقرة الختامية للإعلان تعترف بأن جهودا مشتركة ستكون أكثر نجاحا إذا لاقت مساندة من كل الفاعلين ذوي الصلة في المجتمع الدولي، بما في ذلك المنظمات غير الحكومية، والمؤسسات المالية متعددة الأطراف، والمنظمات الإقليمية، وجميع الفاعلين في المجتمع المدني.

وتحت عنوان "المساواة"، خصص لحقوق الإنسان مركز رئيسي في الإعلان جاء فيه: "نؤكد ما أقره الميثاق من احترام لكرامة الإنسان وقدره وكذا المساواة في الحقوق بين الرجال والنساء. ونؤكد من جديد أن حقوق الإنسان كلها حقوق عالمية لا تقبل التجزئة وأنها حقوق مترابطة متشابكة". وقد رؤى أن الإنجاز العملي للأهداف في

ميدان حقوق الإنسان مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنصوص تحت العناوين الموضوعية وهي السلام، والتنمية، والعدالة. ويوضح نص الإعلان تعقد الساحة التي على الدبلوماسيين أن يعملوا فيها والحاجة إلى استيعاب الوسائل المؤسسية المتاحة. كما توضح المزج الذي لا فكاك منه بين الجوهر والعملية. والإعلان بالطبع هو إقرار بالمشكلة، أكثر منه خطة لحلها. فالتعبير عن الأهداف أسهل من تحقيقها.

إصلاح اليوبييل الذهبى :

يعترف الإعلان بأنه حتى تستجيب المنظمة بشكل فعال لتحديات المستقبل وبما يتوقعه الناس من الأمم المتحدة، لابد من إصلاحها وتحديثها. ولا بد أن تكون لديها موارد كافية. ويجب على الدول الأعضاء أن يدفعوا المبالغ المستحقة عليها فورا. ويجب أن يتم تقاسم العبء المالى بشكل منصف. ولا بد لأمانات نظام الأمم المتحدة القيام بعمل أكثر كفاءة وفعالية فى إدارة الموارد. أما الدول الأعضاء فإنها من جانبها ستتابع وتتحمل مسئولية إصلاح النظام.

ويعود هذا بالنفع على الذين يرون اليوبييل الذهبى للأمم المتحدة فى ١٩٩٥ على أنه السياق الذى يضغطون به من أجل الإصلاح. وهناك مجال أساسى للقلق وهو دور مجلس الأمن وتكوينه. فانشغال الغالبية العظمى من الحكومات الأعضاء بالمحافظة على الاختصاص الداخلى كما هو منصوص عليه فى المادة ٢(٧) يضع حدودا ضيقة على المدى الذى يمكن أن تصل إليه أية اتفاقية فى زيادة سلطات مجلس الأمن فى التدخل فى شئون أية دولة. وعلى أى حال فالمسألة ليست مما يحتمل حلها بتعديل الميثاق. وهى على الأرجح سيتم معالجتها عن طريق السوابق. فالأمم المتحدة ستتعلم من الأفعال. وهذا بدوره يعلق أهمية الكفاءة التى تدار بها عمليات الأمم المتحدة، وكذلك على وضوح الأهداف التى تتوخاها، وعلى المحافظة على توافق الآراء داخل المجتمع الدولى، وبالذات بين أعضاء مجلس الأمن، خلال سير العمليات. والتوصل إلى توافق الآراء أمر جوهري. فهو لا يتضمن ببساطة مجرد التشخيص المتفق عليه للحالات الفردية ومن ثم المعالجة المناسبة لها، ولكنه يكمن فى الثقة طويلة الأمد، التى تتوطد داخل عضوية الأمم المتحدة

بوجه عام، بأن مجلس الأمن، الذي قد يتم التوسع فيه بشكل مناسب، هو في الحقيقة أداة للسعى لتحقيق الصالح العام.

والتوسع في حد ذاته قد لا يكون مشكلة عويصة بالمعنى القانوني، إذا علمنا أن مجلس الأمن قد تم التوسع في عضويته الأصلية البالغة ١٠ أعضاء إلى العضوية الحالية المكونة من ١٥ عضواً. وإقرار شروط العضوية لمجلس الأمن الموسع سيكون أصعب. فالعضوية الدائمة الواقعية *de facto* لألمانيا واليابان، على سبيل المثال، والتي تعتبر على نطاق واسع مناسبة بسبب حجمها وقوتها الاقتصادية، كما تعتبر مقبولة بعد مرور ٥٠ عاماً على نهاية الحرب العالمية الثانية، يمكن تحقيقها بحذف الجملة الأخيرة من الفقرة ٢ من المادة ٢٢ من الميثاق. وهي تنص على أن العضو غير الدائم بالمجلس بعد انتخابه لمدة سنتين "لا يجوز إعادة انتخابه على الفور". فإعادة الانتخاب فوراً وبشكل آلي يمنح العضو عضوية دائمة، دون حق الاعتراض. وعلى أي حال فليس من المحتمل أن توافق الجمعية العامة بالأغلبية الضرورية - أغلبية الثلثين - على منح سلطة الاعتراض للأعضاء الدائمين الجدد. ومن غير المحتمل أن تضغط الدول الدائمة الجديدة المحتملة من أجل ذلك. ولكن ما هي الدول التي يمكن أن تستفيد من هذا التغيير غير ألمانيا واليابان، إما على أساس نفوذها في أنحاء العالم أو أهميتها الإقليمية؟ هل هي إندونيسيا؟ هل هي الهند؟ هل هي البرازيل؟ هل هي مصر؟ هل هي نيجيريا؟ وإلى أي مدى يمكن لمجلس الأمن أن يتوسع دون أن يفقد فاعليته؟ فالمشكلة ليست مشكلة من المتوقع أن يوافق عليها أعضاء الأمم المتحدة بسهولة. ومع هذا تبقى جزءاً أساسياً لوسيلة تناول سلسلة القضايا محل اهتمام البشرية والتي عرضتها ديباجة الميثاق بوضوح يدعو للإعجاب. وتوافق الآراء السياسية هو خدمة لتوافق الآراء العام في المجالين الاقتصادي والسياسي وليس من زاوية الصراعات السياسية وحدها. إن تجنب الأزمات أمر مفضل على معالجة الأزمات بعد وقوعها. ويكون التركيز على المدى الطويل وليس على المدى القصير. فعلى المدى الأطول قد تكون القضايا الاقتصادية هي الحاسمة.

وفي سياق الأمم المتحدة، فإن الضغط من أجل الإصلاح يكون كبيراً كما في المجالين الاقتصادي والاجتماعي وكما هو في علاقته بمسائل الأمن الدولي. والانتقادات

التي توجه إلى الأمم المتحدة على الجانب الاقتصادي والاجتماعي تقع في فئتين بشكل واسع، والتي يمكن أن تصنف للتسهيل بأنها الفئة "الكلية" macro والفئة "الجزئية" micro. أما عن الفئة الأولى، فإن نظام الأمم المتحدة ينظر إليها على أنها غير قادرة على أن تعبر بشكل عملي متماسك عن الأهداف التي نص عليها الميثاق. ومن هنا يقال إنه يحتاج إلى إعادة تنظيم جذري وتدعيم، بما في ذلك الأمانة العامة، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، وبنية النظام ككل. وقد طرح عدد من الأفكار في هذا الصدد. ومع هذا، تتمثل الصعوبة الدائمة بشأنها في أن إدارة الاقتصاد العالمي يتميز بأنه عمل شديد التنوع والتشتت بحيث لا يسمح بإقامة أية هيئة متحكمة فعالة بمفردها. وحتى إذا وافقت الحكومات على إقامة مثل هذا الجهاز، وهو احتمال بعيد، فإن العالم الحقيقي القائم على الاعتماد المتبادل سيقابله بالتحدي. ومع هذا، فإن القضية لن تنتهي. فهي تحتاج إلى تتبعها بما يتوافق مع "جدول أعمال" الأمين العام. وهذه قضية سنتناولها بالتفصيل في المحاضرة التالية.

أما عن النوع "الكلية" من النقد، فإن الأمم المتحدة ينظر إليها في الغالب على أنها غير ذى كفاءة، وأنها مسرفة وفاسدة في أنشطتها التنفيذية وأنها باهظة التكاليف وصعبة المراس ومعمدة التصميم وتنقصها المهارة والحماسة في إدارتها. وبعض هذا النقد هو نتيجة التحيز ضدها أو الجهل بها. ولكن الأمم المتحدة يجب أن تتابع بقوة أوجه النقد "السليم" الذي وجه إليها، إذا أرادت أن تحافظ على الثقة في قدرتها على تحقيق مطامح الميثاق. وفي النهاية فإن الحكومات يمكنها أن تحجب الأموال، أو تهدد بذلك، باعتبارها وسيلة لممارسة الضغط على إدارة الأمم المتحدة. ومن الواضح أن التعاون الدولي الذي يتابع أهداف الميثاق لا يقوم ولا يسقط بأنشطة الأمم المتحدة وحدها. فإذا بدأ في القرن الواحد والعشرين، أن هناك طرقاً أكثر فاعلية لتحقيق بعض الأهداف المرغوبة على الأقل، فإن جهاز الأمم المتحدة سيجد نفسه في وضع سيئ بشكل متزايد.

المسئولية النهائية :

لا توجد منظمة أفضل من أعضائها. فالأعضاء يمثلون المسئولية النهائية. والأمم المتحدة ليست نواء لكل الأمراض كما أنها ليست في موضع اتهام. فإمكانياتها وأوجه

قصورها أمور معترف بها منذ البداية. وقد جاء فى تقرير رسمى للمملكة المتحدة وتعليق على الميثاق بعد أن وافق عليه مؤتمر سان فرانسيسكو ما يلى:

"لا يوحى أحد أن هذا الجهاز بأكمله، مهما كان مؤثرا، يمكن أن يقوم وحده بالمحافظة على السلام أو زيادة رفاهية شعوب العالم. فهذا يتوقف على كيف تستخدم الحكومات هذا الجهاز، كما أن أعمالها بالتالى ستتوقف إلى حد كبير على الرأى العام فى بلادها كما هو معبر عنه من خلال هيئاتها التشريعية وغيرها من الهيئات. وهذه الحقيقة لا يمكن أن نبالغ فى تأكيدها ... فهى بوضعها الراهن منظمة قوية ومرنة وعن قريب ستكون تحت تصرف (أعضائها). كما أنها فضلا عن ذلك منظمة تتكيف مع الحقائق السياسية للعالم الحديث".

هذا الحكم الواضح المتزن قد ثبتت صحته مع الزمن. فبالنسبة للعضوية الجماعية، وللأعضاء فرادى، تمثل الأمم المتحدة فرصة ومسئولية. وهى تشكل بعدا إضافيا لدبلوماسية أية دولة، مهما كان حجمها.

ولكن من المناسب أن نطلق كلمة تحذير. فإن إعادة توحيد القوة لا يعنى أن القوة، سواء أكانت عسكرية أو اقتصادية أو تكنولوجية أو متصلة بعالم الأفكار والآراء، لم يعد لها أهمية. وقد اقترحت أحيانا على طلبتى أنه ينبغى أن تكون هناك فقرة تقدم مخرجا وتضاف إلى الجمل التى جاءت قبل ذلك فى هذه المحاضرة، وأعنى مادة جديدة رقم ١١٢ تكون فى نهاية الميثاق، بحيث تقول: "لا شىء فى هذا الميثاق يجب أن يسمح له لتثبيت الوهم بأن القوة لم يعد لها أهمية تذكر". فحقيقة القوة لا يمكن تجاهلها. والشىء نفسه صحيح بالنسبة للمبدأ المجسد فى الأمم المتحدة بأن المصلحة الذاتية الرشيدة ستخفف من حدة استخدام القوة، خاصة فيما يتعلق باستخدام القوة. والدبلوماسية الجديدة تعطى مجالاً للأقل قوة بطريقة مختلفة عن "الدبلوماسية القديمة" التى خلت من ذلك. فأى دولة عضو - مهما كان حجمها - لها رأى فى الشؤون العالمية بحكم عضويتها. وأى دبلوماسى يجب أن يكون ملما بماهية الأمم المتحدة وما تفعله، وبما يمكن حثها على أن تفعله.

(٥)

الاقتصاد العالمى

فى المحاضرة السابقة نظرنا إلى الأمم المتحدة باعتبارها التعبير الأساسى المؤسسى للاعتماد المتبادل الحديث والقاطرة الرئيسية "للدبلوماسية الجديدة". إن نطاق أنشطتها واسع، ومازال نطاق مشاوراتها واهتماماتها أوسع. ومن الواضح أن الأمم المتحدة، مهما تعرضت للإصلاح أو إعادة الهيكلة، غير قادرة على أن تقوم وحدها بإدارة الاعتماد المتبادل. فهناك قدر كبير من الأعمال التجارية التى يجب أن يتم تبادلها دولياً، والتى لا يمكن أن تتم - بشكل أو بآخر - بواسطة أو من خلال الأمم المتحدة. وكما شرحنا فى نهاية المحاضرة الأولى، فإن الوسيلة العملية لتقييم هذا الاحتياج هو أن ننظر إلى واقع الاقتصاد العالمى والتدابير التى تحتاجها الحكومات للتعامل معه.

والدقة مطلوبة دائماً. فما الذى نعنيه "بالاقتصاد العالمى"، وهى عبارة تستخدم منذ فترة طويلة؟ إننا لا نعنى ببساطة تدويل العملية الاقتصادية فى حد ذاتها، على الرغم من أهميتها. ومن جهة أخرى، يجب أن نكون حذرين فى استخدام عبارات شاملة لكل شىء مثل "القرية العالمية" Global Village أو "كوكب الأرض". على الرغم أن هذه العبارات لها دور مفيد فى تحفيز الفكر والطموحات، إلا أنها قد تشتت الانتباه عن تناول أعمال أكثر تفصيلاً، وإن كانت جوهرية، على المستوى المحلى أو القومى أو الإقليمى. وما يهمنا هو شىء فى الوسط، يكون شاملاً، ومع هذا محددًا، ونعنى المزج بين عوامل تدخل فى السعى الدولى لإحراز تقدم اقتصادى واجتماعى، وهو أحد الأهداف الرئيسية للبشرية، كما ورد فى ميثاق الأمم المتحدة. إننا نسعى إلى تحقيق

هذا الهدف، علاوةً على ذلك، ليس في حد ذاته فحسب، ولكن أيضاً باعتباره ملازماً للهدف الرئيسى الآخر للسياسة الخارجية، وهو ضمان السلم والأمن. وطبقاً لهذا التعريف فإن الاقتصاد العالمى يمتد فعلياً إلى كل نطاق الاهتمامات الإنسانية فى عالم قائم على الاعتماد المتبادل. والدبلوماسية القديمة ما كانت تستطيع أن تتعامل مع مثل هذه المهمة. فالدبلوماسية القديمة تحتاج إلى مجموعة متنوعة من الآليات لمواجهةها. فهى يجب أن تتعامل مع المجتمع الدولى كما هو اليوم، وكما تم وصفه فى المحاضرة الثانية. ويجب أن نقبل أوجه القصور فى قدرات الحكومات، كما أوضحناه فى المحاضرة الثالثة. ويجب أن نستخدم الحد الأقصى مما تقدمه الأمم المتحدة من نطاق، ليس لحفظ السلام فحسب، ولكن أيضاً لتحقيق رفاهية الإنسان، كما ناقشناها فى المحاضرة الرابعة.

العولمة الأولى والثانوية :

تستخدم كلمة "العولمة" Globalisation كثيراً تعبيراً عن الاعتماد المتبادل على نطاق عالمى. وللمرة الثانية، فهى كلمة تعانى من عدم الدقة. ففي عام ١٩١٤، أى خلال فترة "الدبلوماسية القديمة"، كان العالم قد وصل إلى مرحلة متقدمة من النشاط المتقاطع مع الحدود، كما يقاس بالمعايير النمطية مثل الصادرات باعتبارها مئوية للنتائج القومى الإجمالى، وحجم الاستثمار الأجنبى، ونطاق الهجرة. وكانت التدفقات الدولية للسلع والخدمات ورأس المال والبشر تلقى تشجيعاً منذ قرون، من خلال الطرق الكلاسيكية لعقد معاهدات الصداقة والملاحة والتجارة وغيرها من الطرق. كما أن التوسع الاستعمارى يرتبط أيضاً بالتنمية الاقتصادية، فالتجارة تتبع العلم. وقد تسبب اندلاع حربين عالميتين فصلت بينهما ٢٠ عاماً فقط من السلام المزعزع، فى إحداث نكسة حادة فى عملية العولمة. ولم يعد نصيب التجارة من إجمالى الناتج المحلى إلى مستويات عام ١٩١٣، إلا عام ١٩٧٠ فى حالة دول منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية OECD بوجه عام^(١). وفى حالة الولايات المتحدة لم يحدث ذلك إلا فى أواخر الثمانينات، وبالنسبة لعدد كبير من دول أمريكا اللاتينية والدول الآسيوية كان النصيب الحالى أقل عما كان منذ ثمانين عاماً. وفيما يتعلق بالاستثمار الخارجى المباشر فقد

كان إجمالي المخزون ٩ فى المائة من إجمالى الناتج المحلى عام ١٩١٣، وهذا رقم لم يتم استعادته حتى ١٩٩٠. ومع هذا كانت هناك زيادة سريعة فى الاستثمار الخارجى المباشر منذ منتصف الثمانينات.

أما تحركات البشر فلها قصة أخرى. فالهجرة من أوروبا إلى الولايات المتحدة وكندا وأستراليا والأرجنتين والبرازيل فى الأعوام الثلاثين أو ما يقرب منها قبل ١٩١٤ كانت أكبر بكثير نسبياً مما هى عليه الآن. فالقيود الحالية على الهجرة تتعارض تماماً مع النطاق والسرعة فى التحرك الدولى لعوامل الإنتاج الأخرى.

ومن الواضح أننا عندما ننظر إلى الاقتصاد العالمى باعتباره مظهر مؤسسى للدبلوماسية، فإنه ليس العولة فى حد ذاتها هى التى تعيننا، بل هو عمق التفاعل ونوعيته. فالاقتصاد العالمى عام ١٩١٤ كان، بوجه عام، له طابع تجارى واستعمارى. أما القرن العشرين، فى اعتماده المتبادل المتعدد الأوجه، فقد أنتج شكلاً أكثر تعقيداً من العولة - العولة "الثانوية" وليست العولة "الأولية". وفى المحاضرة الأولى بحثنا سلسلة من "الغزوات" للواجهة السياسية مما يفسر التحول من "الدبلوماسية القديمة" إلى "الدبلوماسية الجديدة". لقد كانت هناك سلسلة من الغزوات المتداخلة للواجهة التجارية والاستعمارية للاقتصاد العالمى. وهذه السلاسل، التى خضعت لكل التحفظات التى انطبقت على سابقتها، التى لا علاقة بها، يمكن أن ترتب كالتالى :

بداية الثورة التكنولوجية/المعلومات، التى ألغت الثورة الصناعية للقرن الثامن عشر، وأتت معها بتقدم هائل فى العملية الاقتصادية، بما فى ذلك خفض كبير فى تكاليف النقل وزيادة سرعة الاتصالات وحجم المعلومات.

قيام الشركات العابرة للقوميات، وهى المركبة الرئيسية للنقل الدولى للتكنولوجيا وعولة الإنتاج، وهى مختلفة عن التجارة فى السلع والخدمات وحركة العوامل الفردية للإنتاج.

(ج) زيادة كبيرة فى التدفقات المالية الدولية، تمثل مضاعفاً للتجارة وتدفقات الاستثمار التى تعتبر أن وظيفتها التقليدية هى تسهيل عملها.

(د) قبول الحكومات مسئوليات أكبر بكثير في إدارة الاقتصاد، وهذا مختلف عن توازن الإنفاق الحكومي والإيرادات. وهذه المسئوليات لها مضاعفات دولية وقومية بعيدة الأثر.

(هـ) تأثير الاهتمام الشديد برفاهية الإنسان والتقدم الاجتماعي، وهما مختلفان عن النمو الاقتصادي في حد ذاته، وهو مرة أخرى اهتمام بالتشعبات الدولية الواسعة النطاق.

(و) ارتفاع اختيارات المستهلكين باعتباره عامل في الاقتصاد العالمي، مما يعكس الزيادة الضخمة في الدخل المتوفر للاستعمال والتسهيلات الانتمانية الشخصية التي زادت من ازدهار خاصة في الدول المتقدمة. واليوم أصبح وقت الفراغ والأزياء الحديثة والترفيه والرياضة والسياحة من العوامل القوية في الشؤون الدولية.

(ز) إدراك دائم بالمشكلات المعنية والصعوبات التي تعاني منها الدول النامية، التي شكلت الغالبية العظمى من عضوية الأمم المتحدة في مطلع التخلص من الاستعمار.

(ح) أولويات بيئية أصبحت أكبر إلحاحاً،

(ط) الأبعاد الأمنية للاعتماد المتبادل، الذي يعكس العلاقة المعقدة بشكل متزايد بين السعى للأمان والسعى للازدهار وهما يحظيان بالتزام عالمي.

يمكن الصفع عن المرء إذا توقف ليأخذ نفساً عميقاً قبل تناول أبعاد كل هذه الغزوات. ولكن لا مفر من المهمة إذا أريد لصنع السياسات أن يكون فعالاً. والعولمة الثانوية تتطلب منا أن ننتبه إلى مظاهر ذات صلة بالاعتماد المتبادل، مع الاعتراف بأنه حتى ونحن مستعدون للتوغل في أرض جديدة في أثناء بحثنا، فيجب علينا أن نكون مستعدين للعمل مرة أخرى في الأرض القديمة. وكان هناك اقتراح بأن أحد المؤشرات المفيدة للعولمة يتمثل في النسبة المئوية من الوقت الذي تستغرقه البرامج المنتجة في الخارج على محطات التلفزيون الوطنية. وتوجد ثلاث اعتبارات عريضة ذات صلة بذلك. ففي المقام الأول، فإن الاعتماد المتبادل يتقدم بشكل هندسي وليس بشكل حسابي. فلا يوجد فقط اعتماد متبادل داخل الفئات - البلاد أو الشعوب أو القضايا أو المؤسسات

أو قنوات الاتصال - فهناك أيضا اعتماد متبادل "بين" هذه الفئات، بما يتبع ذلك من توسع للظاهر التي نحتاج إلى أخذها في الاعتبار. وحتى يمكن فهم الاعتماد المتبادل فإنك لا تضيف العملية إلى الجوهر وإنما تضاعفهما معاً.

ثانياً: إن التطورات الخطيرة التي غيرت العولة الأولية إلى عولة ثانوية هي عمل المشروعات الخاصة والسوق وليس الحكومات. وأدوات التغيير الرئيسية هي غير حكومية. وكان دور الحكومة هو إزالة العوائق التي تعترض العمل الحر لقوى السوق وطاقاة الإنسان وإبداعه. ويعكس ذلك فلسفة سياسة الحرية الاقتصادية بأنه حتى تحكم بطريقة أفضل من الضروري أن تحكم بطريقة أقل. وقد وفر القرن العشرين بعض الأمثلة المبهرة عن صحة هذا الافتراض، وخاصة الكوارث التي أحدثتها التخطيط الاشتراكي ونظرية التدخل. وقد جعل انهيار الاتحاد السوفيتي أحد وزراء الخزانة البريطانية السابقين يتحدث عن نصر دارويني (نسبة إلى داروين) لقوى السوق على الاقتصاد الذي تسيره الأوامر^(٢).

ثالثاً: إن ضمان النطاق الأقصى للمشروعات الخاصة وقوى السوق لا يعنى أن الحكومة يمكن أن تنوى وتحمى. فممازال من الضروري أن تحتفظ بالخاتم، وهي مسئولية على الحكومات أن تقوم بها داخليا ودوليا، على حساب التضحية بدرجات متفاوتة من السيادة، وهو ما ناقشناه في المحاضرة الثالثة. ومهما كانت ضالة ما قامت به الحكومات من إدارة مباشرة للشئون الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، فإن هذه الحكومات ستجر حتما إلى شبكة دولية ممتدة من القواعد والاستشارات والعمل التعاوني. ومع هذا فإن إقامة الشبكة يميل إلى أن يكون بطيئا. ولقد كان هناك تخلفا زمنيا مؤسسيا في الطريقة التي جاءت فيها البنية في أعقاب الجوهر.

التحول المؤسسي: إدارة الاقتصاد العالمي :

كل هذه التطورات مجتمعة تتطلب تحولا في الإدارة الاقتصادية الدولية. فالعالم، كما سبق أن ذكرنا، شهد توسعا كبيرا في المنظمات الدولية المهتمة بالمظاهر المختلفة للاعتماد المتبادل. وشبكة الاستشارات بين الحكومات التي نألفها اليوم ضرورية

فى ظل الظروف الحالية والمتوقعة، وهى تسمح حتى بتشجيع كامل للنشاط الاقتصادى المستقل ذاتياً، أو الذى يكون مدفوعاً بالسوق. والمشكلة هى أن نجعل الجهاز يتكيف مع الاحتياجات المتغيرة.

وربما نجد أن أوضح مثال على هذا التطور فى الاقتصاد العالمى متمثل فى محتوى وسياق دورة أوجواى لمفاوضات التجارة المتعددة الأطراف، التى عقدت فى نهاية ١٩٩٣ تحت رعاية الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة GATT^(٣). وقد أدى التعقيد الكبير الذى اتسمت به المناقشات والعمليات التى استغرقت مدة طويلة فى أن تحجب جزئياً ضخامة ما تم إنجازه، وما يجب أن يتم للاستفادة من هذا الإنجاز. وكانت تغطية دورة أوجواى أفضل بكثير مما حدث فى الدورات السابقة. وكان أمام منظمة التجارة العالمية، وهى المنظمة التى أنشئت لتحل محل الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة، مسئوليات أوسع وسلطات أكبر. وحتى يمكن للمرء أن يفحص الموقف الحالى من المفيد أن يبدأ من إنجازات أوجواى، والمسألة المتعلقة بها وهى مهام المنظمة المنشأة حديثاً، ثم بحث السياق الذى تم فيه الوصول إلى اتفاق شاق، وهو السياق الذى على المنظمة أن تعمل فيه.

إنجازات جولة أوجواى ومهام منظمة التجارة العالمية:

أولاً: الإنجازات. تم تخصيص هذه الإنجازات فى إعلان مراكش (المغرب) الذى تمت الموافقة عليه فى أبريل ١٩٩٤، والتى أنهت دورة أوجواى رسمياً :

(أ) إطار قانونى أقوى وأوضح لمسار التجارة الدولية، بما فى ذلك آلية لتسوية الأزمات تكون أكثر فاعلية ويمكن الاعتماد عليها.

(ب) خفض عالمى قدره ٤٠ فى المائة للتعريفات الجمركية، واتفاقات أوسع لانفتاح الأسواق، وزيادة القدرة على التنبؤ والأمن ممثلة فى توسع كبير فى نطاق الالتزامات التعريفات.

(ج) إقامة إطار متعدد الأطراف من النظم فى الخدمات وحقوق الملكية الفكرية المرتبطة بالتجارة ونصوص "تدعيمية" فى الزراعة وفى المنسوجات والملابس.

وكان للوزراء فى المغرب الحق فى الادعاء بأن إقامة منظمة للتجارة العالمية يبشر بعهد جديد للتعاون الاقتصادى العالمى. ولكنهم لم يقولوا أن قضايا السياسة التجارية التى تدخل ضمن مسئوليات منظمة التجارة العالمية كانت مستقلة عن غيرها، أو أن عمل المنظمة يمثل وسيلة شاملة لإدارة الاقتصاد العالمى ككل. ولكنهم دعوا إلى ترابط عالمى أقوى فى السياسات فى ميدان التجارة والمال والتمويل، بما فى ذلك التعاون بين المنظمة وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى. وبمعنى آخر، فإن الاقتصاد العالمى يحتاج إلى إدارة محدثة.

إن عمل دورة أورجواى الذى لم ينته، إذا قيس بمقارنة الناتج الحقيقى بالنوايا المعلن عنها فى بدايتها (كما جاءت فى إعلان بونتا دى ليستا فى أورجواى فى ٢٠ سبتمبر ١٩٨٦^(٤)) يعتبر مهماً فى مناطق معينة، وخاصة الخدمات. ومع هذا فإن الاقتصاد العالمى يتحرك باستمرار. وقد تغيرت الأحوال فى عدد من الجوانب المهمة. والاحتياج العملى اليوم هو وضع قائمة بالمهام التى يجب أن تقوم بها منظمة التجارة العالمية، وبعضها نشأ مما لم يتم الاتفاق عليه فى دورة أورجواى. ولاشك أن مسألة الخدمات والمناطق الجديدة لتحرير السوق تأتى فى مقدمة هذه الفئة. ولكن هناك أولوية أولى فى أن تصبح المنظمة مؤسسة عالمية بالفعل، والصين وروسيا من بين عشرين دولة تنتظر أن تنضم إليها. ثانياً: لا بد أن تحرص المنظمة على أن تدمج منافع دورة أورجواى على جميع أعضائها. ثالثاً: لا بد لها أن تقوى سيادة القانون فى التجارة الدولية، وأن تكون فعالة فى تسوية المنازعات التى يمكن أن تنشأ. رابعاً: يجب أن تكون قادرة على أن تتكيف مع الحاجات التى تتطور وتحديات الاقتصاد العالمى وأن تتعاون بشكل فعال مع غيرها من المؤسسات، وخاصةً صندوق النقد الدولى والبنك الدولى. كما يجب أن تطبق خبرتها الفنية وأن تمارس سلطتها على المسائل المتعلقة بالتجارة التى تتجاوز مجرد مفهوم الوصول إلى الأسواق. ولما كان السوق العالمى قد تخلى عن موقعه للاقتصاد العالمى، فإن الترتيبات الدولية لتنظيم وتنشيط التجارة ستتوغل داخل الحدود الوطنية لكل دولة. وهذه الترتيبات الدولية قد تحتاج إلى تشريعات وطنية. ومن المؤكد أن ينظر إليها بعض الناس على أنها مقحمة.

وهذا التوغل الدولي فى الترتيبات الاقتصادية والاجتماعية الوطنية سيؤثر بشكل عميق فى تشكيل السياسة الاقتصادية، وفى تطور الفلسفة الاقتصادية بلا شك. وهناك قدر من السخرية حقا فى أنه بينما أصبح العالم، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، منتجها باطراد نحو آليات السوق، إلا أن الثقة فى التأثير المفيد لقوى السوق تعرضت لهجوم متزايد. فمثلا، ليس من الواضح أن تحقيق المنافسة الدولية يجب أن يمثل الأولوية الغالبة، إذ أن لها أصدقاء مدمرة فى الداخل. ويخشى عدد من الدول المتقدمة، التى تواجه بالفعل مشكلات بطالة حادة، من أن تتفاقم بسبب إقدام الشركات على نقل الإنتاج إلى ما وراء البحار حيث تكلفة العمال أقل. وثمة جدل أكاديمى مفعم بالحوية عما هو أكبر مصدر للبطالة فى العالم المتقدم: هل هو المنافسة الدولية على الأجور المنخفضة أو أنه التقدم التكنولوجى النابع من الداخل؟ وقد أدت سرعة التغيير إلى زيادة حدة هذا الجدل. وهل استخدام الإنسان الألى يمثل حقا خطرا على العالم المتقدم أكبر من السلع الرخيصة فيما وراء البحار؟

إلى حد ما تبدو المسألة أقل أهمية من الحاجة لزيادة الكفاءة فى تخصيص الموارد واستخدامها على أى حال. ولكن خطر ازدياد الإجراءات الحمائية التى تطيل أمد المستويات العالية من البطالة لا تحتاج إلى تأكيد. إن اعتبارات من هذا النوع العام هى التى يمكن أن تكون حاسمة بالنسبة لمستقبل منظمة التجارة العالمية. هل هناك حقا تناقضات كامنة فى العولة يمكن فى النهاية أن تمنع تحقيق الأهداف العريضة لدورة أورجواي؟ إن التجارة الحرة الكاملة لم يكن لها وجود على الإطلاق. والتجارة المسيطر عليها لم تختف أبداً. وتمثل نجاح سنوات ما بعد الحرب فى تفكيك القواعد والتحرر أساساً. ولكن الضغوط الحمائية بدأت تتصاعد مع انخفاض التجارة المسيطر عليها. ومصادر الحمائية متعددة، وتشمل اعتبارات أمنية واجتماعية كما تشمل اعتبارات اقتصادية. وكلما كان الاقتصاد عالميا وزاد عدد المستهلكين والمنتجين الذين يشعرون بأن طريقتهم فى المعيشة وأسلوبهم فى الحياة مهددة لسبب أو لآخر، كلما أبدوا مقاومة للواردات أو أقدموا على إقامة تحالفات إقليمية لمواجهة الضغوط العالمية. وحتى يمكن المحافظة على التحرر الاقتصادى لابد من بناء ثقة عامة بأن المنافسة عادلة وأنها تؤدي كذلك إلى الكفاءة.

السياق العام لمولد منظمة التجارة العالمية :

إن جدول أعمال التجارة الدولية الذي يواجه منظمة التجارة الدولية مزدحم هكذا. ولكن لا يمكن تناوله بمعزل عن الجوانب الأخرى من الاستقلال الذي يؤثر على الاقتصاد العالمي في أحوال العوالة الثانوية. وهذه الأحوال، التي سبق وصفها بأنها سلسلة من "الغزوات" للواجهة الأمامية التجارية والإمبراطورية، يمكن تصنيفها قطاعياً. وسنطلق عليها "أبعاداً" من باب التيسير:

(أ) البعد الاقتصادي.

(ب) البعد الاجتماعي، حيث التركيز على البشر باعتبارهم منتفعين من التنمية الاقتصادية وليسوا فقط مجرد عملاء.

(ج) بعد الهجرة، أى تأثير الحركة الإرادية واللاإرادية للبشر عبر الحدود الوطنية.

(د) بعد الدولة النامية، أى الهموم والحاجات المعنية، الجماعية والفردية، للدول الأقل ثراءً والتي تشكل الأغلبية العظمى لعضوية الأمم المتحدة، والحاجة إلى استمرار المساعدات الدولية لها.

(هـ) البعد البيئي، وهو الاهتمام بالمحافظة على كوكبنا الأرضى وبيئتنا لمستقبل جدير بالمحافظة عليه من أجل أبنائنا وأحفادنا.

(و) البعد الأمنى، أى التفاعل المستمر بين السعى من أجل الأمان والسعى من أجل الازدهار الذى نلتزم بهما جميعاً.

(أ) البعد الاقتصادي :

مر أكثر من خمسين عاماً على مؤتمر برايتون وودز الذى أنشأ صندوق النقد الدولي International Monetary Fund والبنك الدولي للتعمير والتنمية International Bank for Reconstruction and Development ، والمعروف الآن باسم (البنك الدولي) أو World Bank . وكانت النية تتجه أساساً فى أن تقام مؤسسة ثالثة، هى منظمة

التجارة الدولية. ولكن ميثاقها - كما صيغ في المؤتمر التالي في هافانا - فشل في الحصول على موافقة الكونجرس بالولايات المتحدة الأمريكية. ومع هذا فإن نصوص السياسة التجارية لمنظمة التجارة الدولية تم إنقاذها وإدراجها في الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات). وقد وقع مهندسو اتفاقيات بريتون وودز وميثاق هافانا تحت التأثير القوي للتجربة المنهكة والكثيثة لفترة ما بين الحربين، مع إجراءات تحمل بنور فشلها وهي خاصة بالحماية وتخفيض قيمة العملة التي اتخذت فرديا وبشكل أناني، على يد دول تمر بصعوبات. وكان جون مينارد كينز مؤثرا إلى حد كبير في الحصول على موافقة الحكومات على مسئوليتها عن الإدارة الاقتصادية، بما في ذلك المحافظة على مستوى عالٍ ومستقرٍ من العمالة^(٥). ومثل هذه السياسات تطلبت تعاوننا دوليا. ومن خلال تدابير برايتون وودز كان الهدف هو إعادة بناء سوق عالمية، مع تحكم كافٍ على رؤوس الأموال لمنع شرور "المال الساخن" وتخفيض العملة المنافسة. وفي الوقت نفسه فإن حرية التجارة الدولية والمدفوعات (على الحساب الجارى وليس بالضرورى على حساب رأس المال) كان لابد أن يتمشى مع تحقيق مستويات عالية من العمالة المحلية، كما أن التدابير الثنائية والإقليمية كان يجب أن تتمشى مع التدابير على مستوى العالم. وكان على صندوق النقد الدولي أن يدعم نظاما لمعدلات التحويل الثابتة للصراف، بينما مول البنك الدولي عمليات إعادة التعمير والتنمية بعد الحرب. وعلاوة على ذلك، كان هناك إطار للتعاون الدولي ليحل محل القومية الاقتصادية وسياسات "التسول من جارى" "beggar-my-neighbor" التي كانت بارزة في سنوات ما بين الحربين.

وبأى مقياس معقول، فإن إنجاز المؤسسين الأوائل لبرايتون وودز كان إنجازاً باهراً. فالنمو في الازدهار كان كبيراً. وزاد الإنتاج والتجارة بشكل هائل في السنوات الخمسين التي تخللت هذه الفترة. أما عن دور الأمم المتحدة في تجنب حرب عالمية، فمن الحماسة أن نعزو هذا النجاح الاقتصادي كله إلى مؤسسات برايتون وودز؛ لأن ذلك يحررها من أى فضل على الإطلاق في تحقيق هذا النجاح. كما أنه ليس من المعقول أن نفترض أن دور هذه المؤسسات والغرض منها يجب أن يبقى دون تغيير في حين حدثت متغيرات كثيرة. فقد انهار نظام معدلات الصراف الثابتة، ويرجع ذلك إلى حد

كبير بسبب أنه لا يمكن الاحتفاظ بالعمالة الكاملة إلى جانب ذلك، عندما تتحرر حركات رأس المال. ومع هذا فإن حرية تدفقات رؤوس الأموال كانت وسيلة لتوفير الموارد لإعادة التعمير والتنمية على نطاق لم يسبق تصوره للبنك الدولي. والحقيقة أن التدفقات الخاصة قد استعادت دورها السابق باعتبارها قاطرة قوية للتنمية. وقد تم تحويل الأموال نفسها عن طريق التطورات في التكنولوجيا والاتصالات. والمال، شأنه شأن المعلومات أصبح الآن لا وزن له. فالنظام النقدي الدولي بأكمله أصبح "ساخناً" بمعنى أن التدفقات المالية اليومية تمثل، كما سبق أن أوضحنا، تدفقات تجارية متعددة وضخمة، ومن وظيفة النظام التقليدية أن يسهل ذلك^(٦).

وهناك مثال مؤثر للاعتماد المتبادل وهو الطريقة التي أصبح بها الإنتاج معلوماً. فالسلع والخدمات لا يتم تبادلها بسهولة عبر الحدود الوطنية في الدول التي أصبحت فيها نهائية. فالشركات المتعددة الجنسيات تضع إنتاجها حيث تكاليف الإنتاج أقل. ويمكن لقوة رأسمالها وتقنياتها وجهازها التسويقي أن يجند للإنتاج حيثما تكون التكلفة أقل. واليوم فإن نسبة مئوية كبيرة من صادرات وواردات أية دولة قد تحتوى على ما يسمى "التحويلات في داخل الشركة"، أي التحركات عبر الحدود الوطنية للسلع في مراحل متعددة للإنتاج داخل مشروع متعدد الجنسيات. وبالطبع فإن واقع السيادة الاقتصادية الوطنية قد تقلص بشكل كبير نتيجة لذلك.

إن فشل مؤسسات برايتون وودز فشلاً كاملاً في أن تواكب التطورات على أرض الواقع ربما يكون أقل أهمية في المدى الطويل من الاعتراف العام الذي ساعدت على خلقه بأن لا غنى عن إطار مستمر من الاستشارات. فالتطورات في الاقتصاد العالمي قد تصبح "مستقلة ذاتياً" أكثر من منتج مؤسسات دولية قائمة. ولاشك أن خطوات التغير التقني، وهي بالفعل سريعة، ستزداد بسرعة. واستجابةً لذلك، فإن التعاون بين الحكومات سيتطلب أن يصبح تعاوناً لأغراض خاصة مؤقتة ad hoc وأن يتبع أيضاً النماذج القائمة. ولكن الإطار سيستمر، لا ليحافظ على حكم القانون في الشؤون الاقتصادية فحسب وأن يتابع ما يجري، ولكن أيضاً لتحليل ظواهر الاقتصاد العالمي، وللتعبير بحرية عن التصورات الوطنية المختلفة والمصالحة فيما بينها والتفكير قدماً.

(ب) البعد الاجتماعي :

إن الاقتصاد العالمى باعتباره مظهر مؤسسى لاهتمام الدبلوماسيين لا يقتصر على الظواهر الاقتصادية، على الرغم من تعقدها. فالغرض النهائى للإدارة الاقتصادية ليس النمو الاقتصادى وحده، ولكن الازدهار بمعنى رفاهية الشعب - "التقدم الاجتماعى والمستويات الأفضل للحياة فى ظل حرية أوسع" - كما جاء فى ديباجة الأمم المتحدة. ولا يدعو إلى الدهشة أن المدخل الإيجابى للإدارة الاقتصادية، التى دعا إليها كينز بوجه خاص فى الثلاثينيات، قد واكبها مدخل شامل للأمن الاجتماعى، ارتبط فى المملكة المتحدة باسم وليم بيفيريدج William Beveridge . وفى تقريره الشهير عن "التأمين الاجتماعى والخدمات المتحالفة" Social Insurance and Allied Services الذى نشر عام ١٩٤٢، تحدث بيفيريدج، بعبارات تليق تقريباً بجون بانيان، عن معركة المجتمع ضد "العمالة" الخمسة وهى الكسل والجهل والمرض والقذارة والعوز. وكان كل اهتمامه منصباً على الكسل الاضطرارى أو البطالة غير الإرادية، ومن ثم على السياسات التى تعمل على تنشيط العمالة والمحافظة عليها^(٧). ولم يكن وحده فى هذا الاهتمام. فقد أدت التجربة المريرة فيما بين الحربين إلى ضمان أن تصبح البطالة بؤرة للاهتمام. وما هو جدير بالذكر أن المؤتمر الذى عقد بعد الحرب فى هافانا، والذى أشرنا إليه من قبل، والذى كان الغرض منه إنشاء منظمة التجارة الدولية، كان عنوانه : "مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والعمالة"^(٨).

ولو لم تشكل البطالة مشكلة مهمة فى عشرات السنين التى أعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة، لأمكن للمناقشات الدولية أن تركز على النمو الاقتصادى، وليس على البطالة أو خلق فرص عمل. ولكن لم تكن هذه هى الحالة. فقد أصبح التوقع الآن متمثلاً فى أن الضغوط المتنافسة من أجل التحرر الاقتصادى الدولى من ناحية، وتوفير العمالة فى الداخل من جهة أخرى، ستكون الموضوع الرئيسى للمناقشات والمفاوضات الاقتصادية.

والتركيز على البطالة لا يعنى أن العمالقة الأربعة الآخرون الذين استهدفهم بيفريدج لم يعودوا محل اهتمام. على العكس من ذلك، فهؤلاء العمالقة يلقون اهتماماً متزايداً بسبب زيادة الوعي الاجتماعى والتوقعات الناشئة. ومن هنا فإن التركيز على الصحة والتعليم وكيان الأسرة وحاجات الشباب، ومكافحة الجريمة والإجراءات لوقف سوء استخدام المخدرات، من الأمثلة المألوفة. والعلاقة بين الإصابة بالأمراض ومدى شدتها وبين النمو الاقتصادى هى علاقة مركبة بالطبع. ولكن الاهتمام بالنمو الاقتصادى مع إهمال الأولويات الاجتماعية يمكن أن يكون ذا نتيجة عكسية فى المدى الطويل.

(ج) بعد الهجرة :

كان أحد السمات الغربية للقرن العشرين هو مدى ازدياد حراك عوامل الإنتاج الأخرى - مثل رأس المال والتكنولوجيا - بشكل كبير بينما تقلص عامل العمال. فقد كانت الهجرة أقل "انفتاحاً" بكثير عما كانت عليه عام ١٩١٤، فيما عدا طبعاً داخل مناطق التكامل مثل الاتحاد الأوروبى. وفى القرن التاسع عشر زاد توفر الجهات المرغوب فيها فى الواقع أكثر من الطلب، وما يحدث الآن هو النقيض. فالحكومات بطيئة فى استيعاب أبعاد هذا التغير. ولكن المزج بين نمو السكان السريع غير المنتظم فى الدول الفقيرة والمفارقة الشديدة بين عمليات الخصخصة ومشاعر السخط السائدة فى هذه الدول والفرص المعروفة أنها موجودة فى دول أخرى، كل ذلك قد أدى إلى وضع المناطق المزدهرة نسبياً فى العالم تحت ضغط رهيب. وأكثر مظاهر هذا الضغط وضوحاً هو بالطبع تدفق اللاجئين المستمر وهو ما نراه فى التليفزيون وهم يهربون من الكوارث، سواء من صنع الإنسان أو الطبيعة. ولكن يظهر هذا الضغط فى أشكال أخرى. ولا يمكن إلا أن يكون عاملاً مهماً فى تطور الاقتصاد العالمى. فالهجرة، سواء أكانت إجبارية أم اختيارية، لها أهمية سياسية وأمنية قصوى. وفى النهاية فإن المناطق المزدهرة فى العالم ستضطر إلى استيراد إما السلع أو الخدمات أو السكان من المناطق الأقل ازدهاراً.

(د) بعد الدولة النامية :

تحول العالم فى القرن العشرين بسبب حصول عدد كبير من البلاد والأقاليم التى كانت تابعة، على استقلالها. ويوجد حالياً ١٨٥ عضو فى الأمم المتحدة (وصل عدد أعضاء الأمم المتحدة إلى ١٩١ دولة عام ٢٠٠٥ - المراجع) ، وهو ثلاثة أضعاف عدد الأعضاء الذى كان عندما تمت الموافقة على الميثاق عام ١٩٤٥ . والغالبية العظمى من هؤلاء الأعضاء الجدد هى دول نامية وفقيرة نسبياً. وبعض هذه الدول حقق تقدماً بارزاً. ولكن البعض الآخر سيستمر فى وضع محروم من المزايا فى المستقبل المنظور. والمزايا مثل الحرمان منها تعتبر من الأمور التراكمية.

وقد انشغل المجتمع الدولى منذ مدة طويلة بمشكلة التخلف عن التنمية والمساعدات المقدمة للبلاد الأكثر حاجة إليها. وهذا الانشغال مر بعدد من المراحل ومنذ البداية^(٩) كان التأكيد على المساعدة الفنية - مثال ذلك " النقطة الرابعة" لترومان عام ١٩٤٩ - وعلى رأس المال من أجل التنمية. ولكن مع ظهور حركة عدم الانحياز، ودخولها فى مرحلة ثانية، زاد التأكيد على "قواعد اللعبة" فى التجارة العالمية، وعلى التحيز الملاحظ المبيت ضد الدول النامية الجديدة، وأساساً بالطبع الدول المنتجة للمواد الأولية، فى صالح الدول المتقدمة الأقدم، وأساساً الدول الصناعية. وقد مضى الآن ٢٠ عاماً على إنشاء مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية و ٢٠ عاماً على إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة عن النظام الاقتصادى الدولى الجديد. وهذا النظام الأخير مثّل قمة جهود الدول النامية مجتمعة لإعادة هيكلة العلاقات الاقتصادية الدولية لما فيه مصلحتها عن طريق قرارات الجمعية العامة. وكان نتيجة هذه الجهود التى وصفت بوجه عام بالحوار بين الشمال والجنوب كان مخيباً للأمال لعدد من الأسباب. ولكن ربما كان أهمها الإدراك بأن التركيز المبالغ فيه على المناقشات الاقتصادية تؤدى إلى تفاقم، وليس حل المشكلات الاجتماعية الملحة التى يجب أن تكون الهدف النهائى للتقدم الاقتصادى هو أن يخفف من وطأتها .

إن الحوار بين الشمال والجنوب، الذى برزت ملامحه بوضوح فى السبعينات، قد حلت محله مرحلة ثالثة من الانشغال العالمى بمشكلات الدول النامية. وهذه الدول

استمرت فى نشاطها الجماعى فى حركة عدم الانحياز ومجموعة ٧٧ . ولكن بؤرة الاهتمام تغيرت. فقد أصبح هناك ابتعاد أكبر عن دراسة قضايا التنمية، وتركيز أكبر على المنافع للفرد، وتركيز أقل على "الفجوة" بين الدول الغنية والدول الفقيرة، وأصبح هناك وزن أكبر مرتبط بتدفقات رأس المال الخاص والأنشطة الخيرية غير الحكومية، وتركيز أكبر على السياسات التى تتبعها الدول النامية نفسها، وخاصةً بالنسبة للتكيف الهيكلى وتشجيع قوى السوق، وتركيز أكبر على الحكم الرشيد واحترام حقوق الإنسان. وعقدت سلسلة من مؤتمرات الأمم المتحدة فى السبعينات عن البيئة الإنسانية، والسكان والغذاء، وبور المرأة، والمستوطنات الإنسانية والعمالة. وقد تكررت هذه المؤتمرات - بوجه عام - على فترات مدتها عشر سنوات. ولكن نوعية المؤتمرات فى التسعينات قد اختلفت بشكل جذرى عن سابقتها ويرجع ذلك إلى حجمها ونطاقها والأعداد الضخمة من المشاركين، سواء الحكوميين أو غير الحكوميين. وكان مؤتمر ريودى جانيرو عن البيئة والتنمية (قمة الأرض) فى عام ١٩٩٢ - قد عقد بعد مرور عشرين عاماً على أول مؤتمر للبيئة فى ستكهولم عام ١٩٧٢ - وكان حدثاً ضخماً. لقد كان جديداً فى أن الذى تكفل بتكاليفه الشركات والمؤسسات التجارية إلى جانب الحكومات. كما أن المنظمات غير الحكومية كانت نشيطة فى الأعمال التمهيدية. وقد وافقت قمة الأرض على خمسة نصوص: إعلان ريو عن البيئة والتنمية، وجدول الأعمال ٢١، وهو برنامج موسع يعترف بالعلاقة التبادلية بين قضايا الفقر والتنمية والاقتصاد من جهة، وحماية البيئة من جهة أخرى، ومن ثم المساعدة التى يتوقعها الجنوب من الشمال فيما يتعلق بالشمال والملاحقة المشتركة من الجنوب، وإطار معاهدة عن تغيير المناخ، تنص من بين أشياء أخرى على التحكم فى انبعاث غازات البيوت الزجاجية، ومعاهدة عن التنوع البيولوجى، تؤكد الحاجة إلى حماية الأنواع والمحافظة عليها. وقد أقام النص الخامس هيئة للتنمية المستدامة للرصد والمتابعة.

إن أرقام الحضور تتحدث عن نفسها: فقد كانت هناك ١٧٨ دولة ممثلة، منها ١١٧ ممثلة برؤساء دول وحكومات، وأرسلت ١٤٠٠ منظمة غير حكومية مراقبين. وكان المجموع الكلى حوالى ٢٥٠٠٠ مشارك معتمد. وقام ثمانية آلاف صحفى بتغطية الحدث . حقاً ووضعوا فى اعتبارهم الأنشطة المصاحبة، التى جذبت ١٨٠٠٠ مشارك، وربما كان وصف المؤتمر بأنه واقعة "happening" مناسباً أكثر من كلمة "حدث" event .

إن مؤتمرات الأمم المتحدة لن تكون مثل هذا المؤتمر مرة أخرى^(١٠). فقد تم التوصل إلى مرحلة جديدة من الدبلوماسية الجديدة. لقد اجتذب المؤتمر الدولي للسكان والتنمية الذي عقد عام ١٩٩٤ بالقاهرة ١٠٧٥٧ مشارك مسجل، بينما حضر ٤٠٠٠ شخص منتدى المنظمات غير الحكومية NGO forum الذى عقد مصاحباً للمؤتمر. وفيما يتعلق بالمضمون والتنظيم فإن مؤتمر القمة العالمى للتنمية الاجتماعية الذى عقد فى كوبنهاجن فى مارس ١٩٩٥، ذهب بعيدا فى إقامة نموذج لهذه المرحلة الثالثة من اهتمام المجتمع الدولي بتقديم الدول النامية، بعد المرحلة الأولى من التأكيد على التعاون الفنى ورأس المال من أجل التنمية، والمرحلة الثانية التى تميزت بالحوار بين الشمال والجنوب. إن التنمية الاجتماعية هى مفهوم شامل لأنها تحتضن البيئة، وعدم المساواة بين الشمال والجنوب، وضغوط السكان والتوترات العالمية باعتبارها عوامل فى الانشغال بنوعية حياة الفرد، بالإضافة إلى القيود الآتية للفقر والامية والبطالة والعزل الاجتماعى. وفى كوبنهاجن فإن الموضوعات المحددة كانت الفقر والعمالة والاندماج الاجتماعى. وكان الإعلان وبرنامج العمل اللذان وافق عليهما مؤتمر القمة متشعبان إلى حد كبير، حتى مع الالتصاق بهذه الموضوعات ذات الأولوية. وقد تم اعتماد ألفى منظمة غير حكومية فى المؤتمر وقام أكثر من ٢٥٠٠ من ممثلى وسائل الإعلام بتغطية الحدث.

وقد عقد المؤتمر العالمى الرابع للمرأة فى بكين فى سبتمبر ١٩٩٥، وقد وصف بأنه أكبر اجتماع دولى يعقد تحت رعاية الأمم المتحدة، وقد سجل ١٧٠٠٠ شخص أنفسهم فيه، وشمل ذلك ٥٠٠٠ مندوب من ١٨٩ دولة والاتحاد الأوروبى، و ٤٠٠٠ ممثل للمنظمات غير الحكومية و ٢٢٠٠ ممثل لوسائل الإعلام العالمية. وبالإضافة إلى ذلك عقد منتدى للمنظمات غير الحكومية بشكل منفصل فى هويرو Hualrou، على بعد ٢٥ ميل من العاصمة الصينية، جذب ما لا يقل عن ٢٠٠٠٠ مشارك. وكان برنامج العمل الذى وافق عليه المؤتمر يضم ١٢ مجالاً مهماً مثيراً للاهتمام هم: الفقر، والتعليم، والصحة، والعنف ضد المرأة، والصراع المسلح، والهيكل الاقتصادية، وتقاسم السلطة واتخاذ القرارات، والآليات الوطنية والدولية لتنشيط تقدم المرأة، وحقوق الإنسان، ووسائل الإعلام، والبيئة، والأطفال الإناث. وفى تلخيص لنتائج المؤتمر، أعلنت البارونة شوكر Baroness Chalker، الوزيرة البريطانية للتنمية فيما وراء البحار أنه فى بكين حركت

اهتمامات المرأة جدول أعمال صنع السياسات. وتم الاعتراف بأنها متعلقة بنطاق واسع من المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وجاء كثير من الإلهام للتغيير من آلاف الجماعات النسائية من جميع أنحاء العالم. وسيتوقف أثر بكين إلى حد كبير على نجاحها في العمل جنباً إلى جنب مع الرجال والحكومات لتحويل الكلمات إلى أفعال^(١١).

وكان الحدث الضخم التالي هو مؤتمر الأمم المتحدة الثاني عن المستوطنات الإنسانية ٢ (Habitat II) الذي عقد في إستانبول في يونيو ١٩٩٦. وقد ضم ممثلين من المدن والقطاع الخاص والسلطات المحلية الأخرى، والقواعد الشعبية والمنظمات غير الحكومية، بالإضافة إلى ١٧٠ حكومة وطنية. وقد شارك حوالي ١٦٤٠٠ شخص في المناقشات وغيرها من الجلسات. وكان الموضوع الرئيسي يدور حول حقيقة أن المدن هي مستقبل العالم وأنه يمكن تحويلها إلى أماكن يمكن العيش فيها. وقد وافق المؤتمر على إعلان إستانبول عن المستوطنات الإنسانية، وألزم الحكومات - من بين أشياء أخرى - ببرامج واسعة النطاق ضمنها جدول أعمال المستوطنات الإنسانية.

وكل مؤتمر من مؤتمرات الأمم المتحدة هذه يبني على أعمال ما سبقه من مؤتمرات. ولقد كان هناك في الواقع سلسلة متعاقبة من المؤتمرات في العقد الحالي. وبالرغم من أنها جميعاً تركز تركيزاً كبيراً على المتابعة، كما هو متوقع، فإن هناك صعوبة واضحة في ضمان وجود عمل فعال في مثل هذا العدد من القضايا المتشعبة والمعقدة. وقد نجح مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية UNCTAD في إقامة جهاز للمتابعة الشاملة منذ ثلاثين عاماً. ولكن لمؤتمرات هذه الأيام الضخمة دوراً مختلفاً إلى حد ما، يتمثل في لفت الانتباه للقضايا، وتسهيل مناقشتها من كل الجهات المعنية وتحفيز الحكومات والمجتمعات والأفراد وكذلك الوكالات الدولية سواء أكانت حكومية أم غير حكومية، على العمل بفاعلية أكثر وحدها ويتنسيق أكبر مع الجهات الأخرى ذات الصلة. وهذا المدخل العريض يتسم بالواقعية في أنه يتعرف على درجة الانتشار الواسع لمسئولية القيام بالعمل المطلوب. ولكنها تتطلب قدراً معيناً من الصبر والمثابرة بالنسبة لتحقيق نتائج ملموسة.

إن الاهتمام الدولي بالمشكلات الاجتماعية للدول النامية قد امتزج بشكل متزايد بالانشغال العام بالقضايا الاجتماعية التي يعتبر عنصر الدول النامية فيها عنصراً مهماً، ولكنه ليس بالضرورة مسيطراً. وهذه نتيجة حتمية للاستقلال والتنوع الكبير في الأداء الاقتصادي والاجتماعي لكل دولة نامية على حدة. ولكن هذا لا يلغى الحاجة إلى تقديم المساعدة المستمرة للأقل ثراءً، والأكثر ضعفاً، والذين نزلت بهم كوارث. بل إن ذلك يغير السياق الذي يجب أن يتم بمقتضاه السعي للمساعدة وعرضها، والفهم، على ضوء نصف قرن من التجارب المختلطة، عما يمكن أن نتوقع أن تحققه واقعيًا المساعدات الدولية. وسيكون هناك دائماً بُعد خارجي للتنمية، يشمل التجارة والتكنولوجيا والتنمية والمساعدات التنموية والترتيبات الدولية العامة. وسيكون هناك أيضاً اقتصاديون على استعداد لأن "يبرهنوا" على أن "المعونة" غير فعالة، إن لم تكن ضارة فعلاً بالدول المتلقية. ومن غير المحتمل أن تنال هذه التأكيدات استحسان أولئك الذين لهم رؤية طويلة الأمد للصعوبات التي تنشأ في العلاقات الدولية ويدركون مزايا الدبلوماسية الوقائية. ومع هذا، فإن هذه التأكيدات تمثل نظاماً مفيداً لحامسة أولئك الذين يريدون أن يساعدوا، كما تمثل حافزاً للبلاد الأكثر فقراً للموارد المتاحة لها. وهي أيضاً بمثابة تذكير بأن المعونة، مهما وجهت الوجهة الصحيحة، هي أقل فائدة من التجارة. وبالطريقة نفسها فإن التدفق الشامل للموارد إلى البلاد النامية هو الأمر المهم، وليس نسبة أولئك الذين لهم عنصر امتياز فيها، وبهذا يمكن اعتبارها "معونة". وهذا التدفق الشامل للموارد يتأثر بالاستحقاق للقروض، بما في ذلك درجة المديونية السابقة التي كانت تعاني منها البلاد النامية. وفي العقد الماضي كان هناك قلق كبير من مثل هذه المديونية وعن الطريقة التي أدت خدمة الديون ببعض الدول المحتاجة إلى أن تصبح مصدرة تماماً لرأس المال بدلاً من أن تكون متلقية له. وقد قامت مؤسسات بريتون وودز بتطبيق بعض الإجراءات البغيضة ولم تكن كلها على أساس متين في هذا السياق. وقد أدى التخفيف من حدة المديونية إلى عدد من المبادرات البريطانية، من بين أشياء أخرى، اتخذت أساساً في اجتماعات الكومنولث^(١٢).

(هـ) البعد البيئي :

هناك عدد قليل من القضايا المنتشرة مثل حماية البيئة، كما أن هناك قليل من القضايا صعبة التداول على ضوء الدقة المطلوبة لضمان عمل ملموس. والاهتمام الكبير الذي تحقق لقضايا البيئة لابد أن تواكبه متابعة عملية فعالة. وقد أشرنا من قبل إلى مؤتمر ريو دي جانيرو عام ١٩٩٢ عن البيئة والتنمية (قمة الأرض). والوثائق التي صدرت عن المؤتمر تعطي فكرة ما عن مدى الاهتمامات البيئية. فمثلا كان أولئك الذين تفاوضوا في جولة أوجواي مدركين تماماً الحاجة إلى حماية البيئة. وفي مراكش وافق وزراء التجارة على الإعلان الخاص بالتجارة والبيئة، وهذا بالتأكيد منهج جديد لأولئك الذين تتخذ مسؤوليتهم الطابع التجاري. ولكن إيجاد تصالح بين الإدراك بالروابط بين التجارة والبيئة مع الضغوط التي تفرضها مفاوضات التجارة الدولية تعتبر مسألة أخرى. ومع هذا، فإن العالم سيحتاج إلى وضع مبادئ لـ"أخضرار" التجارة ليس فقط لصالح حماية البيئة في حد ذاتها ولكن بالطبع لصالح التنمية المستدامة **sustainable development** ، التي تعتبر حماية البيئة عنصراً مهماً فيها^(١٣).

(و) البعد الأمني :

وأخيراً، البعد الأمني. ويعيدنا هذا إلى نقطة الانطلاق المتمثلة في العلاقات التبادلية بين السعي للأمن والسعي للازدهار باعتبارهما هدفين رئيسيين للسياسة الخارجية. فالبعد الأمني مهم في السعي من أجل الرخاء الاقتصادي بأهمية العوامل الاقتصادية نفسها بالنسبة للسعي من أجل الأمن. وكما أن الاقتصاد العالمي هو أكثر بكثير من مجرد تبادل السلع والخدمات عبر الحدود، فإن الأمن العالمي أيضا يتضمن أكثر بكثير من مجرد تجنب الصدامات المسلحة بين الدول. فالأمن في تعريفه العريض الحديث، تم وضعه بشكل مناسب في سياقه بمعرفة أمين عام الأمم المتحدة، في جدول أعمال للتنمية، الذي جاء في المحاضرة السابقة. وعلينا أن نعود بعملية الأمن إلى الخلف مرة أخرى، من حفظ السلام إلى صنع السلام، ومن صنع السلام إلى الدبلوماسية الوقائية، ومن الدبلوماسية الوقائية إلى بناء السلام. فأسباب الحروب والتهديدات للأمن

تكمّن بعنف فى الاهتمامات الاقتصادية والاجتماعية للبشرية، كما تكمن فى طموحات الزعماء الحاليين ومخططاتهم. ومن هنا فإن التنمية أمر ضرورى فى حد ذاتها تتعلق أيضا بالقضاء بلا رحمة على السخط والشقاق وتجد أن الاستهلال فى ورقة الأمين العام واضح فى أن التنمية هى حق من حقوق الإنسان الأساسية. والتنمية هى أهم أساس مضمون للسلم. ويعد ذلك، يعدد الأمين العام أبعاد التنمية فى الجمل التالية :

السلم باعتباراه الأساس.

الاقتصاد باعتباراه قاطرة التقدم.

التنمية باعتبارها قاعدة الاستدامة.

العدالة باعتبارها أحد أعمدة المجتمع.

الديموقراطية باعتبارها الحكم الرشيد.

وهذا وصف رائع للاعتماد المتبادل اليوم، ليس باعتباراه أساس للتحليل وحده، ولكن أيضا باعتباراه أساس للعمل. ولكنه مثله مثل الإعلان الذى وافقت عليه الدورة السنوية الخمسين للأمم المتحدة. يعتبر خلاصة وليس مسودة مشروع. وكما رأينا فى سياق المؤتمرات الكبرى التى وصفناها فى الجزء السابق، فإن مسئولية العمل أصبحت منتشرة بشكل واسع، وتجاوزت أى برنامج بين الحكومات. وعلى الحكومات أن تنور وتشجع وتلهم وتنسق مع الآخرين، كما أن عليها أن تقوم بالعمل بنفسها سواء على شكل فردى أو جماعى.

ضمان التعاون الدولى الفعال: إعادة تأكيد :

نحن نحتاج إلى إعادة تأكيد الاحتياج الخاص بضمان التعاون الاقتصادى الدولى، بطريقة تحقق الأهداف المشتركة، والتى نصت عليها ديباجة ميثاق الأمم المتحدة.

أولاً : إن الاقتصاد العالمى يحتاج إلى تنظيم لولى (يعنى بين الحكومات) وإلى إدارة، بالإضافة إلى منافع قوى السوق والمبادرات والمشاريع الخاصة. وتعتبر منظمة التجارة العالمية فى هذا الشأن المظهر المؤسسى المحورى. وهى المفتاح بالنسبة لإبقاء الاقتصاد العالمى مستنداً إلى قواعد.

ثانياً : إن عمل منظمة التجارة العالمية يجب أن ينظر إليه بالنسبة لعدد من الاهتمامات الدولية الأخرى، أن له أبعاد اقتصادية واجتماعية وتنموية وبيئية وأمنية. ولهذا يعتبر من الأمور الجوهرية لمنظمة التجارة العالمية التعاون مع الوكالات الدولية الأخرى التي لها مسؤوليات ذات صلة بها.

ثالثاً : لأسرة الأمم المتحدة دور محوري عليها أن تؤديه في إدارة التعاون الاقتصادي، كما في التعاون الأمني، وفي إدراك التفاعل بينهما. ولهذا فإن مسألة إصلاح الأمم المتحدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمسألة ضمان التعاون الدولي الفعال.

رابعاً : ليست هذه مسألة يمكن لمنظمة التجارة العالمية ولا مؤسسات برايتون وودز ولا الأمم المتحدة أن تسويها فيما بينها على أساس علاقة بين الوكالات. فهي تحتاج إلى مشاركة مباشرة وإيجابية من الحكومات والتي تعتبر مسئوليتها النهائية هي ضمان بأن جميع الوكالات التي أقامتتها تعمل بشكل ملائم. كما أن المسألة ليست علاقة بين الحكومات فقط. فهي تحتاج أيضاً إلى مشاركة جميع من لديهم سلطة اتخاذ القرار. وكما ذكرت مجموعة السبع - من رؤساء الدول والحكومات لسبع دول صناعية كبرى ورئيس المفوضية الأوروبية - في بيان أصدره في مؤتمرهم السنوي (مؤتمر القمة) عام ١٩٩٥، في هليفاكس في يونيو ١٩٩٥: "إن التحدي الأكبر الذي يواجهنا هو إدارة هذا الاعتماد المتبادل المتزايد أثناء العمل مع ما تتطلبه الأسواق والاعتراف بالعدد المتنامي للفاعلين المهمين. وهذا أمر مهم بشكل خاص في السعي من أجل الاستقرار المالي والاقتصادي الكلي العالمي".

وفي سياق الأمم المتحدة، فإن التوصيات التي قدمها الأمين العام في جدول أعمال للتنمية تعكس أيضاً هذه المسؤولية. لقد تناول دكتور بطرس بطرس غالي عدداً كبيراً من المسائل: أنشطة عمليات الأمم المتحدة، احتياجاتها المالية، أزمته المالية الحالية، جهازها للتنسيق، فيما يتعلق بالجمعية العامة، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، ومؤسسات برايتون وودز والوكالات القطاعية والفنية، ومسئولياتها الإدارية لضمان الانسجام بين الوكالات في نظام الأمم المتحدة من خلال اللجنة الإدارية للتنسيق. ويسعى الأمين العام لكي تركز الجمعية العامة على اهتمام المجتمع الدولي من أجل وضع إطار جديد للتنمية. والصعوبات هائلة. والمفتاح إلى النجاح قد يكمن في وضع

أولوية معينة مختلفة عن الأولويات العامة، بحيث تجذب السلطة المطلوبة والمساندة بين الدول الأعضاء. وقد تم اقتراح بأن تكون متابعة قمة الأرض ١٩٩٢ التي عقدت في ريو دي جانيرو يمكن أن تقدم فارساً أخضر يسارع بحصانه لإنقاذ النظام الدولي المريض^(١٤). وقد تكون عملية ريو الأمل العملي لإصلاح مؤسسى داخل نظام الأمم المتحدة. ولكن كما سبق أن اقترحنا، قد تكون الحالة متمثلة في أن نموذج المؤتمرات الكبرى قد يثبت أنه أفضل طريقة يمكن به للأمم المتحدة أن تحقق أهداف الميثاق، وذلك بالعمل كجماعة ضغط قوية تجمع بين التنمية والأمن تمارس عملها على صانعى القرار، على أى مستوى وبأى نوع، فى الاقتصاد العالمى. وبالطبع لن يكون ذلك بديلاً للعمل الذى يقوم به نظام الأمم المتحدة نفسه، ولكن سيكون إضافة قيمة له.

الحكم العالمى الرشيد :

إن أحدث تقارير للمفوضيات المستقلة التى أسهمت فى السنوات الخمس عشرة الأخيرة، أو نحو ذلك، فى فهمنا لمشكلتنا المشتركة، هى بعنوان "جوارنا العالمى" وقد أصدرتها مفوضية الحكم العالمى تحت الرئاسة المشتركة لمستر إنجفار كارلسون، رئيس وزراء السويد وسير شريداث راففال، الأمين العام السابق للكونمولث^(١٥) ويعرف التقرير الحكم الرشيد **governance** بأنه :

"حصيلة الطرق العديدة التى تدير بها المؤسسات العامة والخاصة شئونها المشتركة.... وهو يشمل المؤسسات الرسمية ونظم الحكم المخولة بتنفيذ الالتزام وكذلك الترتيبات غير الرسمية التى وافق عليها الناس أو أدركوا أنها لصالحهم".

وهذا التعريف يؤكد الطبيعة الشاملة لما تشتمل عليه إدارة الاقتصاد العالمى بشكل يفى بالغرض، وعدد الفاعلين وتنوعهم. ويعد وضع "القيم للجوار العالمى"، ذكرت المفوضية أربع مناطق للعمل هى :

(أ) تنشيط الأمن.

(ب) إدارة الاعتماد المتبادل الاقتصادى.

(ج) إصلاح الأمم المتحدة.

(د) تقوية دور حكم القانون في جميع أنحاء العالم.

ومن المفيد أن نقارن هذا التشكيل "بأيعاد التنمية" التي ذكرها أمين عام الأمم المتحدة في "جدول أعماله للسلام" واهتمامات مؤتمرات القمة العديدة في التسعينات، بدايةً "بقمة الأرض" في ريو دي جانيرو. والرسالة المشتركة هي الاعتماد المتبادل للقضايا وللمزج المعقد بين المادة والعملية.

ومع المخاطرة من عدم إعطاء توصيات أخرى حقها، إلا أن هناك توصية معينة، يمكن - في السياق الحالي - أن ننتقيها من التقرير. فالمفوضية تقول أن الوقت حان لإقامة منتدى عالمي لتوفير قيادات في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. وبوجه خاص، فإن المفوضية تقترح إقامة مجلس أمن اقتصادي. وتعلق المفوضية بأن مجموعة الدول السبع، هي أقرب هيئة توصل لها العالم باعتبارها "هيئة قمة" مهتمة بالاقتصاد العالمي. ولكنها ليست ممثلة لسكان العالم ككل كما أنها ليست فعالة. وتقول المفوضية إن مجلس الأمن الاقتصادي سيكون تشاوري فقط. وسيستمد نفوذه من جودة عمله وأنه ذو صلة وكذلك من أهمية أعضائه.

وعلينا أن نتنظر لنرى كيف ستتابع الأمم المتحدة هذه التوصية وغيرها من توصيات المفوضية، ولكن من الحكمة مراعاة تعريف اللجنة بالحكم الرشيد العالمي الذي ذكرناه آنفاً والتشكيلة الواسعة من "الفاعلين" المرتبطة به. إن إدارة الاقتصاد العالمي هي مسألة تتعلق بالاهتمام الوثيق بين الحكومات والحاجات التي يجب التعهد بتلبيتها على الأقل جزئياً على أساس المساواة السيادية والإجراءات الديمقراطية التي تعبر عنها الأمم المتحدة، وفي الوقت نفسه فإن الحقائق الاقتصادية والمالية، حتى بين الحكومات، تنعكس في نظام التصويت المرجح الذي تبنته مؤسسات برايتون وودز. والتخلي عن هذا النظام هو بمثابة تهمة هذه المؤسسات، ومن المحتم أن هناك تجمعات داخلية. ففي الدول المتقدمة أقيمت مجموعة العشر Group of Ten لتعبئة اعتمادات إضافية. واهتمت مجموعة الخمس Group of Five بوجه خاص في التحكم والإشراف المالي.

وعندما اتسعت مصالحتها، وبدأت تجتمع على مستوى رؤساء الحكومات عام ١٩٧٥، فإن الضغط لضم إيطاليا وكندا أولاً، ثم المفوضية الأوروبية إلى الدول الخمس الأصلية - وهى الولايات المتحدة واليابان وألمانيا وفرنسا وبريطانيا - قد أصبح أمراً لا يمكن مقاومته. إن رغبة روسيا فى الانضمام إلى المجموعة واضح. والتنسيق الأوروبى الأوسع، من خلال منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية أمر أساسى وقائم على أساس أعمال أمانة عامة مقتدرة. وقد تم القيام بعمل مفيد فيما يتعلق بالتنسيق المساعدة للبلدان النامية. وفيما يتعلق بهذه البلدان، فإن التنسيق بين التجمعات المحدودة كان أقل أهمية. وقد أشرنا من قبل إلى حركة عدم الانحياز ومجموعة السبع وسبعين. ولقد كانت مجموعة الأربع وعشرين أحد سمات مؤسسات برايتون وودز، وتعتبر مجموعة الخمس عشرة إحدى المجموعات الأكثر حداثة. ويبدو أن المدى الذى يمكن لها أن توزع مواردها بشكل مشترك، وهو أمر مختلف عن تبنى سياسات مشتركة، هو مدى محدود. وفضلاً عن ذلك، فإن المحاولات لإدارة الاقتصاد العالمى على أساس عمل بين الحكومات فقط مصيرها الفشل. فتعدد الفاعلين لابد أن يؤخذ فى الاعتبار، كما لاحظت مجموعة السبع فى الفقرة المذكورة فى بيان هليفاكس الذى استشهدنا به أنفاً.

(٦)

هندسة العمارة الأوروبية

إن أحد السمات القريبة لعالمنا هو الطريقة التي تتركز فيه سطحها الأرضي في النصف الكرة الشمالي. وهذا الخلل في التناصب ربما يتبالغ فيه أكثر الخرائط التقليدية المألوفة، وهو مسقط مركاتور Mercator's projection (في رسم الخرائط). ففي هذا المسقط الذي كان ذا فائدة كبيرة لأغراض الملاحة، تتقاطع خطوط الطول وخطوط العرض في زوايا قائمة. ومع هذا، فإن درجة من خطوط الطول تنقلص بالنسبة لدرجة من خطوط العرض كلما ابتعدت من خط الاستواء وكلما اقتربت من القطبين. وتأثير هذا التشويه يؤدي إلى زيادة كبيرة في الحجم الظاهر للبلدان البعيدة عن خط الاستواء، وبهذا يقلل من الحجم النسبي للبلدان القريبة منه. وهذا التشويه أقل أهمية في نصف الكرة الجنوبي لأنه لا توجد أرض في خطوط العرض الأعلى. ولكن المسألة مختلفة في نصف الكرة الشمالي. فأى إنسان ينظر إلى مسقط مركاتور للعالم لن يخمن أن أفريقيا هي في حجم كندا وروسيا مجتمعتين.

وهذا التشويه له استخداماته باعتباره مؤشر لتوزيع القوة السياسية والاقتصادية العالمية. كما أنها تذكرنا بالطريقة التي يتم بها وصف البلدان الأغنى والأوفر بائها الشمال، والبلدان الأفقر بائها الجنوب. وهناك مسقطات أكثر حداثة وتمثل مناطق أرضية بنسب أكثر دقة وبهذا تمثل خطوة أبعد عن المفهوم الأوروبى الجغرافى والثقافى للعالم.

الطبيعة المتغيرة للمركزية الأوروبية :

إن تعبير "المركزية الأوروبية" له أهمية قصوى. فقد استغرقت أوروبا بعض الوقت لتخرج من عصورها المظلمة بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية. ولكن الأعوام المائة السابقة شهدت تطوراً مذهلاً للحضارة الأوروبية، وتركت - بعد فترة تأخير - أثراً عميقاً على بقية العالم. وقد بدأ عصر الاكتشافات، كما يتصوره الأوروبيون منذ ٥٠٠ عاماً. وفي عبارات دبلوماسية فإن المركزية الأوروبية بلغت ذروتها في القرون الثلاثة بين حرب نهاية الأعوام الثلاثين في ١٦٤٨ ونشوب الحرب العظمى في ١٩١٤. وهناك إغراء في أن نرى في قوة أوروبا القديمة وغطرستها بذور دمارها. وعلى أية حال بعد مرور ٨٠ عاماً من الصعب أن نعيد إلى أذهاننا تصور أوروبا عام ١٩١٤. فقد كانت هناك ست إمبراطوريات عظمى - هي الروسية والتركية (العثمانية) والنمساوية المجرية والألمانية والفرنسية والبريطانية وهناك على الأقل خمس إمبراطوريات ذات أهمية سياسية وعسكرية أقل وهي الإمبراطوريات الإسبانية والإيطالية والبلجيكية والبرتغالية والهولندية. وبعد أربع سنوات، تهاوت أجزاء كثيرة من هذا الجهاز المسيطر داخل أوروبا أو دخل في مرحلة التفكك. وكانت السيطرة الأوروبية في القارات الأخرى أقل تآثر لحين. وكان العالم الجديد، المتمثل في الولايات المتحدة قد ظهر للوجود ليعدل كفة العالم القديم^(١). (وكانت اليابان تعتبر بالكاد عاملاً رئيسياً في الحرب العظمى. ولكن كانت إمكاناتها الكامنة واضحة للعيان). وكان المد والجذر لأوروبا، الذي كان قد ارتفع عالياً، قد بدأ ينحسر. فقد كان العالم قد بلغ سن الرشد.

ولم تكن القوة العسكرية والاقتصادية الأمريكية وحدها هي التي عدلت من الكفة في العالم القديم. فكما سبق أن أوضحنا، فإن ودر وويلسون رئيس الولايات المتحدة، أدخل منهاجاً جديداً ذا طابع أمريكي متميز على العلاقات الدولية وهو "الدبلوماسية الجديدة" لتحل محل "الدبلوماسية القديمة". وقد سبق أن وضعنا الملامح المتناقضة للدبلوماسية الجديدة والدبلوماسية القديمة. وكذلك بالنسبة للتاريخ المتنوع لعصبة الأمم المتحدة التي كانت من بنات أفكار ودر وويلسون. ومهما كانت الإيضاحات فإن الفشل السياسي والدبلوماسي والاقتصادي في السنوات العشرين بعد نهاية الحرب العظمى، امتزج مع الحرب العالمية الثانية لإكمال تدمير أوروبا القديمة وإمبراطورياتها.

وكانت قد تمت تسوية المسألة فى الصراع العالمى الثانى، ليس بمناشدة العالم الجديد بتعديل الكفة فى العالم القديم، وإنما بتخفيض مرتبة أوروبا إلى دور المفعول به وليس الفاعل. فقد استبدلت الهيمنة الأوروبية بالاعتماد الأوروبى بل بالخضوع. وظهرت قوتان عظمتان - الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى - وبينهما أوروبا المنهكة المغلوبة على أمرها إلى حد كبير. وقد اتخذت المركزية الأوروبية دلالة جديدة. فلم تعد تجسد منطقة الضغط العالمى للقرن التاسع عشر التى نشرت نفوذها الإمبريالى على باقى العالم، بينما دخلت فى منافسات بين نول القارة بطيش متصاعد. فقد أصبحت ساحة المعركة للقوى العالمية المتمركزة خارج أوروبا، وهو مصير لم تكن تتوقع أن تغلت منه ما لم تستعد هويتها وإحساسها بالهدف، وبالتالي القيام بدور فى العالم القائم على الاعتماد المتبادل بما يتناسب مع خبراتها وإمكانياتها. أما الفرصة التى قدمها نصر الحلفاء أصلا عام ١٩٤٥ لأوروبا لإعادة تعميرها، وبناء مستقبل تقل فيه الكوارث وقتل الأقارب ويختلف عن ماضيها القريب، فقد ضيعتها إلى حد ما الحرب الباردة - على الأقل فيما يتعلق بأوروبا الشرقية والوسطى. وعلى الرغم من ذلك فإن سجل الجهود لإعادة بناء أوروبا بعد ما أحدثته الحرب العالمية الثانية من دمار، إنما يبرر قدرا من التفاؤل عن إدراك الأخطار التى تحيط بالزعماء اليوم وهم يقومون بمسئولياتهم. ومع هذا فإن تعقيدات الموقف، الداخلى والخارجية تتطلب قدرا مصاحبا من الحذر. وابتداء بالأساسيات، أولا: تمثل أوروبا بالمعنى الجغرافى من الشاطئ الشرقى للمحيط الأطلنطى إلى جبال الأورال فى روسيا، جزءا بسيطا جدا من سطح الكرة الأرضية. ولكنها تشكل ثلث إجمالى الناتج القومى، وجزءا كبيرا من رأس مالها الثقافى. إنها ينبوع العالم الحديث فى الاهتمامات السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية والثقافية. كما أنها مسئولة أيضا عن الكم الهائل من الشقاء الذى أنزلته بالجنس البشرى فى هذا القرن بالذات. ثانيا: إن التجربة المريرة للقرن العشرين تؤكد ما يقال من أنه ليست أوروبا وحدها، بالتعريف الجغرافى التقليدى، هى موضع خلاف فى مناقشة هندسة العمارة الأوروبية. فنحن نشعر بالقلق أيضا من قيام مراكز قوى ونفوذ أخرى تعمل فى أوروبا، وخاصة الولايات المتحدة وكندا غربا، وروسيا واليابان شرقا. فالجغرافيا يجب أن تكون مرنة بحيث تعكس الاعتماد المتبادل للقوى الاقتصادية والسياسية فى العالم الحديث، كما هى معبر عنها فى هيئات مثل مجموعة الدول السبع ومنظمة التعاون الاقتصادى

والتنمية وفي حلف شمال الأطلسي ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا. وعلاوة على ذلك فإن الاتحاد الأوروبي، وهو يتطور كان له تداعيات مهمة للبلدان الخارجة عن حدوده، ناهيك عن تلك التي داخله. وقد أصبح الاتحاد المكون من اثنتي عشرة دولة اتحاداً من خمسة عشرة دولة في أول يناير ١٩٩٥. وقد يصل عدد أعضائه إلى عشرين أو أكثر في نهاية القرن العشرين وبداية قرن جديد (*). إن الصلة العملية المباشرة لكل هذا الجهاز الأوروبي في الشئون العالمية هي صلة واضحة. ولكن مغزاها الكامل أقل وضوحاً. ذلك أن جذوره تمتد إلى الماضي. ففي السياسة لكل شيء تقريباً تاريخ طويل. وبصفتنا دبلوماسيون علينا أن نزن الحاضر على ضوء الماضي. وهذا مهم في فهم التعقيدات والتناقضات الغربية في "هندسة العمارة الأوروبية" وما تعنيه هذه المتناقضات بالنسبة لباقي العالم.

إعادة بناء أوروبا بعد الحربين العالميتين :

إن المنهج الذي اتبع في هذه المحاضرة قائم على فحص - بشكل فردي ولكن بالتفاعل مع الآخرين- العناصر المتعددة "لهندسة العمارة الأوروبية" التي تطورت، بطرقها المنفصلة، منذ عام ١٩٤٥، وهي :

(أ) استعادة الهوية، التي أشار إليها مؤتمر أوروبا في لاهاي عام ١٩٤٨، مما أدى بصفة خاصة إلى إنشاء مجلس أوروبا.

(ب) إعادة الإعمار الاقتصادي، تحت قيادة الولايات المتحدة عن طريق مشروع مارشال ومنظمة التعاون الاقتصادي الأوروبي OEEC (التي حولت نفسها فيما بعد إلى منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD ، ونسيج استشارات الدول المتقدمة - المجموعة ١٠، والمجموعة ٥ والمجموعة ٧ - التي عملت في توازٍ مع عمل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي والاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة GATT ، التي لعبت فيها الدول المتقدمة دوراً مسيطراً كأمر حتمي.

(*) بعد أن وصل عدد الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي إلى ٢٥ دولة، تم التوقيع في ٢٥ مايو ٢٠٠٥ على اتفاق بانضمام دولتين أخريين هما رومانيا وبلغاريا تمهيداً لانضمامها إلى عضوية الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠٧ والبقية تأتي. (الترجم)

(ج) البحث عن الأمن، حيث اندمجت ألمانيا تدريجياً فى تدابير الدفاع الغربية، التى كانت تسيطر عليها نفسها الحرب الباردة، وفى معاهدة بروكسل، وحلف شمال الأطلسى، ومجموعة الدفاع الأوروبية، والاتحاد الأوروبى الغربى.

(د) التحركات نحو الاندماج الأوروبى، السوق المشتركة والمجتمعات الأوروبية، والسوق الواحدة، والاتحاد الأوروبى، والفدرالية، والتكاملية.

(هـ) معاهدة ماستريخت.

(و) توسيع اتحاد المجموعة الأوروبية، وزيادة العضوية من ست إلى تسع دول، ثم إلى عشر، واثنى عشرة، وخمسة عشر، والعلاقات مع الدول غير الأعضاء، وخاصةً اتحاد التجارة الحرة الأوروبية والمنطقة الاقتصادية الأوروبية، والمأزق الناتج عن التوسع فى العضوية، والانتشار الفقى والانتشار الراسى والموازنة بينهما.

(ز) التحام أوروبا معاً بعد الحرب الباردة، بالتكيف مع والتوسع فى الجهاز الذى نما خلال العملية، سواء داخل الغرب أو بين الشرق والغرب، وخاصةً مؤتمر (وهو الآن منظمة) الأمن والتعاون الأوروبى.

وعلى الرغم من أن هذه العناصر لهندسة العمارة الأوروبية مختلفة منطقياً، وتحتاج إلى أن تبحث كل منها على حدة، إلا أن الاعتماد المتبادل فيما بينها أمر واضح. وستواجه القيادات الأوروبية اختباراً فيما يتعلق بالاحتفاظ بهذا الاعتماد المتبادل، بكل تفاصيله المحيرة والمتعارضة، وفى منظورة، ومن ثم منع أوروبا من أن تصبح مرة أخرى برميل بارود قابل للانفجار فى أية لحظة^(٧).

الهوية الأوروبية: كونجرس أوروبا :

تعود أحلام الوحدة الأوروبية إلى الماضى. ولكن المنافسات الضارية فى نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، والدمار المخيف الذى حدث خلال الحربين العالميتين، أدت إلى إعطاء دفعة جديدة للسعى من أجل إقامة الوحدة الأوروبية. ولقد ظهر للوجود عدد من المنظمات بعد ١٩٤٥، على الأقل فى إنجلترا،

بإلهام من ونستون تشرشل، ثم معارضة له بعد هزيمته فى الانتخابات العامة فى ١٩٤٥ . وفى خطبة شهيرة فى زيورخ فى سبتمبر ١٩٤٦، قال: "إن نصيحتى لأوروبا يمكن أن أخصها فى كلمة واحدة : اتحدوا!" وتشكلت لجنة بولية للحركة الأوروبية. واجتمع كونجرس أوروبا فى لاهاي فى مايو ١٩٤٨، وحضره عدد كبير من الشخصيات القيادية الأوروبية، من بينهم تشرشل، الذى كان رئيساً فخرياً. وكان الذين تجمعوا فى لاهاي قد تمت دعوتهم بصفاتهم الشخصية. وباعتبارهم مجموعة، كما قالوا وقتئذ، كانوا يمكنهم أن يدعوا أنهم يمثلون بقوة كل مناحى الحياة والآراء المهمة فى أوروبا. وقد دعا الكونجرس إلى إنشاء أوروبا متحدة تشمل مجلساً أوروبياً **European Assembly** تختاره برلمانات الدول المشاركة.

وقد قام وزراء الدول الأعضاء الخمس لمنظمة معاهدة بروكسل (وهى المملكة المتحدة، وفرنسا وبلجيكا وهولندا ولكسمبورج) ببحث نتائج كونجرس لاهاي. وبعد ذلك عقد اجتماع أوسع للسفراء نتج عنه إنشاء مجلس أوروبا **The Council of Europe** . وقد وقعت لانحته فى أبريل ١٩٤٩ . وكانت أهداف المجلس هى: العمل من أجل وحدة أوروبية أعظم، ودعم مبادئ الديمقراطية البرلمانية وحقوق الإنسان، وتحسين الأحوال المعيشية وتنشيط القيم الإنسانية. ثم اهتم المجلس بعد ذلك بتطوير الملامح العامة التى تشترك فيها كل شعوب أوروبا، أو ما يسمى "بالبعد الأوروبى". ولهذا كان مجلس أوروبا فى جوهره يجسد توصيات كونجرس لاهاي، ولكن مع البعد عن مناصرة الفدرالية والمتجاوزة للقوميات. وقد منع المجلس من مناقشة مسائل الدفاع، على أساس أن حلف شمال الأطلنطى قد تكفل بها، وكذلك المسائل الاقتصادية على أساس أنها تدخل فى نطاق اختصاص منظمة التعاون الاقتصادى الأوروبى. وقد ضم مجلس أوروبا من بين أجهزته لجنة وزراء الخارجية، وكذلك المجلس الاستشارى للبرلمانيين من بين الدول الأعضاء. وقد صمم المجلس على أن يحتفظ فى يده بالتحكم الحازم، وكانت صفته باعتباره مجلس "استشارى" هى مجرد تذكير فقط بوضعه المتواضع. وكان لذلك تأثير على التأكيد على المسائل القانونية والثقافية فى أنشطة المجلس، وهو ما استمر منذ ذلك الحين. وأصبح لمجلس أوروبا نفوذ كبير فى تنشيط وحماية حقوق الإنسان.

وكان الأعضاء الأصليون هم القوى الخمس لمعاهدة بروكسل، بالإضافة إلى الدنمارك وأيرلنده وإيطاليا والنرويج والسويد. وفيما بعد ارتفعت العضوية إلى ٢٣ وتضم دول أوروبا الغربية. وفيما يتعلق ببناء أوروبا، فإن مجلس أوروبا كان بداية، ولكن المتحمسين للاندماج كان لابد لهم أن يتجهوا إلى مكان آخر لتجد أفكارهم تعبيراً عملياً.

إعادة الإعمار الاقتصادي: مشروع مارشال ومنظمة التعاون الاقتصادي الأوروبي:

في نهاية الحرب العالمية الثانية كانت أوروبا مدمرة تماماً. وكان هناك تقليل من حجم درجة الدمار. ولكن المؤكد هو أن شتاء ١٩٤٦-١٩٤٧ القارس بشكل غير معهود زاد من معاناة أوروبا إلى حد أن جهود إعادة الأعمار القائمة لم تكن كافية بشكل واضح.

وقام جورج مارشال George Marshall وزير خارجية الولايات المتحدة بتحليل مقتضب في خطاب له في جامعة هارفارد في ٥ يونيو ١٩٤٧، ذكر فيه أن دول أوروبا تحتاج إلى مساعدة إضافية ضخمة. ولكن قبل أن تستطيع الولايات المتحدة أن تقدم أكثر، لابد أن يكون هناك نوع من الاتفاق بين دول أوروبا فيما يتعلق باحتياجات الموقف والجزء الذي ستتحمله هذه الدول بنفسها، وأن البرنامج لابد أن يكون مشتركاً، وأن توافق عليه عدد من الأمم الأوروبية إن لم تكن كلها. وقد أخذ إرنست بيفين Ernest Bevin وزير الخارجية البريطاني زمام المبادرة في تنظيم استجابة أوروبية لهذا العرض. واختار الاتحاد السوفيتي عدم المشاركة ومنع الدول التي تسير في فلكه من أن تشارك. وعقد في باريس مؤتمر برئاسة بيفين وتم وضع مشروع مشترك لإعادة إعمار أوروبا. وعين المؤتمر لجنة للتعاون الاقتصادي الأوروبي لمتابعة المناقشات مع الولايات المتحدة. وكان لست عشرة دولة تمثيل في اللجنة: الدول الأعضاء العشر الأصليين في مجلس أوروبا بالإضافة إلى النمسا واليونان وأيسلنده والبرتغال وسويسرا وتركيا. وتولت فرنسا وبريطانيا مسؤولية اشتراك ألمانيا الغربية في المشروع. وتحولت اللجنة إلى منظمة التعاون الاقتصادي الأوروبي عام ١٩٤٨. وبدأ العمل ببرنامج إعادة إعمار أوروبا. وبلغ حجم المساعدة، التي كان خمسها على شكل قروض وأربعة أخماس على شكل منح ١٢ مليار دولار على فترة أربع سنوات، بما يعادل ٢٪ من إجمالي الناتج القومي.

وبالنسبة للولايات المتحدة، وكذلك كندا، كان ذلك مشروعاً يكتنفه خيال كبير ومجهود إدارى وسخاء. ويعتباره عمل من أعمال السياسة الخارجية كان يمثل نجاحاً هائلاً. وفيما يتعلق بالمستفيدين الأوروبيين، فإن درجة تجاوز القوميات المعنى القانونى، المتضمن فى الممارسة كانت محدودة. ولكن التعاون التفصيلى فى التخطيط الاقتصادى والفحص المشترك للمشروع كان يعكس الوقائع الملحة للموقف السائد، إلى جانب إدراك الحاجة المستمرة للتسيق والتعاون الاقتصادى. وتحولت منظمة التعاون الاقتصادى الأوروبى إلى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية عام ١٩٦١، مما يعكس، بين أشياء أخرى، اهتمامها بمساعدة الدول النامية. ولكن فى ذلك الوقت أصبح التكامل الذى تتطلع إليه أوروبا أمراً مستقراً بحزم داخل مجموعة أصغر من الدول، هى مجموعة الدول الست.

(ج) البحث عن الأمن: حلف الأطلنطى واتحاد غرب أوروبا :

هذه التطورات طغى عليها توتر متزايد بعد الحرب فى أوروبا. ففى أوائل مارس ١٩٤٦ تحدث تشرشل فى خطاب شهير فى فولتون، ميسورى، عن ستار حديدى يمتد عبر أوروبا من ستيتين على البلطيقى إلى تريسته على الادرياتيكى. وقد تحول التحالف أثناء الحرب بين الغرب والاتحاد السوفيتى إلى شكوك وعداوات متبادلة. واعتبرت تدابير الدفاع الكلاسيكية، التى كانت قائمة بالفعل بين بلدان أوروبا الغربية، غير كافية. فقد كانت تهتم أساساً بالحماية ضد أى انتفاضة عسكرية ألمانية. وقد وقعت معاهدة دنكرک بين فرنسا وبريطانيا عام ١٩٤٧. وفى ١٩٤٨ أدت معاهدة بروكسل بين بريطانيا وفرنسا ودول البنيلوكس (التى أقامت اتحاداً جمركياً فيما بينها عام ١٩٤٥) إلى إنشاء منظمة دفاعية.

وكان الحصار السوفيتى لبرلين عام ١٩٤٨-١٩٤٩ بمثابة خلفية للمناقشات مع الولايات المتحدة أدت إلى توقيع معاهدة حلف الأطلنطى فى واشنطن فى مايو ١٩٤٩. وانضمت الولايات المتحدة وكندا والدول الأوروبية العشر - ودول معاهدة بروكسل الخمس بالإضافة إلى الدنمارك وأيرلنده وإيطاليا والنرويج والبرتغال - إلى حلف دفاعى ينص على أن أى هجوم على أية دولة منها يعتبر هجوماً على جميع الدول الأعضاء،

وهذا التزام لأوروبا له قيمة عظيمة فى عالم ما بعد الحرب. وبالإضافة إلى مشروع مارشال، فقد كان هذا الالتزام يمثل إسهاماً من الولايات المتحدة لم يسبق له مثيل، فى أمن وازدهار أوروبا الغربية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

وقد أصبح موقف ألمانيا الغربية شاذاً بشكل متزايد. فمن جهة، كانت تمثل عدواً سابقاً منهزماً ومحتلاً، وكان الضحايا السابقون المحيطون بها ينظرون إليها بارتياح كبير. ومن جهة أخرى كانت ألمانيا الخط الأمامى فى أى حرب مع الاتحاد السوفيتى والدول الدائرة فى فلكه، وهو أمر لسوء الحظ لم يعد بعيداً عن التفكير. وكان الحل الذى تقدم به رينيه بليفين رئيس وزراء فرنسا عام ١٩٥٠، هو عن مجموعة دفاع أوروبية بهدف السيطرة المشتركة للقوات العسكرية الأوروبية داخل إطار الدفاع الأطلنطى. وتحت إمرة مجموعة الدفاع الأوروبية ستكون هناك فرق ألمانية فى جيش أوروبى بدلا من جيش ألمانى وطنى. ولم يكن الفرنسيون راغبين فى الموافقة على جماعة الدفاع الأوروبية ما لم يشترك البريطانيون. ومع هذا، فإن البريطانيين كانوا مصممين على عدم الاشتراك. وأخيراً فى عام ١٩٥٤ لم توافق الجمعية الوطنية على معاهدة جماعة الدفاع الأوروبية التى وقعت فى باريس عام ١٩٥٢ .

وللخروج من المأزق اقترح أنطونى أيدن وزير الخارجية البريطانى بديلاً لذلك، وهو التوسع فى منظمة معاهدة بروكسل لتشمل ألمانيا الغربية (وهى الآن جمهورية ألمانيا الاتحادية) وإيطاليا. وكانت إيطاليا قد شاركت فى مناقشات جماعة الدفاع الأوروبية. وأوضح أيدن أن بريطانيا ستقوم - تحت شروط معينة - بمرابطة قوات فى أراضى القارة الأوروبية، وهذا التزام تاريخى آخر. وعلى هذا الأساس تمت الموافقة على أن جمهورية ألمانيا الاتحادية يجب أن تصبح دولة ذات سيادة، وأن تنضم إلى منظمة معاهدة بروكسل وتصبح عضواً فى حلف شمال الأطلنطى. ووضع عدد من القيود على إعادة تسليح ألمانيا. ولكن الروح العسكرية التى كان هناك خوف كبير منها خارج ألمانيا لم تظهر علامات عن إحيائها من جديد.

وكانت القضية من الناحية المؤسسية هى كيف يتطور الاتحاد الأوروبى الغربى بالتساوى مع التكامل الأوروبى بطريقة تقوى التحالف الأطلنطى ولا تضعفه. وتمثلت الصعوبة الرئيسية فى هذا الشأن منذ البداية فى أن ديجول، الذى عاد إلى السلطة

في فرنسا عام ١٩٥٨، قد أصر على أن يؤدي دوراً فريداً^(٣). وكان ابتعاد فرنسا عن الهياكل التكاملية لحلف شمال الأطلسي، وهو أمر مختلف عن معاهدة حلف شمال الأطلسي نفسها، قد استمر طويلاً بعد اختفاء ديجول. وبقي غموض الاتحاد الأوروبي الغربي، باعتباره عنصر في الاتحاد الأوروبي البازغ من جهة وباعتباره أحد الأعمدة الأوروبية للدفاع الأطلسي من جهة أخرى.

(د) التكامل الأوروبي : الجماعة الأوروبية والاتحاد الأوروبي :

لقد سبق أن أشرنا إلى جماعة الدفاع الأوروبية التي لم يوافق عليها البرلمان الفرنسي عام ١٩٥٤ . ولكن هناك جماعة معاصرة لها وهي الجماعة الأوروبية للفحم والصلب التي كان لها حظ أوفر. فلقد كان النبض واحداً، وهو الحاجة إلى المصالحة، وخاصةً بين فرنسا وألمانيا، وتحقيقاً لهذا الهدف، أنشأ مؤسسات تتجاوز القوميات، بحيث تربط بين هاتين الدولتين وغيرهما معا من الناحية العملية، فضلاً عن الإسهام في استعادة أوروبا الغربية باعتباره عامل في الشؤون الدولية. وكانت فكرة جماعة للفحم والصلب قد أطلقها إعلان شومان في ٩ مايو ١٩٥٠ . وكانت كلمات روبرت شومان Robert Schuman ، وزير خارجية فرنسا وقتئذٍ بهذه المناسبة لها نبرة تاريخية :

إن السلام لا يمكن حمايته دون القيام بجهود خلاقة تتناسب مع الأخطار التي تهدده. وإن الإسهام الذي يمكن لأوروبا المنظمة الحية أن تقدمه للمدنية هو أمر لا غنى عنه للمحافظة على علاقات سليمة...^(٤).

إن أوروبا لا يمكن أن تقوم لها قائمة فوراً، أو طبقاً لخطة منفردة. إنها ستبنى من خلال إنجازات ملموسة تخلق أولاً تضامناً واقعياً. ويتطلب إعادة تجميع بلدان أوروبا إزالة ما بين فرنسا وألمانيا من خلاف امتد زمناً طويلاً. وأى إجراء يتخذ لابد أن يراعى أولاً هاتين الدولتين.

ولقد كانت فرنسا تدعو إلى التصرف في نقطة محدودة ولكن حاسمة، وهي وضع الإنتاج الفرنسي الألماني للفحم والصلب ككل تحت سلطة مشتركة أعلى. وكان النجاح في إقامة مجلس اقتصادي واجتماعي بين الدول الست إنجازاً مذهلاً، وكان شاهداً

على كسر القالب الأوروبي الذي استمر قرونا. فقد أنشئت جماعة مشابهة فى مجال الطاقة الذرية وهى EURATOM عام ١٩٥٧. ومع هذا، فإن الخطوة الرئيسية للأمام بالنسبة للتكامل الأوروبي اتخذت عام ١٩٥٥، عندما قرر وزراء خارجية الدول الست، المنعقدون فى ميسينا فى صقلية أن يمتد التكامل إلى جميع فروع الاقتصاد.

ولم تكن بريطانيا ممثلة فى اجتماع ميسينا. ومع هذا فقد كانت ممثلة فى اللجنة التحضيرية التى أعقبته، ولكن على مستوى متواضع بون نفوذ كبير. وكان التقويم العام فى لندن هو أنه لن يتمخض شىء عن المشروع، وهو تقييم فند بوقاحة عندما وقعت الدول الست على معاهدة روما عام ١٩٥٧، بإنشاء الجماعة الاقتصادية الأوروبية *European Economic Community*، المعروفة أفضل باسم السوق الأوروبية *Common Market*. وكانت السوق الأوروبية أساسا عبارة عن اتحاد جمركى مرتبط بسياسة زراعية مشتركة تتمتع بحماية عالية.

وربما كانت درجة التكامل الدقيقة المتصورة، والسرعة التى تم بها أقل أهمية من الهدف النهائى والوسائل التى تم اختيارها للوصول إلى ذلك. وقد نص فى الديباجة أن الأطراف عازمة على وضع أسس اتحاد أوثق بين شعوب أوروبا. وقد اقتربوا من مهمتهم بإقامة سوق مشتركة والتقريب التدريجى بين السياسات الاقتصادية للدول الأعضاء. (المادة ٢). وكان العنصر الرئيسى فى هذا العمل هو المفوضية الأوروبية *European Commission*، وهى أمانة عامة تتجاوز القوميات ومطلوب منها (طبقاً للمادة ١٥٥) أن تضمن التشغيل السليم والتطوير للسوق المشتركة. وقد منحت سلطات واسعة بل واحتكار لتأدية واجباتها. وكان جان مونييه الأب المؤسس الرئيس للتكامل الأوروبى قد عين لفترة نائب أمين عام عصبة الأمم. وقد شعر بالإحباط بسبب عجز أمانة عصبة الأمم وتجردها من السلطات. وقد صمم على أن المفوضية الأوروبية لا بد أن تكون لها سلطات كافية حتى يمكنها أن تنفذ قرارات الجماعة وأن تتخذ الإجراءات الضرورية لتحقيق أهدافها. وكان مونييه رئيسا للهيئة العليا لجماعة الفحم والصلب، والرائد المتجاوز للقوميات لمفوضية السوق الأوروبية المشتركة. ولكن التفويض للهيئة العليا لم يكن بالطبع كبيراً مثل التفويض للمفوضية. وكان ديجول مصمماً على الحد من طموحات المفوضية.

وكانت استجابة المملكة المتحدة لمعاهدة روما هو اقتراح منطقة تجارة حرة أوروبية، تضم أوروبا بأكملها مع الجماعة الاقتصادية الأوروبية التي انضمت باعتبارها وحدة منفردة. وقد فند ديجول هذا. ولهذا تحولت بريطانيا إلى البديل بإقامة اتحاد تجارة حرة أوروبية مع الدول الإسكندنافية والنمسا وسويسرا والبرتغال. وتم التوصل إلى اتفاقية عام ١٩٦٠. ولكن أوجه قصورها كانت واضحة لبريطانيا. وقررت حكومة المحافظين برئاسة هارولد ماكميلان عام ١٩٦١ أن تتقدم بطلب عضوية كاملة للجماعة الاقتصادية الأوروبية. واستخدم ديجول حق الاعتراض على هذا الطلب في مؤتمر صحفي شهير في ١٤ يناير ١٩٦٣. فقد شك في أن بريطانيا على صلة وثيقة أكثر من اللازم بالولايات المتحدة، كما أنها منشغلة بالكومنولث ومنطقة الإسترليني مما يشقت جهودها.

وقررت حكومة العمال التي أعقبتها تحت رئاسة هارولد ويلسون في خريف ١٩٦٦ أن تعاود الطلب. وهذا الطلب ووجه بمصير مشابه على يد ديجول في العام التالي. وأتاحت استقالة ديجول في ربيع ١٩٩٦ للبريطانيين فرصة للضغط مرة أخرى للعضوية. وكان لدى جورج بومبيدو، خليفة ديجول تحفظات أقل بالنسبة للبريطانيين. وبالإضافة إلى ذلك فإن التطبيق تم بصدق واقتناع أكثر من جانب إدوار هيث، الذي أصبح رئيساً للوزراء بعد فوز المحافظين في الانتخابات العامة في ١٩٧٠. وكان الثمن الذي دفعته بريطانيا للانضمام هو قبول الهياكل والنظم التي تطورت آنذاك بكل ما فيها من مظاهر غير مناسبة، وخاصة ما يتعلق بالزراعة والرسوم على الواردات من العالم الخارجى نتيجة لذلك. وأدى امتناع بريطانيا عن الانضمام عند الإنشاء إلى أن دفعت ثمناً غالياً.

وانضمت المملكة المتحدة وأيرلندا والدنمارك إلى الجماعة الاقتصادية الأوروبية في أول يناير ١٩٧٣. ورفضت الترويج العضوية في استفتاء في ١٩٧٢ (كما فعلت مرة أخرى بعد ٢٢ عاماً). وانضمت اليونان عام ١٩٨١، كما انضمت إسبانيا والبرتغال عام ١٩٨٦. وكانت أسباب انضمام الدول الثلاث ترجع إلى اعتبارات سياسية أكثر منها حتمية اقتصادية. وكانت هناك حاجة إلى الحرص على النمو الديموقراطى ومقاومة العودة إلى الحكم العسكرى والدكتاتورية. ومع هذا ففي ذلك الوقت كانت عيون الجماعة مركزة على التوسع الكبير في مساحة السياسة المشتركة والنشاط المشترك.

فمنذ ١٩٦٧ كان هناك مجلس واحد ومفوضية واحدة، تمارس كل السلطات والمسئوليات التي منحها للحلفاء السابقين المعاهدات الثلاثة للجماعة، وهي المعاهدات التي أنشأت المجلس الاقتصادي والاجتماعي والسوق المشتركة والجماعة الأوروبية للطاقة الذرية. وفي مؤتمر القمة للدول التسع في باريس في أكتوبر ١٩٧٢، أي قبل أن تتوسع السوق رسمياً بقليل، كان هناك قرار صريح للتحرك تجاه الاتحاد النقدي ونية عامة متزايدة لزيادة التعاون في السياسة الخارجية. وكان النظام النقدي الأوروبي، بأليته الخاصة بمعدل الصرف قد بدأ في ١٩٧٩، ولكن المملكة المتحدة رفضت أن تشترك منذ البداية.

وكان أحد المعالم الثانية هي القانون الأوروبي المنفرد لعام ١٩٨٦ الذي بمقتضاه وافق أعضاء الجماعة على مخطط وجدول زمني للموافقة على الإجراءات، والتي بلغ عددها حوالي ٢٧٠ إجراء، لإنشاء سوق واحدة في أول يناير ١٩٩٢. ونص القانون على أغلبية الأصوات المشروطة في بعض الحالات، وبهذا يتم تجاوز الحاجة إلى قرار إجماعي. وفي الوقت نفسه فإن الجماعات الأوروبية وافقت على أن يحاولوا معاً تشكيل وتنفيذ سياسة خارجية أوروبية. وتحقيقاً لهذا الغرض، قررت وضع التعاون السياسي الأوروبي على أساس مؤسسي متين.

(هـ) معاهدة ماستريخت :

وفي اجتماع المجلس الأوروبي في هانوفر بألمانيا في يونيو ١٩٨٨^(٤) شرع المجلس في إحياء الاتحاد الاقتصادي والمالي. وتم الدعوة إلى مؤتمر بين الحكومات في إبريل ١٩٨٩. ونزولاً على رغبة فرنسية ألمانية تمت الدعوة إلى مؤتمر منفصل بين الحكومات يتناول الإصلاح السياسي والمؤسسي. وتقرر أن يفتتح المؤتمران في ١٤ ديسمبر ١٩٩٠. وتمت الموافقة على نتائج المؤتمرين في اجتماع المجلس الأوروبي في ماستريخت في ٧ فبراير ١٩٩٢. وكانت هناك تحفظات بريطانية رئيسية وانسحابات، وخاصة في مجال السياسة الاجتماعية وفيما يتعلق بالخطوات نحو إقامة اتحاد اقتصادي ونقدي. ولكن هذه لم تؤثر على الدفعة الرئيسية للمعاهدة نفسها. فقد تجاوزت بكثير أي اتفاقية سابقة بين أعضاء الجماعة الأوروبية. وهي تُنشئ اتحاداً

أو مرحلةً جديدةً في عملية خلق اتحاد أوثق بين شعوب أوروبا، وتقدم مفهوم المواطنة المشتركة، وتضع إجراء لتحقيق عملة موحدة باعتباره جزء من اتحاد اقتصادي ونقدي، وتقدم سياسة خارجية وأمنية مشتركة، وتوفر تعاوناً في ميادين العدالة والشئون الإنسانية. كما أنها تدخل على قانون الجماعة مبدأ مهم - وأن كان غير دقيق - وهو القائل بأن أي إجراء يمكن أن يتخذ على مستوى الجماعة فقط في حالة تعذر تناوله بشكل كافٍ من قبل الدول الأعضاء.

وكان هناك نص على أن تتم - في مؤتمر بين الحكومات يعقد في ١٩٩٦ - عرض عناصر لمراجعة محتملة وهذا منصوص عليه في المعاهدة وفي تفسير للمعاهدة وظروف الموافقة عليها، لم يعد إلا القليل أمام مثل هذا المؤتمر بين الحكومات إلا بعض تعديلات بسيطة في المسيرة المتقدمة نحو أوروبا اتحادية. ولكن الحقائق في أوروبا قد تحكم بغير ذلك. فتاريخ التكامل الأوروبي مفعم بأمثلة حيث الاتفاق بين الحكومات أثبت فشله؛ لأن المناقشات بين الحكومات كانت تسبق الرأي الشعبي وما يمكن أن يقبله. وهناك شعور متزايد بأن معاهدة ماستريخت هي "معاهدة ذهبت بعيداً". فالنص يمثل الذروة في عملية المبالغة في المناقشات بين الحكومات، حيث التكامل الأوروبي قد انتقل من معاهدة إلى أخرى مضيافاً أو حاذفاً لنصوص سابقة، لدرجة أنه حتى الخير، وليس فقط القارئ العادي، تنتابه الحيرة عما هو معروض بالدقة. وكانت مصادر المنازعات القانونية والسياسية لا حدود لها^(٥).

وللإعداد للمؤتمر، الذي افتتح في تورنتو في ٢٩ مارس ١٩٩٦، كَوْنُ رؤساء الحكومات الأوروبية جماعة التأمل Reflection Group وصدر تقريرهم في ديسمبر ١٩٩٥. ونشرت المملكة المتحدة كتاباً أبيض في ١٢ مارس ١٩٩٦ بعنوان "شراكة الأمم - المدخل البريطاني لمؤتمر الاتحاد الأوروبي بين الحكومات". وإلى اليوم لم يحرز أي تقدم ملموس. ولم يكن هناك مفر أن تطغى أزمة لحم البقر على المؤتمر وكانت هذه الأزمة قد نشبت في أعقاب الشك في وجود صلة بين مرض جنون البقر ومرض كروتزفيلد - جاكوب. ولم تحسم سياسة بريطانيا في عدم التعاون مع أوروبا إلى أن عقد المجلس الأوروبي في فلورنسا في ٢١، ٢٢ يونيو ١٩٩٦.

وفيما يتعلق بالتوقعات بوجه عام، كان هناك مجالان رئيسيان يثيران القلق في الموقف الذي أعقب مااستريخت. أولا : بالنسبة للمادة، يمكن أن ندرك أن النصوص التفصيلية للمدخل للاتحاد الاقتصادي والنقدي كانت - على أحسن تقدير - على درجة عالية من التفاؤل. ولم تكن دروس فشل المحاولة الأولى لتحقيق الاتحاد الاقتصادي والنقدي في السبعينات، وقد استوعبت بشكل كاف^(٦). فقد اكتسحت أزمة النفط العالمية خطط السبعينات. وربما مثلت البطالة في الدول الأعضاء، وما نتج عنها من علل اجتماعية عقبة باعتبارها أداء لماستريخت. وكان يمكن لقضية الاتحاد الاقتصادي والنقدي أن تكون أقل إثارة للخلاف لو كان هناك تشجيع مستمد من التقدم الذي أحرز في "الدعامتين" الآخرين لماستريخت - وهما سياسة خارجية وأمنية ومشاركة وتعاون في ميادين العدالة والشئون الداخلية - واللذان صمما لإيجاد توازن في التوسع في سلطات الجماعة في مجال الاتحاد الاقتصادي والنقدي. وكان الموقف في اليوسنة عقبة بارزة في هذا الصدد.

ثانيا : إن مسألة التأييد الشعبي للاتحاد الأوروبي مازالت تحتاج إلى استيعابها بشكل يتسم بالتخيل. وكما أن ديباجة ميثاق الأمم المتحدة يبدأ بكلمتي: " نحن الشعوب"، فإن الهدف الأساسي للتكامل الأوروبي هو خلق اتحاد أوثق بين "شعوب" أوروبا، وليس بين حكوماتها. وليس من الواضح أبدا أن المساومة بين الحكومات هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك. فهناك إغراء بأن نقترح أن مسابقة الأغنية الأوروبية المرئية أو كأس اتحاد جمعيات كرة القدم الأوروبية قد تكون أكثر تأثيرا، كما أنها أقل في مطالبتها الثقافية، لأولئك المشاركين فيها بشكل مباشر.

إن أسباب التوتر والخلافات بين الأعضاء الحاليين على المسائل "الداخلية"، على الرغم من خطورتها، قد تكون أقل حسما في تحديد مستقبل الاتحاد الأوروبي من الضغوط الواقعة من أجل التوسع. وهذه الضغوط تأتي من دول أوروبا الغربية التي تطمح للانضمام، أو بالأحرى من دول الكتلة السوفيتية السابقة، حيث الاعتبارات الأمنية والاقتصادية المتشابهة تنطبق بقوة ويتعقد شديدين. وقد تحولنا الآن إلى هاتين المسألتين : التوسع في الاتحاد إلى ما يتحتم أن يصبح عليه الوضع الذي يكون فيه هناك غلبة ساحقة للستار الحديدي السابق على الغرب، وقبول دول للشرق منه بطريقة تدعم أمنها أكثر مما تنقص منه.

(و) التوسع : المنطقة الاقتصادية الأوروبية :

كما سبق أن أوردنا، فإن الجماعة الأوروبية المكونة من اثنتي عشرة دولة عام ١٩٨٦ قد نمت لتكون الاتحاد الأوروبي المكون من خمسة عشر دولة بانضمام النمسا، وفنلندا والسويد في أول يناير ١٩٩٥. إن مغزى جماعة بهذا الحجم بالنسبة لباقي دول أوروبا، وبالنسبة للعالم ككل، هو مغزى عميق. والحقيقة أن أثر الدول الاثنتي عشرة عند تقدير الأمور، ليس فقط على تكوين سوق واحدة، ولكن أيضا على اتخاذ خطوات مهمة أخرى نحو الوحدة المنصوص عليها في معاهدة ماستريخت، كان عاملا رئيسيا في المسرح الدولي لعشر سنوات. وقد وقع إعلان مشترك في لكسمبورج في أبريل ١٩٨٤، بمعرفة الدول الأعضاء في الجماعة الأوروبية (التي كان عددها عشرة وقتئذ) ودول اتحاد التجارة الحرة الأوروبي وهي النمسا وفنلندا وأيسلندا والنرويج والسويد وسويسرا وليخنشتاين Liechtenstein. وكان في هذا اعتراف لأول مرة بأن هناك حاجة إلى منطقة اقتصادية أوروبية تضم المنظمتين. ومع هذا فإن المفاوضات الرسمية لم تبدأ إلا في يونيو ١٩٩٠. وقد تم التوقيع على وثيقة الاتفاقية الرئيسية للمنطقة الاقتصادية الأوروبية في أوبورتو بالبرتغال في ٢ مايو ١٩٩٢. وتقرر أن تسرى في أول يناير ١٩٩٣، في الوقت نفسه الذي تسرى فيه السوق الواحدة. وتعترف الاتفاقية بالإسهام الذي تقدمه المنطقة الاقتصادية الأوروبية من أجل تعمير أوروبا على أساس السلام والديموقراطية وحقوق الإنسان. وتؤكد العلاقة المميزة بين الجماعة واتحاد التجارة الأوروبية القائمة على التقارب، والقيم المشتركة قديمة العهد والهوية الأوروبية. وتتضمن الاتفاقية على حرية حركة السلع والأشخاص والخدمات ورأس المال. وهي تضم نصوصاً أفقية أو جانبية تتعلق بهذه الحريات الأربع وتتصور تعاوناً أوسع في أمور لا تغطيها الاتفاقية بالتحديد. وتتضمن ترتيباتها المؤسسية: مجلساً، ولجنة مشتركة لضمان التنفيذ الفعال للاتفاقية، ولجنة برلمانية مشتركة للإسهام من خلال الحوار والمناقشات، في الوصول إلى تفاهم أفضل بين دول الجماعة واتحاد التجارة الحرة الأوروبي في الميادين التي تغطيها هذه الاتفاقية، ولجنة استشارية لاتحاد التجارة الحرة الأوروبي للتعاون والتعليق على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للاعتماد المتبادل المتنامي لاقتصاديات الأطراف المتعاقدة.

وكان التأثير العملى للاتفاقية هو إضفاء مزايا والتزامات السوق الواحدة على دول اتحاد التجارة الأوروبى دون إعطائها صوت فى تطوير الجماعة إلى اتحاد، أى تكامل اقتصادى فى الواقع دون تكامل سياسى. وقد رأت دول اتحاد التجارة الحرة الأوروبى أن هذا الترتيب غير كافٍ، وقد تقدمت كل من النمسا والسويد وفنلندا وسويسرا والنرويج بطلبات للانضمام لعضوية الجماعة. وقد رفضت سويسرا اتحاد التجارة الحرة الأوروبى فى استفتاء فى ديسمبر ١٩٩٢، ولكنها احتفظت بطلب عضويتها للاتحاد الأوروبى. ورفضت النرويج عضوية الاتحاد الأوروبى فى استفتاء فى نوفمبر ١٩٩٤. وبهذا تكون اتحاد التجارة الحرة الأوروبى من أربع دول هى النرويج وسويسرا وأيسلندا وليخنشتاين.

ويجب النظر إلى اتحاد التجارة الحرة الأوروبى باعتباره بطة عرجاء. ومع هذا فإن المنطق الذى تصوره هذا الاتحاد لا يمكن إلا أن يبقى على إغراءاته بالنسبة للمعارضين للفدرالية (الاتحادية) داخل الاتحاد الأوروبى. فاتحاد التجارة الحرة الأوروبى يمثل اختصاراً يتعلق بمدى حتمية التكامل السياسى والنقدى، وليس مجرد أنه شىء مرغوب فيه. فهل هناك سبب وجيه لا مناص منه عن ضرورة أن يواكب السوق الواحدة اتحاد اقتصادى ونقدى وسياسة خارجية وأمنية مشتركة، كما تنبأت معاهدة ماستريخت؟ الإجابة بالنفى عند عدد كبير من الناس. فالنبض الاتحادى الذى حث على التحركات نحو الاتحاد الاقتصادى والنقدى ونحو اتحاد سياسى هو أساساً استجابة لمعايير سياسية وأمنية واجتماعية أكثر منها لمعايير اقتصادية وتجارية. فالأمن الأوروبى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حافظ الوجود الأمريكى عليه، كما حافظت عليه الحرب الباردة على الرغم مما فى ذلك من تناقض. وقد أدى انهيار النظام السوفيتى إلى إدخال عنصر مهم من عدم الاستقرار فى العلاقات الأوروبية فى الوقت نفسه، كما زاد من الضغوط على الولايات المتحدة لتخفيض وجودها العسكرى فى أوروبا. وهذا التغيير المفاجئ فى الموقف فى أوروبا عزز من الحركة التى بدأت فى الثمانينات لإعادة الحيوية إلى الجماعة الأوروبية، والتى كانت سمة خاصة لشغل جاك ديلاور منصب رئيس المفوضية الأوروبية، بالتعاون الوثيق مع الشراكة الفرنسية الألمانية للرئيس ميتران والمستشار كول. وكانت لدى فرنسا شكوك عميقة تجاه إعادة توحيد ألمانيا دون تقييد

بروابط اتحادية قوية. وكان المستشار كول يرغب في أن يضع سقفاً أوروبياً على ألمانيا بدلاً من سقف ألمانيا على أوروبا. وكان أحياناً يشار إليه على أنه بمثابة تسمارك في بستر من صوف. لقد كان الأمر مزيجاً من تلك الاعتبارات والمصالح، والحاجة لمواجهة التساؤم الأوروبي في منتصف الثمانينات، بإعادة الحيوية لعملية التكامل الأوروبي، وليس بمنطق اقتصادي وتجاري لا مفر منه، وهو الذي أنتج معاهدة ماستريخت.

وكانت المشكلة أحياناً تطرح على أساس أنها مقايضة بين توسيع الاتحاد وتعميقه. ومهما كان الأمر مرغوباً على أسس اقتصادية أو لأسباب سياسية فقد استمرت المناقشة، بأن التوسع لا يمكن إلا أن يخاطر بنوبان الاتحاد ما لم يتم تقوية هيكله. فجمع وجود كثير من طلبات العضوية على المائدة أو توقع طلبات جديدة في المستقبل القريب، فإنه ليس أمام الجماعة خيار آخر إلا التحرك أكثر على الطريق إلى اتحاد قائم على الفلسفة الاتحادية. وما لم تعمل الجماعة على تقوية هيكلها وترشيد عملية اتخاذ قراراتها بحيث تجمع بين الكفاءة والديموقراطية، فإن الجماعة لا يمكن أن تأمل في أن تتطور إلى اتحاد حقيقي. وهذه الملاحظة المقتبسة من إحدى المطبوعات الرسمية للجماعة الأوروبية عام ١٩٩٢^(٧)، تصور الفوضى السائدة بين بعض المتحمسين. فبينما مفهوم التوسع - أي مسألة إضافة أعضاء جدد - يتسم بالصراحة والوضوح، فإن التعمق له معنيان مختلفان. فمن جهة يمكن أن يعني جعل النظام، سواء أكان اتحادياً أم غير اتحادياً - يعمل بطريقة أفضل، بالتعامل مع مسائل مثل حجم المفوضية وسلطاتها، ونطاق تصويت الأغلبية داخل مجلس الوزراء، وتناوب رئاسة الاتحاد الأوروبي ويدر البرلمان الأوروبي، ويشمل ذلك العلاقة مع مجلس الوزراء والمفوضية. وهذا النوع من التعمق، باعتباره جزء من السعي لزيادة الكفاءة، أمر حتمي مع زيادة حجم الاتحاد. ومن غير المحتمل أن الهياكل المناسبة لست دول في الخمسينات ستكون كافية لعشرين دولة أو أكثر في القرن الواحد والعشرين.

ومن جهة أخرى فإن "التعمق" يمكن أن يعني زيادة درجة السيادة التي تنازلت الدول الأعضاء عنها للاتحاد، والتي دونها، كما جاء في الرأي المشار إليه أعلاه "لا أمل في التطوير ليكون اتحاداً حقيقياً". وقد يكون الأمر أن زيادة العضوية قد تشير في الحقيقة إلى ناحية نقل عناصر أخرى من السيادة إلى المؤسسات المركزية على

أساس أن هذه المؤسسات لا يتوقع منها أن تؤدي مهامها دونها. ولكن ليس هذا هو الشيء نفسه مثل التخلي "المستقل" لبروكسل عن سلطات إضافية تغطي مناطق جديدة من الاختصاص. ولا بد من النظر إلى "التعمق" في سياقه. والغرض الذي تبتغيه الدول الأعضاء هو التقدم نحو الاتحاد، ليس باعتباره هدف في حد ذاته، ولكن باعتباره وسيلة لتحقيق الأغراض المتعددة التي تم النص عليها في القرار الذي يشكل ديباجة معاهدة ماستريخت.

(ز) التحام أوروبا معاً بعد الحرب الباردة :

إن الانهيار المفاجئ المذهل للاتحاد السوفيتي والكتلة السوفيتية، وما تبع ذلك من نهاية الحرب الباردة، أدى إلى سلسلة من المشكلات المتلاحقة سواء السياسية أو الأمنية أو الاقتصادية وكان لابد من ابتكار هندسة عمارة أوروبية من أجلها. وفي جمل تحليلية، فإن كل من المظاهر الخمسة لهندسة العمارة الأوروبية التي ناقشناها من قبل - وهي الهوية الأوروبية، وإعادة البناء الاقتصادي، والبحث عن الأمن، والتحركات نحو التكامل، والتوسع في الاتحاد الأوروبي - يجب مراجعتها من جديد على ضوء التطورات في أوروبا الوسطى والشرقية. ومع هذا لابد من القيام بهذه المراجعة، ليس على أساس البدء من درجة الصفر، ولكن على أساس ما قد حدث في السنوات الأخيرة، سواء داخل أوروبا الغربية، أو في العلاقات غير السهلة بين الجانبين، الشرق والغرب. ومن الأمور الحيوية أيضاً أن الانتقال من الهياكل القائمة إلى الاحتياجات الحديثة يجب أن يأخذ في الاعتبار بشكل كامل مظاهر عدم الاستقرار التي كشف عنها التحول في الشرق. فضلاً عن أن الانتقال يجب أن يتم بشكل يعكس واقع القوة الروسية والعوامل المؤثرة فيها.

وفي قمة الحرب الباردة كان يبدو أن أهم جزء في جهاز التعاون بين الشرق والغرب من ناحية التأثير - وإن كان المستوى متواضعاً - إنما يتمثل في اللجنة الاقتصادية لأوروبا، وهي تعادل اللجنة الاقتصادية الإقليمية للأمم المتحدة. ومما له مغزى أن كلا من الولايات المتحدة وكندا كانا عضوين في اللجنة الاقتصادية لأوروبا، مما يؤكد المكونين

الأطلنطي وعبر الأطلنطي للمنطقة. وقد تم تبني مدخل رفيع المستوى وواسع المدى للتعاون بين الشرق والغرب في عقد مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا، الذي انعقد في الفترة من ١٩٧٢ إلى ١٩٧٥ وأنهى أعماله في مؤتمر قمة في هلسنكي بالقرار النهائي في أول أغسطس ١٩٧٥^(٨). وهذا القرار النهائي قدم إطارا للتعاون في ثلاث مناطق (أو سلال): الأمن في أوروبا، والاقتصاد، العلوم والتكنولوجيا، والبيئة، والميدان الإنساني وغيره من الميادين خاصة الصلات الإنسانية (السلة الثالثة). وكان الهدف من برنامج التعاون هذا هو تعزيز، وليس الإحلال محل، جهاز الأمم المتحدة القائم، بما في ذلك بالطبع اللجنة الاقتصادية. وتقرر أن تشرف عليه اجتماعات للمتابعة. وكان الهدف العام هو إذابة الجليد وتشجيع "سياسة الوفاق الدولي" بما يحققه ذلك من فوائد تالية متمثلة في مزيد من اتصال مواطني الكتلة السوفيتية بالعالم الخارجي. وقد أثار ذلك سؤالاً عما إذا كان من المناسب للغرب تشجيع حكومات الاتحاد السوفيتي والدول الدائرة في فلكها على أن تتعامل مع شعوبها بطريقة سبق أن التزمت بها على أي حال لمجرد عضويتها للأمم المتحدة وتوقيعها على وثائق عديدة، مثال ذلك ما حدث في مجال حقوق الإنسان. وفيما يتعلق بالغرب، فإن الالتزامات التي قبلت في هذا الشأن طبقاً للقرار الأخير كانت سطحية في معظمها. وكان قد سبق الأخذ بها. ولهذا كان هناك بعض التخوف من أن القرار الأخير لهلسنكي هو تدبير غير متمثل، فهو يناهز للشرق ويعطى صلاحية للاستمرارية بالمعنى الإستراتيجي لمناطق النفوذ السوفيتي والأمريكي، وهو ما ألمح إليه مؤتمر يالتا عام ١٩٤٥ .

وعلى أي حال فإن الغزو السوفيتي لأفغانستان سرعان ما أعاد عقارب الساعة إلى الوراء. فقد تحدث الرئيس ريجان عن الاتحاد السوفيتي باعتباره "إمبراطورية الشر". إلا أن الثمانينات شهدت زيادة أقل في مستواها في التعاون بين الشرق والغرب والذي كان لغرض معين. كما كان الحال في مجلس الأمن مثلاً، مع تقدم محسوس في مجال نزع السلاح. وكان تولى جورباتشوف أرفع منصب في السلطة السوفيتية في منتصف الثمانينات بالشعارين: جلاسنوست glasnost (الانفتاح) وپرسترويكا perestroika (إعادة البناء)، قد حمل وعداً بأمال جديدة من التعاون مع الاتحاد السوفيتي، في تناقض قوي مع النكسة في التعاون مع الصين، التي تسبب فيها صدام ميدان تيانانمان Tiananman في يونيو ١٩٨٩ .

ومع هذا فإنه خلال تلك الفترة كانت الإمبراطورية السوفيتية قد بدأت تتفتت. وكان من الواضح أن مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا يمثل منهاجاً رئيسياً للتعامل مع الموقف الجديد بكل ما يحتويه من أمور معقدة وغير مؤكدة. وقد عقد مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا في باريس في نوفمبر ١٩٩٠، والذي تم الترحيب به - مقدماً على الأقل إن لم يكن بالنظر إلى ما مضى - باعتباره حدثاً بأهمية مؤتمر فيينا نفسها عام ١٨١٥. وقد حضرت المؤتمر ٢٥ دولة سبق لها أن وقعت على اتفاقيات هلسنكي (ونقصت إلى ٢٤ بإعادة توحيد ألمانيا). وقد منحت ألبانيا وضع المراقب. وقيل إن الاتحاد السوفيتي قد أصر على استبعاد ممثلي ثلاث جمهوريات من البلطيق - وهي أستونيا ولاتفيا وليتوانيا - وكانت الحكومة الفرنسية قد وجهت الدعوة إليها. ووقعت ١٦ دولة من دول حلف الأطلنطي وست دول من حلف وارسو على معاهدة تخفيض القوات التقليدية في أوروبا التي فرضت سقوفاً متساوية من الأسلحة غير النووية بين الأورال والأطلنطي. وصدر بيان مشترك أكد على أن الدول الموقعة لم تعد متخاصمة وأن أسلحتها لن تستخدم أبداً إلا في حالة الدفاع عن النفس. وقد قام رئيس وزراء المجر بإبلاغ المندوبين بأن الدول أعضاء حلف وارسو قد وافقت على حل التحالف بحلول عام ١٩٩٢. ووصف الممثل التشيكي وهو كاتب مسرحي مرموق ومنشق، حلف وارسو بأنه من بقايا الماضي وأنه يحتاج نمونجى للتوسعية السوفيتية.

كما أن ميثاق باريس الذي صدر عن مؤتمر قمة باريس أيضاً، تحدث عن عصر جديد للديموقراطية والسلام والوحدة في أوروبا. ووصف مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا بأنه منتدى مركزي للاستشارات السياسية في أوروبا الجديدة. وكان هناك نص موسع على عقد اجتماعات للمتابعة، والمفاوضات، تشمل اجتماعات سنوية لرؤساء الدول والحكومات ابتداءً من عام ١٩٩٢. وأقيمت أمانة عامة في براغ. وأصدرت الجماعة الأوروبية والولايات المتحدة، والجماعة الأوروبية وكندا، بيانات عن علاقاتها الثنائية مما أضفى طابعاً غريباً على مؤتمر قمة مثمر ومبشر ويهتم أساساً بالعلاقات بين الشرق والغرب، والشرق والشرق، والمسائل الأمنية. ولكن كانت هناك غيوم كما كان هناك سطوع للشمس. فقد قامت العراق بغزو الكويت واحتلالها بعد ذلك بشهور قليلة. وكان الموقف في يوغسلافيا قد انفرد. وقد أدى طرد العراقيين بقيادة الولايات المتحدة

من الكويت إلى ظهور آمال في نظام عالمي جديد . ولكن اتضح أن يوغسلافيا قد أريكت العهد الجديد للديموقراطية والسلام والوحدة داخل أوروبا ، كما أريكت أيضا العلاقات داخل المجتمع والعلاقات عبر المحيط الأطلنطي . وقد قام مؤتمر القمة في هلسنكي عام ١٩٩٢ ، لمتابعة مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا بتبنى وثيقة رائعة أخرى بعنوان: تحدى التغيير . ولكنها معروفة أساسا بفشلها في وضع خطط لحل الأزمة في يوغسلافيا . وكان مؤتمر قمة بودابست للأمن والتعاون في أوروبا عام ١٩٩٤ قد أثبت على نطاق واسع أنه كان فاشلا بسبب الخلاف بين الرئيسين كلينتون وبلتسن الذى أعلن عنه جيدا ودار حول مسألة التوسع المحتمل لحلف الأطلنطي ليعطى دول أوروبا الشرقية . وكان هناك مصدر آخر للنقد يتمثل فى الطريق المسدود حول البوسنة ، وهى مسألة سكت عنها إعلان مؤتمر القمة ، على الرغم من أنه لم يكن مختصراً . ولكن هذا لا يجب أن يحجب الجهود لمواجهة موقف ما بعد الحرب الباردة التى يبذلها مؤتمر الأمن والتعاون فى أوروبا CSCE ، والذى أعيدت تسميته فأصبح منظمة الأمن والتعاون فى أوروبا OSCE .

ومع هذا ، فمن الواضح أن التطور الحذر لمنظمة الأمن والتعاون فى أوروبا لن يكون كافيا لتلبية الاحتياجات الملحة لأوروبا بعد الحرب الباردة . فدول حلف وارسو السابق ترغب فى أن تستعيد هويتها الأوروبية التى حرمتها منها الهيمنة السوفيتية بفاعلية وبلدة طويلة ، فضلا عن رغبتها أيضا فى أن تستعيد أمنها وازدهارها . فإذا لم يتوسع حلف شمال الأطلنطي شرقا ، فلا بد أن توجد آلية أخرى والوسيلة الأرجح لتحقيق الأمن الذى تنشده هذه الدول هو التوسع فى الاتحاد الأوروبى ، الذى تسعى هذه الدولة إلى الحصول على عضويته بأى حال لأسباب ثلاثة ، من أجل الهوية والازدهار ، ومن أجل الأمن . وفى اجتماع للمجلس الأوروبى فى أسن Essen فى ديسمبر ١٩٩٤ أقدم المستشار الألمانى على خطوة معينة بدعوة رؤساء الدول والحكومات ووزراء الخارجية للدول الست أعضاء حلف وارسو السابق - وهى بولندا وجمهورية الشيك وسلوفاكيا والمجر وبلغاريا ورومانيا - وهى الدول التى ارتبطت بالاتحاد الأوروبى من خلال اتفاقيات أوروبا ، لإجراء تبادل لوجهات النظر معها حول الإستراتيجية التى تقودهم إلى الاتحاد الأوروبى . وكانت اللغة الحذرة المستخدمة مناسبة تماما . فمن الواضح أن مشكلات التأهيل للعضوية ،

على أساس المعايير الاقتصادية وفي الظروف السياسية السائدة، أمر له أهمية. والأمر المشكوك فيه هو كيف يتم تناول الطموحات لعضوية الاتحاد الأوروبي التي تصبو إليها دول كانت في الماضي جزءاً من الاتحاد السوفيتي نفسه، وليس أعضاء الكتلة السوفيتية، وخاصةً جمهوريات البلطيق وهي أستونيا ولاتفيا وليتوانيا.

الاتحاد الأوروبي والعالم :

من الحتمي أن كيانا في حجم وأهمية الاتحاد الأوروبي لا بد أن يحدث أثراً على باقى العالم، بالإضافة إلى الأثر - الذى تتاولناه فى المحاضرة - على الدول المجاورة القريبة والدول الأخرى فى المنطقة الأوروبية. وهذا الأثر ينظر إليه على أنه أثر مباشر على الجانب الاقتصادى أكثر من الجانب السياسى، طالما أن اختصاص المجموعة، ومن ثم السلوك فى الشؤون الخارجية، تعلق بالجانب الاقتصادى. ولكن مع تطور السياسة الخارجية والأمنية المشتركة، وهى التى تم الاتفاق عليها فى معاهدة ماستريخت، فإن الأثر السياسى للاتحاد الأوروبى سيصبح مباشراً أكثر أيضاً.

إن دول البحر المتوسط المجاورة للاتحاد، كانت من بين أولى الدول فى إقامة روابط اقتصادية وتجارية معه. كما أن العلاقات مع أفريقيا جنوب الصحراء ترجع أيضاً إلى معاهدة روما عام ١٩٥٧، عندما منحت الأقاليم فيما وراء البحار لدول معينة وضع المشارك. وقد أدت عملية القضاء على الاستعمار التى أسرعت من خطاها فى أوائل الستينات إلى تحويل هذه الرابطة إلى شكل جديد من المشاركة بين الدول ذات السيادة. واليوم هناك حوالى ٧٠ دولة فى قارة أفريقيا وتطل على الكاريبي والهادى تستفيد من علاقات خاصة مع الاتحاد ومن مساعداته طبقاً لاتفاقيات لومى Lome (والتي جددت الاتفاقية الرابعة منها فى نوفمبر ١٩٩٥ لتغطى الفترة حتى ٢٠٠٠). والتعاون مع الدول النامية فى آسيا وأمريكا اللاتينية أقل فى هيكلته. ولكن مسألة تطوير العلاقات مع التجمعات الإقليمية سيصبح مهماً بشكل متزايد. وكذلك العلاقات مع الاقتصاديات البازغة بشكل كبير وهى اقتصاديات الصين والهند. وسيكون على الاتحاد الأوروبى، باعتباره أعظم كيان تجارى، مسئولية كبرى فى ضمان إقامة منظمة التجارة العالمية وإدارتها باقتدار.

ومن الناحية السياسية، فإن كل الدول تتأثر إلى حد ما بوجود الاتحاد الأوروبي، مهما كان حجمها أو قوتها، حتى الأكبر حجماً والأكثر قوة من هذه الدول. وربما جاء التعليق الأكثر فائدة من الدكتور هنري كيسنجر في دراسته الرزينة بعنوان "الدبلوماسية"، التي يقول فيها: "إن أمريكا من الناحية الجغرافية هي جزيرة تطل على شواطئ كتلة الأراضي المتسعة لأوروبا وآسيا، اللتين تفوق مواردهما وسكانهما موارد وسكان الولايات المتحدة"^(٩).

عمل لم يتم :

إن قول كيسنجر هذا تشجيع على الوقوف بعيداً والنظر إلى الغاية وليس الشجرة وحده. إننا مهتمون بهندسة المعمار الأوروبية كأحد المظاهر المؤسسية الأساسية التي لا بد أن تدخل في حسابان الممارس الدبلوماسية اليوم. وإذا حكمنا بالنتائج التي أنجزت في السنوات الخمسين الماضية، فإن الترتيبات الأوروبية حققت نجاحاً كبيراً، على الرغم من أن عناصرها كانت مريكة أحياناً ومتناقضة في أحيان أخرى. إن الاندماج الأوروبي كان في لب هذه الترتيبات. والمشكلة الكبرى في هذا الشأن هي متابعة معاهدة ماستريخت، سواء بالنسبة لتعميق الترتيبات بين الأعضاء الحاليين في الاتحاد الأوروبي أو الاتجاه إلى التوسع في عضويته.

إن العمل، على الرغم من حيويته، لم ينته بعد. ويمكن تقديم أربعة مبادئ استرشادية بالنسبة للاتجاه القادم. أولاً: إن الاندماج لا يمكن أن يكون عملاً غير متكافئ، وربما غير مرتب، ويشير شكوكاً وتحفظات كما يثير حماسة والتزاماً. وأى عمل يقوم على الثقة، ويعتمد على رؤية وقيادة قوية، سيثير الشكوك ويدعو للمقاومة وهو ما يجب على العملية الديمقراطية أن تدركه. وسيكون هناك ميل لأن تنتشر المناقشات. وهناك إغراء للجوء للقوالب الشائعة مثل: "لا يمكنك أن تصنع عجة دون أن تكسر البيض"، أو "إذا كان لا بد أن تجتاز سياجاً فقد يكون من الأفضل أن تجتازه من الخلف". ثانياً: إن إقامة اتحاد أوثق بين شعوب أوروبا ليس غاية في حد ذاته. بل إنه أساساً وسيلة لتجنب القارة الأوروبية فظائع الحرب. والمحافظة على السلام في أوروبا مشاركة دائمة من الولايات المتحدة وكندا. فالأمن الأوروبي يقوم على دعامين على جانبي المحيط الأطلنطي.

ثالثا : إن التحركات لإدماج دول أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية فى تدابير الأمن الأوروبى ستفشل إذا كانت معادية لروسيا. والأمر يقتضى صبورا طويلا ومهارة فى إقامة وضع مستقر يتمشى مع الرغبة فى أمن دول أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية وفى الوقت نفسه يحترم الحساسيات الروسية.

رابعا : إن باقى دول العالم تهتم بشدة بتطور الترتيبات داخل أوروبا، سواء على الجانب السياسى والأمنى أو بالنسبة للتعاون الاقتصادى. وكان الانشغال بالمشكلات الناشئة بين الدول الأوروبية قد أدت فى الماضى إلى قصور كبير فى قيام الدول الأعضاء فى الاتحاد الأوروبى بمسئولياتها بالنسبة لباقى دول العالم، وهى مسئوليات تم الاعتراف بها فى بداية التحرك نحو التكامل الأوروبى، مثال ذلك ما جاء فى إعلان شومان. فهندسة المعمار الأوروبية باعتبارها مظهر مؤسسى فى عالم اليوم تمتزج بشكل معقد بالمظهرين المؤسسين الآخرين اللذين سبق أن تحدثنا عنهما، وهما الأمم المتحدة والاقتصاد العالمى. وفى كلمة ألقاها جان مونييه فى نادى الصحافة الوطنى فى واشنطن فى ٢٠ أبريل ١٩٥٢، عرض الأمر بطريقته الإذاعة المعهودة عندما قال :

أن توحيد أوروبا له مغزى للحضارة وبما يتجاوز حتى الأمن والسلام. فأوروبا هى أصل التقدم الذى ننتفع به جميعا، والأوروبيون بروحهم الخلاقة قادرين على الإسهام فى الحضارة بالعظمة نفسها التى ساهموا فيها فى الماضى. ولكن حتى يمكن للروح الخلاقة أن تزدهر من جديد، فإننا نحتاج إلى أن يكون هناك انسجام بين مؤسساتنا واقتصادنا، وبين العصر الحديث. وباتحاد أوروبا سنحقق ذلك ... فنحن لا ندمج بين دول، وإنما نحن نوحدها^(١٠).

ملحق للمحاضرة السادسة: اتفاقية السلام للبوسنة والهرسك :

فى ٢١ نوفمبر ١٩٩٥، تم توقيع الأحرف الأولى بين ممثلى جمهورية البوسنة والهرسك وجمهورية كرواتيا والجمهورية الاتحادية ليوغوسلافيا فى دايتون، أوهايو، على الإطار العام للسلام فى البوسنة والهرسك والملاحق المرفقة بها. وقد شهد على ذلك المفوض الخاص للاتحاد الأوروبى وممثلو عدد من حكومات مجموعة الاتصال،

التي أدت دوراً مهماً في المفاوضات وهي حكومات فرنسا وألمانيا وروسيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة. وقد وقع اتفاقية السلام رؤساء الدول والحكومات في باريس في ١٤ ديسمبر ١٩٩٥ .

وفي السنوات القادمة فإن اعتبار تاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٩٥ لحظة فاصلة لم تأت فقط بالسلام ليوغوسلافيا السابقة التي مزقتها الحرب، وإنما أتت أيضاً بالارتياح لدائرة أوسع بكثير ممن تهدد أمنهم، وكذلك لدائرة أوسع لأولئك الذين يعيشون في عالم مستقل ويتعرض استقرارهم للمخاطر، وهو ما سوف يتوقف أساساً على كيف يتقذ الاتفاق عملياً. ولكن المسألة أيضاً هي أن الجهد الجماعي، الذي تم تعبئته للتوصل إلى الاتفاقية والنص على تنفيذه، إنما يضيف أرضية شرعية من التفاؤل عن قدرة المجتمع الدولي على معالجة مشكلات معقدة لها تداعيات واسعة ومدمرة. وبشكل أكثر تحديداً في سياق هذه المحاضرات أتاحت اتفاقية السلام فرصة غير عادية لبلورة العوامل المؤسسية التي تؤثر على صنع السياسة الخارجية، التي درستها في المحاضرتين الرابعة والخامسة. وهذا الملحق - بناءً على ذلك - سيستعرض أولاً اتفاقية السلام نفسها ثم بعض الاعتبارات ذات الصلة الخاصة بالهندسة المعمارية الأوروبية، والاقتصاد العالمي والأمم المتحدة بهذا الترتيب.

اتفاقية السلام :

إن نص اتفاقية السلام، في الشكل الذي وزع على الأمم المتحدة^(١١) . بلغ عدد صفحاته ١٥٠ صفحة. وتتناول الملاحق للإطار العام للاتفاقية بالترتيب الجوانب العسكرية للتسوية السلمية، متضمنة إقامة قوة التنفيذ العسكرية المتعددة الجنسيات (IFOR (multinational Military Implementation force) ، والاستقرار الإقليمي، متضمناً انسحاب القوات الأجنبية وضبط التسليح، وخط الحدود داخل الكيان (أى الحدود بين جمهورية البوسنة والهرسك واتحاد البوسنة والهرسك وجمهورية الصرب) ، والمسائل المتصلة بها، والانتخابات، ودستور البوسنة والهرسك، والتحكيم، وحقوق الإنسان، واللاجئين والأشخاص المشردين، ولجنة المحافظة على الآثار الوطنية،

والهيئات العامة للبوسنة والهرسك، والتنفيذ المدني، وقوة الشرطة الدولية. وإن مجرد عناوين الملاحق المختلفة كافية لإعطاء فكرة عن تفاصيل وتعقيد الاتفاقية وعدد وتنوع أولئك المرتبطين دوليا بتنفيذها.

وتتبع الفكرة الأوضح لهذا الارتباط الدولي من خلاصات مؤتمر تنفيذ السلام الذي عقد في لانكستراهاوس في لندن في ٨ و ٩ ديسمبر ١٩٩٥^(١٢). والهدف من هذا المؤتمر هو تعبئة المجتمع الدولي لمساندة بداية جديدة لشعب البوسنة والهرسك وكان المؤتمر جيداً مثل اسمه. وقد تناولت الخلاصات بالتوالي: التنفيذ العسكري، متضمنا بالطبع المسألة الحيوية وهي إقامة قوة التنفيذ العسكرية المتعددة الجنسيات، والاستقرار الإقليمي، متضمنا إجراءات لبناء الثقة على غرار نموذج الاتفاقيات التي عقدت بنجاح في بلاد أخرى في أوروبا تحت رعاية منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE (Organisation for Security and Cooperation in Europe)، والتنفيذ المدني، وخاصة بالنسبة لإعادة إقامة أوضاع طبيعية في سراييفو، وتعيين مستر كارل بلديت، المفاوض الخاص للاتحاد الأوروبي "تمثل سام" معين طبقا لشروط اتفاقية السلام لتابعيتها، والهيكل الإدارية للتنفيذ الإداري، متضمنا مجلس تنفيذ السلام ١٩٥٢ (PIC (Peace Implementation Conference) وسيكون لهذا المجلس لجنة للتوجيه تحت رئاسة الممثل السامي ومكونه من ممثلين للدول الأعضاء في مجموعة السبع المكونة من الدول الصناعية الكبرى، وروسيا، والاتحاد الأوروبي، والمفوضية الأوروبية والمؤتمر الإسلامي، والمساعدة الإنسانية، واللاجئين والسجناء، متضمنة المنسوب السامي للاجئين ووكالات الأمم المتحدة وبرامجها الأخرى، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، وعدد من المنظمات غير الحكومية وحقوق الإنسان، ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا التي عهد إليها إعداد الانتخابات والإشراف عليها، ومتضمنة أيضا مجلس أوروبا وجهاز حقوق الإنسان بالأمم المتحدة، وإعادة الإعمار حيث أصبح البنك الدولي والمفوضية الأوروبية في المقدمة ولكن بمشاركة صندوق النقد الدولي، والبنك الأوروبي لإعادة التعمير والتنمية (EBRD (European Bank for Reconstruction and Development) وعدد من منظمات الأمم المتحدة أيضا.

اتفاقية السلام وهندسة المعمار الأوروبية :

لم يثبت أن هناك مصدرا أكبر يتسبب فى صعوبة بناء أوروبا المستقرة والمزدهرة بعد نهاية الحرب الباردة، أكثر من انهيار يوغوسلافيا السابقة ونشوب حرب مبريرة على أراضيها.. وبالتساوى، فإنه لا يوجد شىء يمكن أن يسهم بشكل أكبر فى تحقيق هدف الاستقرار والازدهار الأوروبى أكثر من التنفيذ الناجح لاتفاقية السلام. ولن يأتى هذا بفوائد كبيرة فى حد ذاته فحسب. بل إنه سيلهم الثقة فى المدخل الذى تم تبنيه. وهذا المدخل قد تم تصميمه بشكل يدعو للإعجاب. أولا : تم منح منظمة الأمن والتعاون فى أوروبا تفويض واضح ومهم بالنسبة للاستقرار السياسى فى البوسنة والهرسك، وخاصة فيما يتعلق بالإعداد والإشراف على الناخبين. وقد سبق أن أشرنا إلى النقد الموجه إلى منظمة الأمن والتعاون فى أوروبا لفشلها فى التعامل مع الموقف فى البوسنة . ويوجد الآن احتمال أن هذه المنظمة يمكن أن تنجز الدور الذى تصوره لها مؤتمر باريس عام ١٩٩٠ بأنها المنتدى المركزى للاستشارات السياسية فى أوروبا الجديدة .

ثانيا : إن عمل مجموعة الاتصال وإقامة قوة التنفيذ العسكرية المتعددة الجنسيات هما مثالان على الطريقة التى يمكن بها جذب روسيا إلى التعاون المثمر مع الغرب. والصعوبات حول التوسع فى حلف الأطلنطى والاتحاد الأوروبى باقية، ولكن التنفيذ الناجح لاتفاقية السلام يمكن أن يساعد فى بناء الثقة بين روسيا والغرب.

ثالثا : وجد حلف الأطلنطى دوراً كبيراً ولكنه محدد بشكل جيد. وهو دور منشط لحلف الأطلنطى نفسه. ففي اجتماعه الوزارى فى بروكسل فى ٥ ديسمبر تحدث مجلس شمال الأطلنطى عن استعداداته لتنفيذ الجوانب العسكرية لاتفاقية السلام تحت قيادة حلف الأطلنطى وبمشاركة الدول الأخرى. وهذا يؤكد الدور الرئيسى للتحالف فى ضمان السلام والاستقرار فى أوروبا ... وأن تماسك التحالف وتضامنه أمران جوهريان لى يقوم حلف الأطلنطى بوظائفه الأساسية وكذلك القيام بعملية من هذا النوع^(١٣).

رابعا : إن مشاركة الولايات المتحدة الرئيسية، ليس فقط فى تحقيق اتفاقية السلام ولكن أيضا فى تقديم قوات على الأرض، وهو شىء مختلف عن القوات الجوية أو البحرية، كما حدث فى مرحلة سابقة، وهو ما يعد أمراً مهماً جداً، بالنسبة للعلاقات

عبر الأطلنطي بوجه عام. إن جدول الأعمال عبر الأطلنطي وخطة العمل الأمريكية الأوروبية المشتركة (التي وقعها الرئيس كلينتون والاتحاد الأوروبي في مدريد في ٢ ديسمبر) تغطي مجالاً واسعاً جداً من المسائل في الميادين السياسية ونزع السلاح والشئون الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية. وهي تتم عن إدراك أعظم بمدى حاجة المشكلات العالمية إلى التعاون عبر الأطلنطي. وتشكل اليوسنة والهرسك حالة مهمة في هذا المجال.

خامساً : لقد نجح الاتحاد الأوروبي في أن يضع المسائل التي كان يتردد بشأنها أو يختلف عليها حول التقدم للأمام وتجاوز معاهدة ماستريخت في منظور أكثر إيجابية نتيجة للدور الرئيسي الذي استدعى لتأنيته في تنفيذ اتفاقية السلام. وهناك جانبان يتعلقان بذلك وهما تعيين مفاوض أوروبي وهو مستر كارل بلدت، باعتباره ممثل سام، وإقامة علاقات تعاقدية مباشرة وحركية بين اليوسنة والهرسك والاتحاد الأوروبي داخل إطار مدخل إقليمي، وهذا ما جاء في خلاصات مؤتمر تنفيذ السلام في لندن في ٨ و ٩ ديسمبر. فخلاصات الرئاسة التي صدرت بعد مؤتمر المجلس الأوروبي في مدريد في ١٥ و ١٦ ديسمبر (والتي نوقشت في نهاية المحاضرة السابقة) توحى بقدر من الثقة والغاية، وهو ما كان غائباً، بينما كان الموقف في يوغوسلافيا السابقة سلبياً في كثير من المناقشات والإحباطات داخل الاتحاد.

سادساً : إن اتفاقية السلام لها أهمية قصوى بالنسبة لتطور الدور الدولي لألمانيا، سواء بشكل فردي أو باعتبارها جزء من السياسة الخارجية والأمنية للاتحاد الأوروبي. لقد لعبت ألمانيا دوراً في غاية النشاط في المفاوضات المؤدية إلى اتفاقية دايتون. وباعتبارها جزء من قوة التنفيذ العسكرية المتعددة الجنسيات، فإن القوات الألمانية ستربط في الخارج لأول مرة في دور له مثل هذه الطبيعة. وهذه القوات لن تكون في اليوسنة فعلاً، وإنما في كرواتيا. ولقد كان هناك إجماع على ذلك بين مختلف الطوائف السياسية في ألمانيا.

وأخيراً، إن الأبعاد الخاصة بسلوك السياسة الخارجية للولايات المتحدة قد تكون عميقة. فخلال حملة الانتخابات الرئاسية عام ١٩٩٢، ركز الرئيس كلينتون بشدة على ما اعتبره تركيزاً في غير محله للرئيس بوش على السياسة الخارجية على حساب المشكلات الداخلية. ولكن عملياً ركز الرئيس كلينتون بشكل متزايد على السياسة

الخارجية ولم يستطع إلا أن يقيم حملته لإعادة انتخابه عام ١٩٦٦ إلى حد ما على نجاحاته المتصورة في السياسة الخارجية. وفي النهاية فإن الاعتماد المتبادل العالمي سيجهز محاولات أية إدارة أمريكية للتخفيف من اهتمامها بالشئون الخارجية.

اتفاقية السلام والاقتصاد العالمي :

أوضحت المحاضرة الخامسة طبيعة الاقتصاد العالمي اليوم فيما يتعلق : "بالعولة الثانية". إن "العولة الأولى" بمعنى التجارة الموسعة في السلع والخدمات، والهجرة والاستثمار فيما وراء البحار هي من المظاهر البارزة للحياة منذ بداية هذا القرن. ومع هذا فخلال هذه الفترة، أصبح الاقتصاد العالمي من الأمور الأكثر تعقيدا إلى حد كبير، ويتضمن اندماج المسائل الاقتصادية والسياسية والأمنية والتكنولوجية والمعلوماتية والبيئية التي تتسم بقدر كبير من التعقيد. فالمتطلبات الملحة لاقتصاد العالم الحديث في هذه المرحلة الثانية للعولة قد ظهرت بشكل درامي في النتائج التي ترتبت على اتفاقية السلام الخاصة بالبوستة والهرسك.

لقد أظهرت صحة المدخل في جدول أعمال أمين عام الأمم المتحدة للسلام والتنمية (وهما يقدمان مثلا للمدخل للشئون العالمية الذي تم تبنيه في تقرير لجنة الحكم الرشيد العالمي). وهناك أربعة جوانب محددة لاتفاقية السلام تستحق الانتباه. الجانب الأول : هو مجرد تعدد "الفاعلين" ، فهناك عدد كبير من منظمات الأمم المتحدة وبرامج المنظمات الدولية الأخرى، واللجنة الدولية للصليب الأحمر والمنظمات غير الحكومية بالإضافة إلى الحكومات - التي تشترك في تنفيذ النصوص المعقدة للاتفاقية وهي في الوقت نفسه نصوص حيوية. ثانيا : إن الصلة الوثيقة بين المساعدة الإنسانية وإعادة الإعمار، وهي صلة تعتبر الآن حتمية في تناول مسألة الغوث من المعاناة وتنشيط التنمية. ثالثا : حاجة الجهات المانحة إلى التشاور عن قرب لتلبية الاحتياجات الهائلة للغوث وإعادة الإعمار. ولقد وضع البنك الدولي احتياجات البوستة من المعونة في حدود ٥ بلايين دولار أمريكي في السنوات الثلاث أو الأربع القادمة. وتنص نتائج مؤتمر لندن على أن اجتماعات الجهات المانحة المتكررة، تتطلب إنجاز مشاركة واسعة ومنصفة في جهود المعونة الدولية ،

وأخيراً وربما الأكثر مدعاهً للاهتمام، فإن النتائج أفردت لفرنسا بسبب رئاستها لمجموعة الدول الصناعية الكبرى السبع (G7) توراً تنسيقياً قوياً بوجه عام فى مجلس تنفيذ السلام. ولم يكن يخطر على بال الزعماء الذين أقاموا مجموعة الدول الصناعية الكبرى السبع منذ عشرين عاماً، أنها تتطور بحيث يعهد إليها المجتمع الدولي بمسئوليات تنفيذية من هذا النوع^(١٤). ولكن هذا المنطق لا مفر منه. فالهدف المعلن من مؤتمر تنفيذ السلام، كما سبق الإشارة إليه، كان تعبئة المجتمع الدولي خلف بداية جديدة لشعب اليوسنة والهرسك، وهو هدف لا يمكن إلا أن يتضمن بشدة الدول الأعضاء فى مجموعة الدول الصناعية الكبرى السبع.

اتفاقية السلام والأمم المتحدة :

لقد كان لاتفاقية السلام نتائج بعيدة المدى بالنسبة للأمم المتحدة. وكانت السلطة الدولية النهائية بل والمباشرة لعقد الاتفاقية قد تعززت حيث إن مجلس الأمن كان يعمل طبقاً للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة. وقد أوضح ذلك بجلاء قرار مجلس الأمن ١٠٣١ (١٩٩٥) الذى تمت الموافقة عليه فى ديسمبر ١٩٩٥^(١٥). والحقيقة أن الأمم المتحدة قدمت الإطار لاتفاقية الإطار. وتمثلت حقائق السلطة فى دور مجموعة الاتصال تحت قيادة فعالة للأمم المتحدة. وهذا مثال للنقطة التى أثارها سير شارلز ويستر Charles Webster منذ خمسين عاماً بأن الميثاق يمثل تحالفاً للقوى الكبرى مستنداً على منظمة عالمية. وفى الوقت الذى تستطيع فيه القوى الكبرى أن تعمل بفاعلية اليوم بعد ما أحدثته الحرب الباردة من طريق مسدود، فإن هذه القوى تحتاج إلى مساندة لا يمكن لغير منظمة عالمية أن تقدمها.

ثانياً : إن الانخراط المستمر لأمين عام الأمم المتحدة ونظام الأمم المتحدة على أساس عريض، أمر جوهرى على الصعيدين العملى والسياسى. وبالتحديد، فإن أمام الأمم المتحدة الكثير لتقوم به فيما يتعلق بشرق سلوفانيا ومقدونيا. كما أنه من الحيوى أيضاً أن يتماسك الائتلاف السياسى الذى جعل اتفاقية السلام أمراً ممكناً. وسيقوم مجلس الأمن بمراقبة الأحداث عن كثب. ومن المثير للانتباه أن نصف الوحدات

التي تشكل قوات قوة التنفيذ العسكرية متعددة الأطراف ستكون من دول ليست أعضاء في حلف الأطلسي. كما أن العمل الذي كانت الأمم المتحدة وغيرها يقومون به في الماضي، في ظروف صعبة وأحياناً خطيرة، يمكن أن يطويه النسيان. إن شجاعتهم وتضحياتهم هي جزء من الخلفية للاتفاقية الحالية. وفي بداية عام ١٩٩١ كان للأمم المتحدة ٦٠ مراقباً في يوغوسلافيا السابقة. وانخراطهم أدى في النهاية إلى ارتفاع عددهم إلى ١٦٠٠٠ جندي. ولقوة التنفيذ العسكرية متعددة الأطراف ٦٠٠٠٠ جندي مسلح، وهم مكلفون بتنفيذ اتفاقية أسهمت فيها كل الأطراف، بدلا من محاولة حفظ السلام وسط اضطرابات، وهو ما كان مصير قوة الحماية في يوغوسلافيا السابقة التابعة للأمم المتحدة UNPROFOR .

ثالثا : تؤكد اتفاقية السلام أهمية المسؤولية الإقليمية داخل إطار الأمم المتحدة، وهي نقطة فاصلة للأمم المتحدة منذ البداية. وإن السؤال عن المدى الذي ترغب فيه الأمم المتحدة أن تعهد بالمسؤولية إلى الهيئات والتحالفات الإقليمية هو سؤال يأخذ في الاعتبار الجوانب العالمية للاعتماد المتبادل. وفي حالة أوروبا، فإن المنطقة تشمل، كما سبق أن ذكرنا، الولايات المتحدة الأمريكية وكندا كما تشمل روسيا بأكملها. والانخراط الدولي المتزايد لليابان يجعلها جزءاً "واقعيّاً" *de facto* من المنطقة الأوروبية بشكل متزايد.

رابعا : إن التنفيذ الناجح لاتفاقية السلام لليوسنة والهرسك سيكون له قيمة كبيرة كسابقة لعمل الأمم المتحدة في مواقف الصراع داخل الدول، وهو أمر مختلف عن الصراع بينها. وهناك مجموعة من المآزق المحيطة الناشئة عن العزوف المتوطد عن التقاطع مع السيادة الوطنية. والمادة الثانية (بند ٧) من الميثاق احتوت على نفوذ قوي. فكما لاحظنا من قبل، فإنه الاحتمال بأن يتم التقدم للأمام بتعديل الميثاق هو احتمال أقل من استخدام السوابق الفعالة. فالأمم المتحدة ستتعلم بالعمل والعمل الجيد. من سراييفو إلى سراييفو؟

لقد سبق أن أشرنا إلى الفكرة التي طرحت بأن القرن العشرين يمكن اعتباره بأنه قد بدأ وانتهى في سراييفو. أي انه بدأ في ٢٨ يونيو ١٩١٤ باغتيال ولي عهد العرش النمساوي المجرى في سراييفو، مما أدى إلى نشوب الحرب العظمى

والتي انتهت إما فى إبريل ١٩٩٢، عندما قام صرب البوسنة بحصار سراييفو بنية "خنقها"، أو فى ١٤ ديسمبر ١٩٩٥، عندما وقعت اتفاقية السلام الخاصة بالبوسنة والهرسك فى باريس بكل ما يتعلق بالعاصمة سراييفو، وأبرز ذلك رفع الحصار الذى دام أكثر من ثلاث سنوات، ويصرف النظر عن أى من المؤشرات تبدو مناسبة أكثر من غيرها، فمن الواضح أن تفكك يوغوسلافيا السابقة قد مثل مرحلة جديدة من العلاقات الدولية، أبعثت "الدبلوماسية الجديدة" أكثر عن "الدبلوماسية القديمة". فالملاحم المؤسسية اليوم، التى تلعب دوراً مهماً فى إدارة العلاقات الدولية، تختلف اختلافاً كبيراً عن ملاحم القرن التاسع عشر.

إن المتشككين يمكن أن يشيروا بارتياح إلى الجزء الذى لعبته القوة سواء فى تفكك يوغوسلافيا السابقة وفى الترتيبات التى تعلق عليها الآمال لاستعادة السلام. ومع الأمل المخلص فى أن التغييرات فى النظام الدولى يمكن أن تحدث فوراً وبلا معاناة، استجابة للتغيرات فى الاحتياجات الدولية، فإن التاريخ لا يوحى بأن هذه الأمنية يمكن أن تتحقق. فنظام الدولة - الأمة الذى وصلت فيه "الدبلوماسية القديمة" إلى ذروته، قد ظهر إلى الوجود من رحم حرب الثلاثين عاماً التى اتسمت بالقسوة الشديدة والتدمير. لقد ولد ميثاق الأمم المتحدة من أعظم حرب فى التاريخ، ولم تكتشف الإنسانية بعد كيف تنتج الطاقة والقدرة على الإبداع والتعاون فى مرحلة ما بعد الحرب بدون أن تمر أولاً بويلات الحرب. إلا أن الدبلوماسية، باعتبارها وليدة زمانها، ينبغى مع ذلك أن تسعى إلى مزايا التعاون مع السعى لتجنب ويلات الحروب.

(٧)

صنع السياسة الخارجية

لقد حان الوقت لقليل من المراجعة النهائية. فاهتمامنا لا ينصب على تحليل العلاقات الدولية فحسب، وإنما ينصب أيضا على عمل الدبلوماسية. ويتمثل لب العمل الدبلوماسي في ممارسة الحكومات للسلطة في المكون الدولي للحياة الوطنية. فالدبلوماسيون يجب أن يكونوا قادرين على الإسهام في تشكيل السياسة الخارجية وفي تنفيذها. فلا بد أن يكونوا متمكنين من السياسة الخارجية، بمعنى تمكنهم من الجوانب الاستشارية والتنفيذية للعمل الدبلوماسي. والهدف من هذه المحاضرات هو ابتكار إطار فكري يساعد على خلق هذه المقدرة. إن الجوهر والعملية يمتزجان بشكل معقد للغاية. وعلينا أن نفكر في أبعاد عديدة في وقت واحد. ومن الضروري أن نحفظ بعدد كبير من الأشياء في مقدمة وليس في مؤخرة عقولنا.

ومن المفيد أن نميز - بشكل تعسفي إلى حد ما بالضرورة - بين أنواع مختلفة من المكون الذي يتألف منه الإطار ثم ندرسها بشكل منفصل، وهذه الأنواع هي العناصر التحليلية لتصل إلى فهم ما يواجهه الدبلوماسيون، والسمات المؤسسية لتمكينهم من اكتساب الإلمام بالساحة التي يعملون بها، والعوامل التنفيذية، لتسليحهم بالمهارات التي يستخدمونها لكي يكون عملهم فعالاً، جماعياً وفردياً. لقد فحصنا بعناية حتى الآن العناصر التحليلية في المحاضرات الرابعة والخامسة والسادسة. وإذا تحولنا إلى العوامل التنفيذية، فإننا نحتاج إلى أن نعود إلى مضمون الجوهر في المحاضرات السابقة، على أن يكون المدخل إليها من وجهة النظر التنفيذية أو الفنية وليس التحليلية أو المؤسسية. ومن الملائم أن نتبع المدخل بتسلسل هرمي، أي بنظام تدريجي من

العوامل ذات الصلة على المستوى الوطنى أو الحكومى، إلى العوامل التى تطبق على الدبلوماسيين بشكل جماعى، عندما تنظم فى خدمات دبلوماسية محترفة، حتى تصل إلى تلك المتعلقة بالكفاءة والفاعلية للدبلوماسى الفرد. وهذه المحاضرة، طبقاً لذلك، ستتناول صنع السياسة الخارجية على المستوى الوطنى. وستعالج المحاضرة الثامنة منظمة الخدمة الدبلوماسية، وستركز المحاضرتان التاسعة والعاشره على المهارات الدبلوماسية الشخصية.

العوامل التنفيذية والفنية فى صنع السياسة الخارجية

من الواضح أنه فى نشاط مثل الدبلوماسية، حيث الجوهر والعملية ممتزجان بشكل معقد، تكتسب العوامل التنفيذية والفنية أهمية قصوى. ومع هذا فإن التحليل المفيد يتوقف على الاعتراف الكامل بصعوبة عزل تلك العوامل عن جوهر الأحداث والسياسات ذات الصلة بها. وسنختار سبعة جوانب، مع استخدام الدرجة المعتادة من الاختيار التحكمى :

(أ) استعراض أساسيات الموقف الوطنى التى يجب أن تستند إليها السياسة الخارجية،

(ب) نظرة عن كُتب إلى قائمة "الفاعلين" فى عملية صنع السياسة الخارجية،

(ج) دور وسائل الأعلام، بصفتها فاعلاً ومنشئاً للمسرح الذى تقع فوقه الأحداث،

(د) الرأى العام باعتباره عاملاً فى عصر الرجل العادى والمرأة العادى.

(هـ) كيف يمكن للخدمة الدبلوماسية المحترفة أن تكون ملائمة (وهو موضوع عولج فى المحاضرة الثامنة بتفاصيل أكبر)،

(و) نطاق العمل المستقل ذاتياً الذى تقوم به الحكومات، على الرغم من كل القيود على حريتها فى المناورة،

(ز) العلاقة بين السياسة والاستراتيجية.

وتخلص المحاضرة ببعض الأمثلة عن السياسة الخارجية المستمدة من النصوص المنشورة.

(أ) أساسيات السياسة الخارجية

التعريف التقليدي لهدف السياسة الخارجية - كما سبق أن ذكرنا - هو أنه الارتقاء بسلامة وازدهار البلاد. وهاتان الصفتان - السلامة والازدهار - يضاف إليهما التسليم بأن السلامة يجب أن يكون لها الأولوية، على الأقل في المدى القريب. إن رائد علم الاقتصاد البريطاني آدم سميث لاحظ - كما هو معروف - في كتابه "ثروة الأمم" Wealth of Nations أن الدفاع أهم من الثراء. وفي أيام آدم سميث كان الفرق أوضح مما عليه الآن. وفي عالم اليوم القائم على الاعتماد المتبادل فإن المصطلحين يتطلبان تعريفاً أوسع، لأن التداخل بينهما كبير.

وفضلاً عن ذلك ففي ظل أحوال الاعتماد المتبادل الحديث، يتطلب التشكيل التقليدي لأهداف السياسة الخارجية بعض الشرح، ليس فقط فيما يتعلق بتعدد العلاقة بين الأمن والرفاهية، ولكن أيضاً بسبب اتساع الهوة الكبيرة بين نطاق وتنوع الانخراط فيما وراء البحار. وفي آخر تقرير وزارى، أعد جزءاً من خطط الإنفاق الحكومى للسنوات الثلاث القادمة، عدت وزارة الخارجية والكونولت (البريطانية) الأهداف الأساسية الخارجية للمملكة المتحدة كما يلي:

(١) تعزيز أمن المملكة المتحدة والأقاليم التابعة.

(٢) الارتقاء برفاهيتها.

(٣) تنشيط وحماية المصالح البريطانية والنفوذ البريطانى فيما وراء البحار.

(٤) حماية المواطنين البريطانيين فى الخارج^(١).

ويتضمن هذا الشرح إدراك "المسامية" porousness الدولية للوجود الوطنى اليوم. فحقائق الاقتصاد العالمى هى أنه إذا أرادت دولة ما أن ترفع من مستوى معيشتها، فلا بد أن تتخبط بدرجة أكبر فيما يحدث خارج حدودها. وهذا يتطلب بدوره مرونة أكبر وقدرة على التخيل من جانب صانعى السياسة الخارجية.

وتوجد أساسيات السياسة الخارجية فى الحقائق الأساسية للموقف الوطنى: الجغرافيا؛ والثروات المتوفرة سواء أكانت من صنع البشر أو الطبيعة؛ ومستوى النشاط

الاقتصادي ومستوى الاعتماد على مصادر من الخارج خاصة بالإمدادات وأسواق التصدير، والدخول في صفقات من أى نوع مع باقى العالم، والتعرض للضغوط الخارجية، من أى نوع أيضاً، والاتصالات والترتيبات بين الحكومات، سواء ثنائية أو إقليمية أو عالمية، والمشاركة فى عمل المنظمات الدولية، والتحالفات الرسمية والتعهدات بعقود، وباختصار، كما أوردنا فى مطلع هذه المحاضرات، فإن اهتمامنا منصب على الإجمالى العام للتأثير الذى تحدثه دولة على دولة أخرى، أو بالأحرى ما تحدثه حضارة من تأثير على حضارة أخرى، ويمتد ذلك إلى العلاقات الثقافية، والعقود الرياضية، وصناعة السياحة، والأزياء الحديثة للاستهلاك، والطاقت المتنوعة للشباب. والقائمة لا نهاية لها. والرسالة واضحة. فالسياسة الخارجية، إذا أريد لها أن تكون واقعية، يجب أن تستند إلى حقائق ارتباطات الأمة الدولية، مهما كانت متسعة النطاق وعسيرة الإدراك فى بعض الأحيان. وأن استجابة الدولة لحقائق ارتباطاتها الدولية هى المنطلق لصياغة السياسة الخارجية. والاستجابة ليست آلية أو "موضوعية" ببساطة. فالصالح الوطنى مكون من مزيج دقيق لما هو موضوعى وذاتى. والاستجابة ستكون عملياً نتيجة لعدد كبير من العوامل والتأثيرات داخل البلاد.

(ب) قائمة الفاعلين Players :

فى الأيام التى يكون فيها متسع من الوقت ويقبل فيها الاعتماد المتبادل، يمكن للحكومة أن تترك أمور السياسة الخارجية - إلى حد كبير - فى يدى وزير الخارجية. ولكن مثل هذه الأيام ولت الآن. فرئيس الحكومة لا يمكن إلا أن يكون منخرطاً بشدة يومياً. وقد أوردت مجلة الإيكونومست^(٧). أن زيارة مستر جون ميجور إلى لاهاي وبرلين فى ٧ و ٨ سبتمبر ١٩٩٤ كانت تمثل رحلته الخارجية رقم ٦٣، مع استبعاد العطلات، منذ أن تولى رئاسة الوزراء عام ١٩٩٠. وقد قضى كل أو بعض الأيام البالغ عددها ١٦٤ من مجموع ما قضاه فى منصبه وهو ١٣٨١ يوماً خارج المملكة المتحدة. ويجب أن نضيف إلى ذلك الوقت الذى قضاه فى الشئون الخارجية عندما كان فى بلده بما فى ذلك الحفوة بالزوار الأجانب ويوجد بعض الوزراء أن المكون الخارجى (فيما وراء البحار)

لمسئولياتهم الوزارية يمثل قدراً كبيراً، ليس فقط في الوزارات الواضحة مثل وزارة التجارة والمالية والدفاع، ولكن في وزارات أخرى أيضاً مثل الزراعة والنقل والعدل والشئون الاجتماعية والبيئة. وبالإضافة إلى عامل الانخراط المباشر لكل وزير بحكم طبيعة وزارته، توجد المسؤولية الجماعية للحكومات تجاه الشئون الخارجية فضلاً عن الشئون الداخلية وتجاه الاعتماد المتبادل الذي لا مفر منه. وأفضل مثال لحجم هذا الانخراط الجماعي يتمثل في قائمة تفضيلية لتشكيل لجان مجلس الوزراء البريطاني ولجانه الفرعية ابتداءً من سبتمبر ١٩٩٥^(٣). فهناك لجان، وجميعها تحت رئاسة رئيس الوزراء، مختصة بالدفاع والسياسة الخارجية، والخدمات المخابراتية، والدفاع النووي، وأيرلندا الشمالية. وبالطبع فإن وزير الخارجية والكومنولث عضو في جميع هذه اللجان. وبالإضافة إلى ذلك فإنه يرأس اللجنة الفرعية الخاصة بالمسائل الأوروبية. ووزراء الخارجية قد يكونون أعضاء في لجان أخرى ذات صلة أو لجان فرعية، أو تتم دعوتهم لحضور اجتماعاتها كلما كان ذلك ملائماً.

والبرلمان أيضاً لا يمكن إلا أن ينشغل بصنع السياسة الخارجية، وليس فقط بحكم سلطته التشريعية والانتخابية الأساسية، وإنما أيضاً لاهتمامه بالتطورات اليومية. وللجان الشئون الخارجية التابعة للبرلمانات الوطنية دور مهم جداً، وهو دور يأخذ أشكالاً مختلفة حسب الترتيبات الدستورية لكل بلد. وهناك مثال ملفت للنظر في هذا الصدد وهو الولايات المتحدة، حيث مبدأ فصل السلطات يجد تعبيراً معيناً في النص على أن رئيس الجمهورية لا يعقد معاهدات إلا بمشورة وموافقة مجلس الشيوخ. وقصة عصبة الأمم، التي سبق أن تعرضنا لها، والتي رفض فيها مجلس الشيوخ العصبة مع أنها من بنات أفكار الرئيس ويلسون، وهي أبلغ مثال في هذا الشأن. ونتيجة لانتخابات التجديد النصفى في نوفمبر ١٩٩٤، فإن السيطرة على الكونجرس انتقلت إلى الجمهوريين على الرغم من أن البيت الأبيض يحتله رئيس من الحزب الديموقراطي. وقد وضع بجلاء تأثير ذلك على تماهك السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

إن أهمية البرلمان في تشكيل السياسة الخارجية مرتبطاً طبيعياً بالطريقة التي يقوم بها البرلمان بعمله. وفي عدد من البلدان يطبق تقليد الحزبية الثنائية أو بالأحرى عدم الحزبية في التعامل البرلماني مع الشئون الخارجية. وهذا التقليد ليس شائعاً في

تناول الشئون الداخلية. فاللجان البرلمانية المهتمة بالشئون الخارجية قد تتمتع بوضع خاص نتيجة لذلك. ولكن بوجه عام يجب أن نتوقع أن الأحزاب السياسية ستلعب دوراً مميزاً في الشئون الخارجية، من خلال البرلمان وأيضاً على نطاق أوسع. ويمكن للأحزاب السياسية أن تكون ذات طبيعة مختلفة بشكل واسع. فقد تعكس تأثيرات دينية أو اجتماعية أو ثقافية أو قطاعية (زراعية مثلاً)، أو لغوية أو اثنية، فإذا كانت الأحزاب تقوم على قاعدة أعرس، فقد تشمل تحالفاً لمثل هذه التأثيرات بالتالي. وقد يكون تأثير هذه الأحزاب على تشكيل السياسة الخارجية هو انعكاس لثقلها في الشئون الداخلية، وللحاجة لأن تأخذ الحكومة في الاعتبار بشكل مناسب الضغوط التي تمارسها في الداخل، وكذلك أي اهتمام مباشر أو خبرة في مسائل معينة من السياسة الخارجية.

وجماعات الضغط من جميع الأنواع قد تسعى إلى تبني أو رفض بنود معينة من السياسة أو التشريع التي تهتمها، ويوجه عام فإن هذه الجماعات ستشغل نفسها بخلق مناخ ملائم للرأى. وهى لن تكون وحيدة فى هذه المهمة. فهناك حشد كبير من المنظمات غير الحكومية، وكثير منها منظمات خيرية، يمكن أن تؤثر بشكل جماعى أو فردى فى تشكيل السياسة الخارجية. كما أن الهيئات العلمية والاستشاريين الأفراد والاكاديميين قد يكون لهم ثقل كبير. والمصالح الاقتصادية قد تكون حاسمة، ولا يرجع ذلك ببساطة إلى وجهات النظر التي قد يصرح بها الناطقون بلسانها، وإنما أيضاً بسبب مجرد وجودها وتأثيرها الدولى. وقد تم من قبل إثبات أن التحويلات ما بين الشركات تمثل نسبة كبيرة من الصادرات المنظورة لعدد من البلدان. ويمكن للصفقات المالية الدولية أن تجرف السياسات الوطنية، كما يشهد خروج بريطانيا غير اللائق من آلية معدل الصرف الأوروبى فى سبتمبر ١٩٩٢ .

(ج) دور وسائل الإعلام :

كان لابد للثورة التي حدثت فى الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات أن يكون لها تأثير مهم على تشكيل السياسة الخارجية. ولكن هذا التأثير لا يشمل تهديداً قاسياً متزايداً فقط لمدى العمل الحكومى المستقل. بل إنه تطور مزوج، حيث التطورات فى التكنولوجيا يمكن إما أن تعزز نفوذ الحكومة أو تقلصه. وقد نشرت صحيفة التايمز

مقالة رئيسية فى أيامها الأولى سردت فيها الإجراءات فى البرلمان بشكل أسرع وأدق واشمل من أى شىء كان متوفراً. ولكن تاريخ الصحيفة لا يشير إلى أنها تنقاد بشكل مطلق لأولئك الذين فى السلطة. وهى تقدم التعليقات كما تقدم الأخبار، وافتتاحيتها أثبتت على مدى الزمن أنها تؤثر على الحكومات كما تؤثر على الرأى العام، كما يوحى اسمها الذى اشتهرت به وهو "الراعد" The Thunderer. وبعض الصحف الأخرى، التى هى اقل وقارا ولكنها تمتلك موارد وسلطات ضخمة فى مجالات الاتصالات، قد احتلت مواقع ذات نفوذ كبير دون مسئولية عن العواقب فى حالة تبنيها السياسات التى تدعو إليها. وهذا الوضع العام خلده الشاعر روديارد كبلينج Rudyard Kipling فى جملة استخدمها قريب له هو ستانلى بولدون Stanley Baldwin عندما أصبح رئيساً للوزراء وهى: "السلطة بلا مسئولية - هى امتياز تمتعت به العاهرات على مر العصور"^(٤). وقد سبق أن اقتبسنا حكم ماكولاي الساخر على المخبرين الصحفيين والسلطة الرابعة فى الدولة.

إن الاعتماد المتبادل فى ميدان المعلومات قد أتى بمشكلات جديدة فيما يتعلق بالشعور بالقلق من سلطة وكالات الأنباء العالمية الكبرى. فحتى أكثر المعلومات اعتماداً على الحقائق ومراعاتها للحيد السياسى قد تشوبها الشبهات لأنها تأتى من الخارج، وليس هناك مصدر داخلى يمكن به قياس مدى صحتها. ويمكن اعتبار أن الانتقاء من الكم الهائل من المعلومات المتاحة للمواد التى يمكن بثها هو نوع من الضغط. وأن الإعلان عن نظام اقتصادى دولى جديد فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى السبعينات، كما وصفناه فى المحاضرة الخامسة قد أعقبته ضغوط من أجل نظام دولى عالمى جديد حيث يطبق المدخل السياسى العريض نفسه. وهذا الاقتراح لم يحقق الجاذبية العالية نفسها، وأسهم فى تحفظات عن اليونسكو (منظمة التعليم والعلوم والثقافة التابعة للأمم المتحدة) أبدتها بعض الجهات الأنجلو سكسونية.

إن فكرة نظام معلومات جديد بمعنى تنظيم عالمى لتدفق المعلومات الدولية وارد جدا على جدول الأعمال، ليس مسألة سياسية بين الشمال والجنوب، ولكن لأن الاتصالات الدولية تمر بحالة انتقالية من عالم فيه المنافع محتكرة داخليا يمتلكها القطاع العام إلى مشروعات متنافسة يمتلكها القطاع الخاص، ويتم فيها تجاوز الحدود

الوطنية والصناعية. هذا هو أحد المجالات الجديدة للمسئولية التي على منظمة التجارة الخارجية أن تعالجها^(٥).

وفي الوقت نفسه فإن التطورات التي حدثت في الثمانينات والتسعينات قد ساعدت على أن تقوم بنور أكثر بروزاً، ليس باعتبارهم فاعلين فقط ولكن باعتبارهم مديرين للمسرح. فالبث التليفزيونى عن طريق الأقمار الصناعية، أصبح وسيلة لتغطية أنباء التطورات التي تقع فى شتى أنحاء العالم فى وقت حدوثها - أو فى الوقت الواقعى. وعندما هبطت قوات الولايات المتحدة الأمريكية على شواطئ الصومال باعتبارها جزءاً من عملية الأمم المتحدة الفاشلة هناك، فإن وسائل الإعلام أحيطت علماً مقدماً، فكانت فى انتظار هذه القوات. وقد أوضح الوزراء أنهم محاصرون بالسؤال كيف يكون رد فعلهم الفورى على تغطية التليفزيون للأحداث الجديدة المثيرة لدرجة أن ذلك يأخذ الأولوية أحياناً على معالجة الأحداث نفسها. وقد أشرنا فى المحاضرة الأولى إلى الاقتراح بأن شبكة بى إن إن CNN تعتبر واقعياً العضو السادس عشر (والدائم) فى مجلس الأمن.

ولا يمكن للرقابة إلا أن تقدم دفاعاً محدداً عن الحكومات التي ترغب فى أن تستفيد من ذلك. ويمكن فرض حظر على الصحف اليومية ويمكن التشويش على محطات الإذاعة، كما يمكن منع استخدام أطباق الأقمار الصناعية. ولكن فى نهاية الأمر فإن عالم الاتصالات والحاسبات الآلية لا يمكن استبعاده. وربما لم يؤد شىء إلى الإسراع بسقوط جدار برلين أكثر من الصور التليفزيونية التي تم بثها إلى برلين الشرقية من الغرب وتصوير أعداد غفيرة من اللاجئين من ألمانيا الشرقية الهارين إلى الغرب. ولم يعد من الممكن إخفاء عبث الجدار - الذى كان معروفاً فى لغة الشيوعيين بأنه "سور الشعب ضد الفاشية".

(د) الرأى العام باعتباره عاملاً فى عصر الرجل العادى والمرأة العادية :

أكدت المحاضرتان الأولى والثانية أن اهتمام الشعب بالشئون الخارجية وما يستتبع ذلك من انخراطه فيها، كان أحد الفروق الرئيسية بين "الدبلوماسية القديمة" و"الدبلوماسية الجديدة". ذلك أن نمو الاتصالات والتطورات المذهلة فى تكنولوجيا

المعلومات قد عززت من هذا الانخراط، والتقريب الأول في أية دراسة لدور الرأي العام يجب أن تراعى أنه ليس قيدياً كبيراً على حرية عمل الحكومات فحسب، ولكنه أيضاً مصدر للضغط على الحكومات لتبنى سياسات معينة. والرأي العام أيضاً سيمارس دوراً مشابهاً فيما يتعلق بأنشطة "الفاعلين" الآخرين في صنع السياسة الخارجية. وستحتاج الحكومات إلى أخذ ذلك في الحسبان، كعائق يجب التغلب عليه، فضلاً عن أنه مرشد أيضاً، للاحتتمالات في الانتخابات القادمة مثلاً. كما أن له استخداماته باعتباره ذريعة للإقدام على اتخاذ إجراء تعرف الحكومات أنه ضروري، ولكنها تعرف أيضاً أنه لن يلقى شعبية. وفي المواقف حيث العلاج الاقتصادي ضروري، فإن شروط صندوق النقد الدولي كانت تمثل حجة مريحة تلجأ إليها الحكومات لاتخاذ إجراءات غير شعبية، على أساس أن المساعدات لن تأتي إلا إذا تم اتباع وصفات صندوق النقد الدولي.

ولكن الجدل ليس من جانب واحد تماماً. فقد سبق أن ناقشنا أهمية تغلب القوة على الرأي. فالحكومات التي لديها وضوح رؤية وتصميم كاف ليس لديها شك في مدى ما يمكن للعالم الحديث أن يقدمه للتأثير على الرأي العام. ولقد كان الجنرال الألماني كلوزويتز Clausewitz هو الذي أبرز "مشاعر الشعب" في القرن التاسع عشر باعتباره عاملاً في السياسة الخارجية والحرب. فالاحتمال الكامن الموجود لتعبئة الإرادة الجماعية والاستعداد لتقديم التضحيات احتمال كبير جداً، مهما كان هذا العصر هو عصر الرجل العادي والمرأة العادية. وما لم يعد كافياً هو الافتراض بأن الرأي العام غير ذي أهمية. فالمرء أقل قابلية لأن يسمع اليوم ما كان على استعداد لأن يسمعه في سنوات مضت بالادعاء المشكوك في صحته بأنه لا يوجد مقابل في لغة أو أخرى لجملة "الرأي العام" وأن أقرب جملة إليها في الترجمة هي "الشعب الأحمق". ولم ينفع المنظرون العقائديون السوفييت مرور سبعين عاماً على الهندسة الاجتماعية المقررة. وفي النهاية تخلى عنهم "الشعب الأحمق".

إن المنطق الاقتصادي يفترض أنه كما هو واضح، لا بد أن هناك زيادة كبيرة في عرض المعلومات، وأنه لا بد أن تكون هناك زيادة في الطلب لإثارة هذا العرض أو معادلتها. والطلب لا بد أن يأتي من مكان ما، وهذا ليس أمر سلبياً تماماً، بمعنى أن سببه

التسويق الماهر. وتعتزف الحكومات بذلك، كما هو واضح من مدى تعاونها فى عرض المعلومات. وأحياناً يبدو أن هذه الحكومات تعتقد أن أى دعاية أفضل من عدمها. ويعتبر سلوك صرب البوسنة بالنسبة إلى أخذ الرهائن الذى لاقى تنديداً عالمياً، هو مثال مناسب. ولقد كان هناك أيضاً شىء غريب على العقلية التقليدية بشأن التسهيلات التى منحت لوسائل الإعلام الغربية فى بغداد والتى لم يفهمها نظام صدام عندما كانت الأمم المتحدة تطرد العراقيين من الكويت وتهاجم العاصمة العراقية باعتباره جزءاً من العملية.

(هـ) كيف يمكن للخدمة الدبلوماسية المحترفة أن تتوافق ؟

فى حالة "الفاعلين" فى مسرحية صنع السياسة الخارجية، ما هو دور الدبلوماسى المحترف؟ سألت إحدى الشخصيات فى مسرحية سيربيتر أوستتوف : "رومانوف وجوليتت": ما الفرق بين السفير وكبير السقاة؟ إن الإجابة التى قدمت أنه لا فرق بينهما، فيما عدا أن السفير يطلب منه أحياناً أن يجلس على المائدة. ربما يكون هناك وجه شبه بين رئيس الخدم The Butler ووضع الدبلوماسى المحترف، أو مدير نزل على الأقل، يقوم بدور المضيف لزواره من الوزراء وأعضاء البرلمان وغيرهم. ولكن أية محاولة من جانب السفراء أنفسهم للتقليل من أهمية دورهم تواجه خطر التفسير الخاطى باعتبار ذلك ذريعة للاستيلاء على حق الوزراء فى صنع السياسة. إن تقليل الآخرين من أهمية دور السفراء فى العصر الحديث القائم على الاعتماد المتبادل هو بالطبع أمر شائع، وإن كان ليس خالياً من التحيز. وحقائق الحياة الدبلوماسية تعطى ذلك بعض الصحة. ومع هذا فمن الغريب أنها تكون محل شكوك عميقة يضمورها كبار الموظفين فى مراكز القوة بوزارة الخارجية، على الرغم من أنهم يكونون هم أنفسهم غالباً نفس الأشخاص من أمثال السفراء الذين يقللون من شأنهم ولكن بطريقة مختلفة. ولا يمكن للمرء أن يكون بسهولة حيواناً أكلا للعشب فى الخارج وأكلا للحوم فى الداخل.

ومع هذا فإنه من الملفت للنظر ذلك التحول فى ميزان القوة بين الدبلوماسيين فى الخارج وبين زملائهم فى الداخل. وفى ظل "الدبلوماسية القديمة" فإن الدبلوماسيين المحترفين فى الخارج قد يكونون تنفيذيين مفوضين. والنور الاستشارى هو أقل تعقيداً.

حتى فى حالة الدبلوماسيين فى الداخل. والحقيقة أنه داخل بعض وزارات الخارجية، ومن بينها وزارة الخارجية البريطانية، لم يكن أحد يتصور أن يوجد ذلك قبل القرن العشرين. وفى ظل "الدبلوماسية الجديدة" فإن الدبلوماسى المحترف فى الخارج له أعمال عديدة: فهو خبير علاقات عامة، ومستشار مبيعات، ومحلل. ومتحدث رسمى، وصحفى، وكاتب عمود. وفى الداخل يعمل الدبلوماسى المحترف نفس الأشياء وفى نفس الوقت فإنه يتمتع بمكانة عامة رفيعة شاء أم أبى. ولكن لب هذه الواجبات المختلفة يتمثل فى العلاقة الوثيقة مع وزير الخارجية وغيره من الوزراء، الذين يرتبط الدبلوماسيون معهم بعلاقة ولاء خاصة، على عكس الفاعلين الآخرين فى العلاقات الدولية. والدبلوماسيون المحترفون لا يحتكرون الحكمة ولا المعلومات أو الأفكار. ولكنهم يتميزون عن "الفاعلين" الآخرين فى السياسة الخارجية فى أنه عليهم واجب أسمى فيما يتعلق بتقديم المشورة الدالة على الولاء وغير المتحيزة لوزير الخارجية وغيره من الوزراء، كما أن عليهم مسئولية فريدة تقريباً عندما يتعلق الأمر بتنفيذ السياسة التى سبق إقرارها.

(و) نطاق العمل المستقل ذاتياً :

إن تحليل الدور المميز للدبلوماسيين المحترفين فى صنع السياسة الخارجية يؤدى بشكل طبيعى إلى موضوع المحاضرة التالية، وهو مؤسسة الخدمة الدبلوماسية. ولكن قبل تناول الموضوع الأخير، من الضرورى النظر إلى سمتين أخريين من سمات صنع السياسة الخارجية، حيث دور الدبلوماسى المحترف له أهمية خاصة، أولاً فى النطاق الذى تخصصه الحكومات للعمل الفعال "المستقل ذاتياً"، وثانياً فى العلاقة بين السياسة والاستراتيجية، فالكفاءة فى الاستراتيجية تسهم بشكل أساسى فى فرص نجاح السياسة.

أما بالنسبة لنطاق الحكومات فى العمل المستقل ذاتياً، وهو مختلف عن رد الفعل للأحداث والضغوط، فإن القيود على حرية المناورة كما وصفناها فى محاضرات سابقة، وخاصة المحاضرة الثالثة هى قيود حقيقية بشكل كاف. وكما فى المصطلحات الوطنية

فإن تشكيل السياسة هو نتيجة لمختلف القوى التي تعمل على المسرح الوطني، ولهذا فإن حالة العلاقات الدولية فى أية لحظة معينة هى نتيجة الأنشطة التى يقوم بها أعضاء المجتمع الدولى، وهى حملة مصممة بحيث تشمل كلا من السياسات التى تتبعها الحكومات ومدخلات "الفاعلين" الآخرين وهى مدخلات ليست مهيكلة تماماً.

ورد الفعل الأول لفهرس القيود يمكن أن يكون التشاؤم بالنسبة لنطاق أية حكومة، ولكن رد الفعل الأقوى هو اتخاذ إجراء مستقل مهم لمعالجة الموقف الذى ينشأ. وحسن التدبير أمر جوهرى حقا. ولكن هناك مجال أيضا للإبداع والعزم. فالسياسة هى فن الممكن، وهى جملة ممكن تفسيرها بشكل سلبى بمعنى الإيعاز بالحذر، ولكن يجب أن ن فكر فيها بشكل إيجابى على أساس أنها حافز للنشاط الخلاق. وهذا حقا هو معنى "مقدرة السياسة" فالدبلوماسيون الخبراء فى عملهم يمكن أن يخلقوا الفرص حيث لا يكون هناك تفكير فى وجودها بغير ذلك. وهم يزيدون مساحة المناورة التى يتمتع بها وزراؤهم. ومع هذا فإن كثيرا من السياسة قد تكون نتيجة لضغوط متنافسة سواء فى الداخل أو الخارج، والفرق بين الحذر المبالغ فيه وبين السعى النشط المحسوب جيدا للمصلحة الوطنية فى الخارج قد يكمن فى مقدرة المحترفين على العمل بفاعلية، باعتبارهم فريقاً وباعتبارهم أفراداً على حد سواء.

(ز) السياسات والاستراتيجية :

هذا الإسهام المميز للمحترفين يكتسب أهمية فى التنفيذ الفعال للسياسات التى يتم تبنيها. ولنعد إلى التمييز الذى درج الناس عليه بين السياسة الخارجية والدبلوماسية: فالسياسة الخارجية تختص بما يجب عمله، أما الدبلوماسية فهى عن كيفية عمله. وللأسباب التى شرحناها من قبل فى هذه المحاضرات، فإن هذا التمييز يمكن أن يكون مضللا بسهولة. ولكنه مفيد كتحذير بأن هناك فرقا بين أن تكون هناك سياسة خارجية، وبين تنفيذها بشكل فعال. فتنفيذ السياسات بشكل فعال يتطلب استراتيجية كما يتطلب السياسات نفسها. والحقيقة أن السياسات بدون استراتيجية هو تناقض لفظى

تقريباً. وكلمة "السياسات" Policy مثل كلمات أخرى عديدة تستخدم في مجال السياسة Politics لها معانٍ عديدة، من بينها :

- الحصافة السياسية، أو فن الحكم أو الدبلوماسية.
- اتجاه في العمل تتبناه أو تتبعه حكومة ما أو حزب أو حاكم أو رجل دولة.
- اتجاه عمل حصيف أو بصير بالأمر.
- الحكمة أو الفطنة وسعة الحيلة باعتبارها صفات للممثل (الدبلوماسي).
- حيلة أو خدعة.

هذه السلسلة من التعريفات تؤكد أن أي تمييز سريع أو حاسم بين السياسات وبين تنفيذها هو تمييز غير واقعي. فالسياسات هنا تعنى اهتماماً وحرصاً في تشكيلها، لا يقتصر على التحليل والمضمون فحسب، وإنما يمتد أيضاً إلى الاعتبارات العملية المتعلقة بتنفيذها. ومرة أخرى، فإن الجوهر والعملية يمتزجان معاً بشكل مركب. والشئ نفسه ينطبق على السياسة الخارجية والدبلوماسية.

السياسة الخارجية : أربعة أمثلة :

يمكن توضيح الاعتبارات التي سبقناها في هذه المحاضرة بالإشارة إلى الوثائق الرسمية المتاحة للجميع. وكون أن هذه الوثائق قد تم نشرها لا يعني أن النصوص ذات الصلة تعرض المسائل بكل صراحة أو أنها تعكس بدقة الدوافع الحقيقية للحكومات التي أجازت نشرها.

ومع هذا، فإن النصوص مهمة جداً في فهم السياسة الخارجية كما أنها مهمة في صنع هذه السياسة. والتجربة تساعد الدبلوماسي على أن يسد الثغرات ليعوض أي تشويه للمسائل، أو حتى يخفيها، وهو ما قد ترى الحكومات التي أصدرت النصوص أنه أمر مرغوب فيه. ولا يتمثل أساس تفسير تصرفات الحكومات الأخرى في كلماتها ولكن في مصالحها. ودرجة المساءلة الديمقراطية للحكومات، ومن ثم الواجب الملقى

عليها للتصرف بمسئولية، قد يختلف من حكومة لحكومة . ولكن المصلحة الوطنية، فضلا عن المصالح الوطنية للأطراف الأخرى، هي التي فى النهاية ستفرض القيود على أى حرية فى المناورة من جانب الحكومات.

وهناك أربعة نصوص متعلقة بصنع السياسة الخارجية البريطانية يمكن أن تساعد فى توضيح المخاطر. النص الأول : حسب الترتيب التاريخي، هو مذكرة عن الوضع الراهن للعلاقات البريطانية مع فرنسا وألمانيا وقد كتبت عام ١٩٠٧ على يد أحد الدبلوماسيين البريطانيين وهو من ألمعهم فى القرن العشرين وأسمه آير كراو Eyre Crowe . والمذكرة الثانية : هى خطبة لوزير الخارجية والكونولت مستر مالكولم ريفكند Malcolm Rifkind فى "شاتام هاوس" Chatham House (المعهد الملكى للشئون الدولية) فى ٢١ سبتمبر ١٩٩٥ . والمذكرة الثالثة : خطبة الملكة فى افتتاح النولة للبرلمان فى ١٥ نوفمبر ١٩٩٥ . والمذكرة الرابعة : هى خلاصات الرئاسة Presidency Conclusions التى صدرت فى نهاية اجتماع المجلس الأوروبى فى مدريد فى ١٥ و ١٦ ديسمبر ١٩٩٥ .

(١) مذكرة آير كراو :

استجابة لما أبداه الملك إدوارد السابع من قلق حول "سياستنا المستمرة غير الودية تجاه ألمانيا" كتب آير كراو - الذى كان وقتئذ رئيس إدارة الشؤون الغربية بوزارة الخارجية البريطانية عام ١٩٠٦ - مذكرةً عن الوضع الراهن للعلاقات البريطانية مع فرنسا وألمانيا. والمذكرة سديدة الرأى وغنية بالمعلومات وقوية الحجة، على الرغم من أنها صنفت أصلا بأنها "سرية"، ثم نشرت بعد ذلك ونالت شهرة بسبب تحليلها للمصالح الحيوية للسياسة الخارجية البريطانية. إن الطابع العام للسياسة الخارجية لإنجلترا تحدها أحوال ثابتة متعلقة بموقعها الجغرافى على جانب المحيط المطل على أوروبا باعتبارها دولة على جزيرة ولها مستعمرات واسعة وأقاليم تابعة فيما وراء البحار. وقد تطلب البقاء على قيد الحياة وجود قوة بحرية متفوقة. ولكن هذا يستثير الغيرة والعداء من الدول الأخرى ما لم يمارس بحذر شديد. ومن ثم لابد للسياسة الوطنية أن توجه بحيث تتلاءم مع الرغبات العامة والمثل العليا التى يشترك فيها الجنس البشرى كله،

وأن تبدى اهتماماً بالمصالح الأساسية الحيوية لأغلبية الأمم الأخرى. وقد حدد كراو هذه المصالح بأنها الاستقلال وحرية التجارة. ولابد للسياسة البريطانية أن تساند استقلال الدول الصغيرة، ويجب على بريطانيا أن تقر بأنها العدو الطبيعي لأية أمة تهدد استقلال البلدان الصغيرة، وهذا يعنى معارضة أية دكتاتوريات سياسية لأقوى أمة أو دولة أو مجموعة دول فى أى وقت.

وكان كراو يشعر بالقلق بوجه خاص من التهديد المتزايد لألمانيا الإمبراطورية، ويوضح عداوتها لبريطانيا، ومن ثم بالحاجة إلى تقوية التفاهم مع فرنسا. وكان قلقه فى محله تاماً. وتعتبر المذكرة مقياساً قيماً لقياس السياسة للسنوات التسعين القادمة. وربما كانت السمة اللافتة للنظر لأية مقارنة بين ١٩٠٧ ومنتصف ١٩٩٠ هى مدى تطابق النتائج، حتى وإن كانت نقطة البداية الخاصة بالقوة النسبية لبريطانيا، من النواحي الإمبراطورية والسياسية والصناعية، مختلفة كل الاختلاف. فالاعتماد المتبادل قد حل محل الهيمنة فى توجيه السياسة البريطانية نحو إظهار الاهتمام بالمصالح الأساسية الحيوية لغالبية الأمم الأخرى.

(٢) خطبة مستر ريكفيند فى شاتام هاوس فى ٢١ سبتمبر ١٩٩٥ :

تعتبر خطبة وزير الخارجية والكومنولث فى المعهد الملكى للشئون الخارجية (شاتام هاوس) فى ١٢ سبتمبر ١٩٩٥ لها أهمية خاصة لأنها أهم إعلان عن السياسة الخارجية منذ تولى منصبه من شهرين. وهى عرض عميق وموجز للسياسة الخارجية البريطانية وتستحق الدراسة المتأنية.

وكان منطلق مستر ريكفند القول المأثور عن لورد بلمرستون Lord Palmerston الذى كان وزيراً للخارجية ثم رئيساً للوزراء فى أوائل ومنتصف القرن التاسع عشر، كما كان مؤيداً كبيراً لمبدأ توازن القوى فى الوقت الذى وصلت فيه بريطانيا إلى ذروة قوتها الدولية النسبية، والذى قال : إن المحافظة على المصالح البريطانية يجب أن تكون الهدف الوحيد لوزير الخارجية البريطانى. وتتمثل المهمة فى التعرف على هذه المصالح ثم التفكير فى كيفية المحافظة عليها على أحسن وجه. أما فيما يتعلق بالمصالح البريطانية،

فإن مستر ريفكند أعطى الأولوية لأمننا الإقليمي والحفاظ على السلام في أوروبا. أما مصالح بريطانيا الأوسع فيما وراء البحار فهائلة : مثل روابط فريدة مع ٥٠ دولة من نول الكومنولث، ومسئوليات معينة لأربعة عشر إقليم تابع حول العالم، و ٦, ٨ مليون مواطن بريطاني يعيشون في الخارج، والجزء الكبير من إنتاجنا الذي يتم تصديره، وإجمالي الأصول فيما وراء البحار والتي تزيد على ١, ٤ تريليون جنيه إسترليني، واستثمار على نطاق واسع موجه للداخل، ودور بريطانيا باعتبارها مركز مالي. وقال مستر ريفكند - "بلهجة عكست قلق كراو بالنسبة لاهتمام بريطانيا بالمصالح الأساسية الحيوية لغالبية الأمم الأخرى" - "إن هذه الاعتبارات تجعلنا نهتم أكثر من معظم الدول بالاستقرار السياسي، وحرية التجارة وحرية المرور في كل أنحاء العالم ... ويحتاج الاستقرار السياسي أيضا حكماً رشيداً وتأكيداً مناسباً لحقوق الإنسان الأساسية. ولدينا مصلحة أدبية وعملية في إعلاء قيم الديمقراطية الليبرالية".

وتحول مستر ريفكند إلى السؤال عن أفضل الطرق للمحافظة على مصالح بريطانيا، فشد على أن الدولة الأمة تبقى اللبنة الأساسية في بناء النظام الدولي. ويجب أن تعكس إدارة السياسة الخارجية هذه الحقيقة. ولكنها يجب أن تعكس أيضاً "الحقائق العالمية الجديدة" مثل وسائل الإعلام الإلكترونية وضرورة بذل "جهد إعلامي جماهيري مؤثر ليواكب النشاط الدبلوماسي"، وحماية البيئة والتي لا علاقة كبيرة بينها وبين الحدود الوطنية، والسوق العالمية.

وعلق مستر ريفكند بأنه في هذه الظروف، فإنه لا توجد أمة يمكن أن تبني مصيرها بمفردها، كما قال الرئيس كينيدي. " فالأمر يجب أن تعمل معا أكثر للدفاع عن أمنها ورخائها وبيئتها". ولم يعد توازن القوى مدخلا عمليا. "فتجربتنا المشتركة في الدخول في حربيين أوروبيتين في هذا القرن قد أقنعتنا جميعا بأننا لا يمكن أن نعود إلى العداوة والتحالفات المتغيرة والصراع الدوري، وهو ما اتسم به معظم تاريخنا المشترك"^(١). ومع هذا، لم يكن الأمر أن البديل الوحيد للمحافظة على توازن القوى هو سياسة خارجية واحدة يشارك فيها الجيران والشركاء. فلا يجب أن نتجاهل مصالح وطنية مهمة من أجل أن نقيم توافق آراء مصطنع، أو وحدة زائفة، تفتقد المصداقية أو القناعة. ويعلق مستر ريفكند بأن هذا يتعلق بالجدل حول مستقبل الاتحاد الأوروبي ودور بريطانيا فيه. فلقد تم التعبير مراراً عن فقد بريطانيا لنفوذها إذا لم تنضم إلى منطقة

التكامل التي توصل شركاؤنا في أوروبا إلى أنها مرغوبة. وكان التأخير الطويل في انضمام المملكة المتحدة للجماعة الأوروبية أمراً وارداً. ولكن لا يجب المبالغة في الجدل. فعلى الرغم من أن تزايد النفوذ يعتبر من نسيج الحياة الدبلوماسية، إلا أنه ليس هدفاً في حد ذاته. فأحياناً قد يكون من الملائم قبول فقدان النفوذ إذا كان ذلك هو الوسيلة الوحيدة لحماية المصالح.

ومهما كان سياق ما استريخت المباشر وثيق الصلة بذلك، فإن التمييز الذي رسمه مستر ريفكند بين النفوذ والمصلحة هو غالباً أقل وضوحاً في المساحة العالمية لانخراط بريطانيا الدولية. فعندما يتم تعريف مصالح بلد ما بالأسلوب الواسع نفسه الذي استخدمه مستر ريفكند، يصبح واضحاً أن وسيلة المحافظة على المصالح ستشمل الإقناع والنقاش، بل وتقديم القنوة، فضلاً عن التفاوض. وإلى هذا الحد لا يوجد تناقض بين النفوذ والمصلحة؛ فالاثنتان ممتزجان بشكل وثيق. وكما لاحظ مستر ريفكند فإن تزايد النفوذ يعتبر من نسيج الحياة الدبلوماسية. وليس من مصلحة بريطانيا السعي لفرض آرائها على الآخرين، أو الحكم عليها بأنها تسعى لذلك. ولكن من مصلحتها أن تقنع الآخرين بصحة سياستها. وهناك شعور بأن التحليل الواضح المسئول من جانب بلد ما لمصالحها وتبنيها سياسات تتفق مع هذا التحليل - أي إظهار المقدرة على اتباع سياسة خارجية سليمة - سيؤدي في حد ذاته إلى الحصول على نفوذ في الخارج. وبالتوازي فإن أية محاولات لبسط نفوذ بأساليب لا تتفق مع تقدير واقعي للمصلحة الوطنية، لن تنجح على المدى القصير على الأرجح، ناهيك على المدى الطويل.

وتصور خطبة مستر ريفكند بجلاء نطاق المسائل التحليلية والسمات المؤسسية التي ناقشناها في المحاضرات السابقة. وهي تعكس سلسلة من الغزوات للمشهد الأمامي السياسي والتجاري والإمبراطوري الذي كان مأوفاً لدى كراو. وهذه الخطبة تواجه حقائق المجتمع الدولي اليوم والحدود التي تقف عندها السيادة الوطنية. كما تؤكد الدور المحوري ومدى قصور الأمم المتحدة. وهي تنغمس في الاقتصاد العالمي، وتستخدم بعض الإحصاءات التي تلقى أضواءً على مدى انخراط بريطانيا في الاقتصاد الدولي. وهي تؤكد الأهمية الحيوية للهندسة المعمارية الأوروبية فهي نقطة رئيسية لمرجعية المناقشة في المحاضرات التالية الخاصة بتنظيم الخدمة الدبلوماسية المحترفة واكتساب مهارات دبلوماسية شخصية.

(٣) خطبة الملكة فى افتتاح البرلمان، فى ١٥ نوفمبر ١٩٩٥ :

فى كل عام تفتتح الدورة البرلمانية بخطبة للملكة تضع فيها خطة الحكومة للعام القادم. ونص خطبة الملكة فى ١٥ نوفمبر ١٩٩٥ يتضمنها الملحق الرابع. وكانت المناسبة مثيرة لاهتمام كبير على الأقل بالنسبة لثلاث جهات نظر: إشارات فيما يتعلق بنوايا الحكومة للعام القادم، ونفاذ البصيرة عن توقعات الحكومة لما يمكن أن تنفذه، وما تقدر عليه من تباين بين السوابق المراسمية وحقائق السلطة. أولاً، الإشارات. إن أكثر من نصف النص الموجز يتعلق بالشئون الدولية. وهو ملخص مفيد للسياسة الخارجية الراهنة للمملكة المتحدة. وعلى الرغم من أنه مصاغ فى عبارات عامة، فإنه يقدم للقارئ الفطن الواسع الاطلاع فكرة طيبة عن المسائل المحددة التى ستتناولها الحكومة. وغياب أى إشارة لأى موضوع معين هو دليل على أن الموضوع إما غير مفيد أو غير مناسب لأن يحتل أولوية فى الاهتمام.

والبرنامج التشريعى الذى احتوته خطبة الملكة لا يستند كثيراً على ما تهتم به الحكومة أو تعتقد أن الجمهور يهتم به، إلا أن له أهمية جوهرية، كما هو الحال بالنسبة لإمكانات ضمان الأصوات الضرورية وتوجيه مشروعات التشريعات لى تكتمل بنجاح. والتوازن بين ما يريد المرء أن يفعله وما يمكن أن يحققه، وهو ما تمت الإشارة إليه فى بداية المحاضرات، واضح تماماً. فالمزج الحتمى بين الجوهر والعملية تم إيضاحه بشكل محدد. ومهمة الحكومة تسيطر عليها الحاجة إلى أن مشاريع القوانين التى تقدمها لا بد أن يتم الموافقة عليها فى دورة (برلمانية) واحدة. وكلما اقتربت الدورة من الانتخابات العامة، كلما كان من المهم اختيار مسودة التشريعات. وإذا عقدت انتخابات عامة خلال الدورة البرلمانية، فإن كل تشريعات الحكومة التى لم تكتمل تسقط بشكل آلى.

إن الاحتفالية نفسها تتيح نوعاً من التباين مع الواقع الذى تمثله. وقد أعدت الحكومة بالطبع خطبة صاحبة الجلالة الموجهة إلى مجلسى البرلمان. وتتوجه الملكة إلى البرلمان فى مركبة رسمية وتتجه إلى مجلس اللوردات. ويتم استدعاء أعضاء مجلس العموم الأقل مرتبة إلى مجلس اللوردات ويقفون باحترام عند مدخل القاعة التى ستلقى فيها الخطبة على اللوردات الجالسين على مقاعدهم. وأية صعوبات صوتية تخفف

بسبب الإلمام بالنص الذي تعرفه الحكومة وأيضا أنصار الحكومة والمعارضة، بسبب تسريبه إلى وسائل الإعلام، إن لم يكن بسبب التصريح بملخص له. وأية فقرة في خطبة جلالة الملكة تتعلق بالإنتفاق توجه إلى مجلس العموم فقط. فاللوردات ليس لهم اختصاص بأمر الضرائب. والاحتفال بوجه عام ليس انعكاسا للسلطة بقدر ما هو تذكير لطيف لأولئك الذين تم انتخابهم بأنهم لم ينتخبوا للأبد.

(٤) النتائج الرئاسية الصادرة في نهاية اجتماع المجلس الأوروبي في مدريد في ١٥ - ١٦ ديسمبر ١٩٩٥ :

يجتمع رؤساء الدول أو الحكومات الأعضاء في الاتحاد الأوروبي كل ستة أشهر في المجلس الأوروبي لاستعراض ما تحقق من تقدم ووضع خطة المستقبل. ونتائج هذه الاجتماعات تقدم إلى العالم على شكل نتائج رئاسية، أى فى شكل خطاب يلقيه ممثل الدولة التى تتولى الرئاسة وقتئذ وبالتالي ترأس الاجتماع. والنتائج الرئاسية غالباً ما تكون مطولة وتعكس الكم الهائل للأعمال، وبعضها على درجة كبيرة من التفصيل، ولا بد للمجلس الأوروبي أن يكون على علم بها رسمياً. ومن جهة أخرى فقد تكون النتائج أقل إيضاحاً بالنسبة للقوى المحركة للاتحاد، لأنها تميل إلى إخفاء الاختلافات بين الدول الأعضاء وليس إبرازها. وقد عقد أحدث اجتماع للمجلس الأوروبي فى فلورنسا فى ٢١ ، ٢٢ يونيو ١٩٩٦ تحت الرئاسة الإيطالية.

وكان الاجتماع السابق للمجلس الأوروبي قد عقد فى مدريد فى ١٥ ، ١٦ ديسمبر ١٩٩٥، تحت الرئاسة الإسبانية، وقد غطى المؤتمر مساحة كبيرة من الموضوعات، ونطاق المسائل المغطاة واسع جداً، ويعالج المسائل الداخلية بما فيها المسائل الرئيسية للتقدم نحو الاتحاد الاقتصادى والنقدى، ومستقبل أوروبا والاستعدادات لمؤتمر المراجعة بين الحكومات، وكذلك المسائل الخارجية مثل اتفاقية دايوتون عن البوسنة، وجدول الأعمال الجديد عبر الأطلنطى، وخطة العمل المشتركة بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والتي تمت الموافقة عليها بين الاتحاد والولايات المتحدة الأمريكية فى ٣ ديسمبر، والاتفاق مع مركوسور Mercosur ، وإعلان برشلونه الخاص بالبحر المتوسط،

وتوقيع اتفاقية لومى بعد مراجعتها، والاتحاد الجمركى مع تركيا، والتوسع الذى يشمل اجتماعا مع وزراء خارجية الأعضاء المحتملين وهم الدول المشاركة من أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية وقبرص ومالطة.

إن المنظور الوطنى للمملكة المتحدة فيما يخص النتائج الرئاسية إنما ينبع من تصريحات رئيس الوزراء أمام مجلس العموم التى أدلى بها عقب اجتماعات المجلس الأوروبى. وكان هناك تبادلا مفيدا لوجهات النظر بعد تصريح مستر ماجور فى ١٨ ديسمبر^(٧). وقد ورد منظور بريطانى شامل عن شئون الاتحاد الأوروبى فى المسح الذى يصدر كل ستة أشهر بعنوان "التطورات فى الاتحاد الأوروبى" والذى قدمه للبرلمان وزير الخارجية والكومنولث^(٨).

(٨)

تنظيم الخدمة الدبلوماسية

استعرضت المحاضرة السابقة السياق الوطنى الذى يمارس فيه الدبلوماسيون المحترفون دورهم فى صنع السياسة الخارجية وتنفيذها. فالسياسة هى نتيجة قوى عديدة تعمل داخل البلاد وخارجها، وتعتبر الخدمة الدبلوماسية واحدة من هذه القوى، وإن كانت لها أهمية قصوى. وقد سبق أن ركزنا على الأساسيات. وكما أن الجوهر والعملية يمتزجان بشدة، فإن صنع السياسة وتنفيذها لا يمكن فصلهما عن الممارسة. وقد يكون من المفيد من ناحية التحليل أن يكون هناك تمييزاً مألوفاً بين السياسة الخارجية، عما يجب أن يتم، وبين الدبلوماسية، عن كيفية القيام بها، ولكن ذلك ليس كافياً باعتباره أساساً لتنظيم عمل الخدمة الدبلوماسية. وهناك مرشد يمكن الاعتماد عليه أكثر من غيره وهو الاقتراح الذى تقدم به لورد سترانج Lord Strang ، الوكيل الدائم لوزارة الخارجية فى الفترة بين ١٩٤٩ و ١٩٥٣، عما يقوم به الدبلوماسيون بالفعل، عندما قال :

هم أساساً يساعدون وزير الخارجية للتوصل إلى قراراته ثم يساعدونه فى تنفيذها. وهم يساعدونه فى الاستقرار على ما يفعله، ثم يساعدونه فى فعله^(١) .

لاحظ تكرار كلمة يساعد. إن التفسير الشائع قد يوحي أن الكلمة هى مرادفة لكلمة تسيطر. ولكن الواقع، كما سبق أن أوضحنا فى المحاضرات السابقة، هو أن الدبلوماسيين المحترفين هم أبعد ما يكونون عن الاستمتاع باحتكار تشكيل السياسة

الخارجية وتنفيذها. ولكن لهم دور مميز ومحدد بوضوح، وهو مسئوليتهم فى أن يؤدوا عملهم باكبر قدر ممكن من الكفاءة. وهذه المحاضرة ستستعرض أولاً بعض المعايير لتنظيم الخدمة الدبلوماسية: مثل نطاق الجهود الدبلوماسية المحترفة، والتغطية، والتوازن بين الداخلى والخارج، والأولويات فى إنشاء البعثات فى الخارج، والاتصالات. ثانياً: سننظر فى بعض عوامل الإدارة ذات الصلة: مثل التوظيف والتدريب، وشروط ومقتضيات الخدمة، والعاملون المحليون، والسلك الدبلوماسى، والأجهزة والمعدات، وتكنولوجيا المعلومات، والعوامل الأخرى. وأخيراً: سيكون هناك تعليق على الاتجاهات المستقبلية فى تنظيم الخدمة الدبلوماسية. وقبل بحث هذه النقاط بوجه عام، ولما كانت تنطبق بوجه خاص على الخدمات الدبلوماسية للدول حديثة الاستقلال، فإنه من المفيد النظر إلى التكاليف ومستويات التوظيف فى الخدمة الدبلوماسية البريطانية، باعتبارها حالة محددة ومثال للمسألة المطروحة بوجه عام.

الخدمة الدبلوماسية البريطانية: التكاليف ومستويات التوظيف :

إن ما يعنيه اقتراح اللورد سترانج الذى ذكرناه آنفاً، من الناحية الإحصائية قد أدرج بوضوح فى التقرير الوزارى السنوى، الذى أشرنا إليه فى المحاضرة السابقة. فهذا التقرير، بغض النظر عن القدر الكبير من التفاصيل المالية الذى احتوى عليه، يعتبر منجماً حقيقياً للمعلومات عن الطبيعة العملية لإداء الخدمة الدبلوماسية البريطانية. ويلخص فهرس المحتويات ما يحتويه، فمهام الخدمة الدبلوماسية يتضمن توزيع قوتها البشرية وغيرها من الموارد فى الداخلى والخارج، وتنظيم العمل الخاص بسياساتها، وبالذات فى المجالين السياسى والاقتصادى، والخدمات الفنية - التجارية والإعلامية والقنصلية والاقتصادية، والإدارة المركزية ومساندة كل هذه الأنشطة، والإنفاق على العلاقات الخارجية الأخرى، بما فى ذلك الاشتراكات المدفوعة للمنظمات الدولية، وعمليات حفظ السلام، والمنح للمنظمات غير الحكومية، والمنح الدراسية للطلاب فيما وراء البحار ومساعدات التدريبات العسكرية، ومساندة عمل الخدمة الدولية لهيئة الإذاعة البريطانية BBC والمجلس البريطانى، والمجال الواسع للمساعدات الإنمائية فيما وراء البحار، والتى تدار بشكل منفصل بمعرفة إدارة التنمية فيما وراء البحار.

وهذا مجال واسع جدا للأنشطة، التي قد تعتبر مفاجأة للذين ليسوا لديهم فكرة مسبقة عن عمل الخدمات الدبلوماسية. وربما كانت المفاجأة الأكبر هي التكاليف النسبية للأنشطة. فإنتفاق وزارة الخارجية والكونولث تدرج تحت بسلسلة من الاعتمادات المقررة وفيما يلى "الميزانية التقديرية" لعام ١٩٩٥/١٩٩٦ :

بالمليون جنيه إسترليني	
٧١٣	الاعتماد (١) (التمثيل الخارجى)
٤٣٧	الاعتماد (٢) (علاقات خارجية أخرى)
١٧٨	الاعتماد (٣) (الخدمة العالمية لهيئة الإذاعة البريطانية)
١٠١	الاعتماد (٤) (المجلس البريطانى)
١٤٢٩	

وفى الوقت نفسه فإن الاعتمادات التقديرية لبرنامج المساعدات الخارجية بواسطة إدارة التنمية لما وراء البحار، التى يتولى مسئوليتها بالطبع وزير الخارجية والكونولث، كانت ٢٣٨١ مليون جنيه إسترليني. ومعنى هذا أنه من بين إجمالى إنتفاق وزارة الخارجية والكونولث البالغ ٣٨١٠ مليون جنيه إسترليني، فإن أقل من الخمس - أى ١٨٣ مليون جنيه إسترليني - قد أنفق على الأنشطة الدبلوماسية "التقليدية" تحت العنوان الرئيسى "التمثيل الخارجى". وهذه النسبة الضئيلة من الإجمالى، لا تشمل فقط العمل السياسى والاقتصادى وإنما تتعداه إلى العمل الفنى والإدارى - التجارى والإعلامى، والقنصلى والإدارة، وتبلغ تكاليف العمل السياسى الاقتصادى حوالى ربع التكاليف فيما وراء البحار ونسبة أعلى قليلاً من التكاليف فى الداخل.

إن "مقدرة السياسة" التى وصفناها بأنها من أولى اهتماماتنا. يعتبر العمل السياسى والاقتصادى لهما، ومن ثم يمثل جزءاً ضئيلاً من إجمالى الإنتفاق على الخدمة الدبلوماسية/الإدارة الإنمائية فيما وراء البحار. وللوهلة الأولى ربما يشكل ذلك تبديداً للجهود، إن لم يكن دليلاً على الفشل فى وضع الأولويات. ومع هذا، فإن الواقع على نقيض ذلك فى المقام الأول، فإن وضع الأهداف التقليدية للسياسة الخارجية المشار إليه فى المحاضرة السابقة، والذى يركز على دعم مصالح بريطانيا ووضعها فى الخارج،

إنما يتطلب نشاطاً منظماً فى مختلف الاتجاهات. قد يبدو ذلك من أول وهلة متعلقاً بعمل أكثر عمومية وهو نشر الرخاء فى المملكة ككل. ولكن لا يعنى هذا أن كل هذا النشاط غير مرتبط ببعض. بل إنه متكامل بشكل وثيق، كما يبدو من تنظيم وهيكل البعثات الدبلوماسية. ويتطلب القيام بشكل كافٍ بالوظيفة التنفيذية والوظيفة الاستشارية فى المناطق المهمة للعمل السياسى والاقتصادى توفر مقدرة فى الميادين التجارية والإعلامية والثقافية.

وهناك اختبار عملى لعدم إمكانية الفصل فى أنشطة الخدمة الدبلوماسية بشكل فعال ونجده فى الدور الشخصى لرئيس البعثة. فرؤساء البعثات لهم دور جوهري فى مقدرة السياسة. إن مهم الأول الشامل، وخاصةً فى أوقات التوتر الدولى، ربما يكون مرتبطاً بالعمل السياسى والاقتصادى. ومع هذا فإن تنشيط الصادرات لن يكون بعيداً عن أفكارهم. فهم يعلمون أيضاً أن جهودهم الذاتية فى أى لحظة معينة قد تتركز على أى عدد من الاتجاهات المختلفة. ولن يتمكنوا من التنبؤ بأى قدر من اليقين بوقتهم الذى يقضونه مع أى جانب من جوانب عمل البعثة.

ثانياً: إن التركيز على الاقتصاد الصارم وعلى أهداف الإدارة الواضحة لكل نواحى إنفاق الخدمة الدبلوماسية وهى خاصةً للتقرير الوزارى السنوى، يتيح نوعاً من التأكيد بأن الأنشطة الاختيارية أو الهامشية ستصل إلى الحد الأدنى، ولن يتم الالتجاء إليها إلا عند الضرورة القصوى. وما يؤكد هذا المجال المتكامل لأنشطة الخدمة الدبلوماسية حقاً هو أن الدبلوماسية - على الأقل فيما يختص بدور الخدمة الدبلوماسية - هى عمل يتم مع كبار المسئولين فى عاصمة الدولة الذين يشكلون بشكل مؤثر مجلس الإدارة^(٢). وإن مجلس الإدارة الواعى سيكون - بالضغط المستمر على الموارد والذى تخضع له الخدمة الدبلوماسية - حريصاً بالطبع على متابعة درجة تكامل النشاط الذى يتطلبه الموقف. وهذه المحاضرة تنتهى ببعض التعليق على الاتجاهات المستقبلية فى تنظيم الخدمة الدبلوماسية.

المقارنات والفرص :

تتمثل الميزة الرئيسية للعمل الدبلوماسي في القوة العاملة. إنها عمالة مكثفة، وتهتم بالقيمة المضافة في توزيع مواردها. وهناك إقرار بأن "القيمة المضافة هي أمر محير بطبيعتها. ولا شك أن هناك نوع من الهيبة المهمة أو العامل الدعائي في الدبلوماسية، مع وجود عدم اليقين والغموض اللذين يصحبان الإنفاق على الإعلان^(٣). وإن المقارنات التاريخية، وإدراك ما تفعله الدول - التي لها مواقف دولية مشابهة بوجه عام - من الأمور التي لها علاقة بما نتحدث عنه.

وتستخدم وزارة الخارجية والكونولث حوالي ٦٠٠٠ موظف معينين في المملكة المتحدة، وهذا العدد أقل بمقدار الخمس عما كان عليه الحال منذ ١٥ عاماً^(٤). ومن هؤلاء ٢٤٧٢ موظف يخدمون فيما وراء البحار، يساعدهم ٧٤٠٠ موظف متعاقد معهم محلياً. وإجمالي المناصب البريطانية فيما وراء البحار يبلغ ٢٢٦ منصباً. والأرقام المقارنة لفرنسا وألمانيا وإيطاليا هي ٢٥٢، ٢٢٩، ٢٦٥ على التوالي. ولا يمكن القول بأن المصالح البريطانية فيما وراء البحار، هي بأى معيار موضوعي، أقل من مصالح فرنسا أو ألمانيا أو إيطاليا، بما يبرر عدداً أقل للمناصب فيما وراء البحار وموظفين في الخدمة الدبلوماسية معينين في الداخل ليشغلوا هذه المناصب في الخارج. ولشرح الفرق بين جوانب متعددة فهو يرجع جزئياً إلى كفاءة الجهد الدبلوماسي، كما يرجع إلى مدى استعداد الحكومات ودافعي الضرائب لتمويله، بغض النظر عن جدارته. والأمر يتعلق أيضاً بالاستعداد الوطني لخلق الفرص وانتهازها. ولكن هذا الاستعداد يتوقف - إلى حد كبير - على قدرة الخدمة الدبلوماسية لأول وهلة على إقناع الحكومات ودافعي الضرائب بأن الفرص متوفرة. وتاريخ الدبلوماسية، مثل صيد الأسماك، مفعم بالقصص من النوع الذي يمكن أن تمر عليها مر الكرام.

بعض المعايير لتنظيم الخدمة الدبلوماسية :

(أ) قياس الجهد الدبلوماسي المحترف :

إن السؤال التالي: "ما حجم الجهد الدبلوماسي الذي يجب أن تقوم به دولة ما؟" قد يقود إلى السؤال المقابل: "ما طول قطعة من الخيط؟" إن الاعتبارات التي أشرنا إليها من قبل في هذه المحاضرة توحى بأنه لا توجد إجابة "موضوعية" بسيطة. فهذا يتوقف على عدد من العوامل، البعض منها قابل للقياس فيما يتعلق بدرجة الانخراط الاقتصادي لدولة ما فيما وراء البحار، أو مدى تعرضها للمخاطر السياسية والعسكرية والاقتصادية. كما يتوقف أيضا على الاستجابة التي تريد دولة ما أن تواجه بها ظروفها الدولية. ويعض الدول تسعى أحيانا إلى أن تتجاوز قدراتها، على الرغم من أن هذا لا يضمن على الإطلاق أنها ستكون مستعدة لأن تخصص المصادر الإضافية للجهد الدبلوماسي الذي يتطلبه ذلك. إن موظفي الدولة المحترفين يتحسرون دائما من عدم استعداد الحكومات لقبول ما تتطلبه قراراتهم الخاصة بالسياسات من موارد. وتواجه الأجهزة الدبلوماسية عدم الاستعداد هذا بشكل حاد بصفة خاصة، لأن الآخرين يميلون إلى اعتبار أنشطتها مكلفة ويتسم بالسرية. وقيمة ما تقوم به هذه الأجهزة الدبلوماسية يجب أن يثق فيه دافعوا الضرائب إلى حد كبير دون التحقق من صحة الأمر. ولهذا فإن هذه الأجهزة تعتبر أهدافا جذابة للاستقطاعات في الإنفاق الحكومي. ولكن ما تحدثه هذه الاستقطاعات من تمزق وانعدام الكفاءة أمر يفوق الحد، على أساس أن القوى العاملة تمثل نسبة مئوية عالية جدا من تكلفة الدبلوماسية. وفضلا عن ذلك، فإن الدبلوماسيين منتشرون حول العالم بكثرة. ونتيجة لذلك، هناك قدر حتمي من المواقف الدفاعية الخاصة بالأولوية التي يجب أن تعطى للإنفاق على الجهد الدبلوماسي. وربما كان السؤال الجوهرى الذى يتحتم على مديرى الأجهزة الدبلوماسية أن يسألوه هو: "ما هو الضرر الذى سيحقيقه بالصالح العام بسبب عدم التمثيل فى دولة معينة أو فى تجمع دولى معين؟". إن الإجابة الأساسية - كما يقول الفرنسيون - هى "المتغيبون دائما على خطأ". ولكن لا يشكل هذا مرشداً مطلقاً. فالفتاح هو أن تكون قادراً على أن تميز بين متى لا يمكن للمرء أن يكون حاضرا، ومتى لا يمكنه أن يكون متغيياً.

(ب) التغطية :

هناك إغراء أن نخلص من التحليل الصارم لدور أى خدمة دبلوماسية بأنها يجب أن تكون قادرة على أن تتناول أى قدر من المسائل التي تدرج تحت باب العلاقات الخارجية للدولة. وفي حالة المملكة المتحدة، فإن الكتاب الأبيض للمملكة المتحدة لعام ١٩٤٣ بعنوان: "اقتراحات خاصة بإصلاح الخدمة الخارجية"، اتخذت خطأ قائما على أساس أنه من المأمول أن المستوى العام للدبلوماسيين ومقدرتهم يرقى إلى الحد الذي لا يكون فيه أى جانب من العلاقات الخارجية من احتكار الخبراء. ولكن رؤساء البعثات الدبلوماسية لابد أن يحصلوا على استشارات الخبراء ومساعداتهم فى قضايا مختلفة "عندما يكون ذلك للصالح العام". ومن جهة أخرى، فإن التجربة توحى بأن مثل هذا المدخل الطموح أكثر من اللازم. ولا يتعلق الأمر بأن الدبلوماسيين متمكنون بشكل كامل وأنهم لا يلجأون إلى الخبراء إلا عند الضرورة فقط. فإن مضمون الشئون الدولية لا يسمح بمثل هذا التبسيط للأمر. وآخر تحقيق شامل عن الدبلوماسية البريطانية، بعنوان "عرض للتمثيل فيما وراء البحار"، الذى أجراه عام ١٩٧٧ "فريق مراجعة السياسة المركزية" (المعروفون أيضا باسم Think Tank)^(٥)، اقترح ضرورة أن يكون هناك تبادل بين الخدمة المدنية الداخلية والخدمة الدبلوماسية، بل إنه يمكن دمجهما، بتشكيل مجموعة خدمة خارجية مشتركة تختص بالوظائف الدبلوماسية برمتها. ولم تلق هذه الفكرة تأييدا كبيرا. ولكنها دليل على أن هناك نوعا من الاعتماد المتبادل الذى أعقب الانضمام إلى الجماعة الأوروبية^(٦).

وربما كان أهم ما يثير الاهتمام فى مسألة التغطية المتوقعة من الخدمة الدبلوماسية هى الطريقة التى ينظر بها للعمل السياسى والاقتصادى باعتباره شأن متكامل. ولكنه ليس كذلك دائما. وقد أشرنا فى المحاضرة الأولى إلى دبلوماسى بريطانى يتمتع بكونه بشكل خاص ثاقب النظر هو سير فيكتور ويلسلى، الذى كان نائب وكيل وزارة الخارجية فيما بين ١٩٢٥ و ١٩٣٦. وكانت فكرته، كما نتذكر، هى أن الدبلوماسيين يفكرون أكثر من اللازم بطريقة "سياسية" تقليدية. ويتناولون العوامل الاقتصادية بشكل غير كاف. ولا يمكن توجيه مثل هذا النقد إلى الدبلوماسيين اليوم. فهؤلاء يمكنهم إن أرادوا أن يكونوا مستفزين، وأن يرددوا رأى سفير أمريكى مجهول الاسم بأن "الاقتصاد هو سياسة مدروسة بجدية"^(٧).

(ج) التوازن بين المجهود فى الداخل والمجهود فى الخارج :

إن الخدمة الدبلوماسية التى تحصل على أموال دافعى الضرائب للقيام بعملياتها لابد أن تكون قادرة على أن تكون مقنعة. وفى الجزء السابق تناولنا مجال العمليات ككل. وهناك اعتبار لا يقل أهمية وهو تقسيم المجهود بين الداخل والخارج. ومن المفهوم ضمنا فى أحوال الاعتماد المتبادل الحديث أن هناك عددا قليلا جدا من المسائل ذات الاهتمام النولى التى ستخضع للإدارة على أساس ثنائى فقط، أو حتى عن طريق شبكة من الترتيبات الثنائية. وستميل الدبلوماسية بشكل متزايد إلى أن تدار بشكل متعدد، وكثير من المناقشات الثنائية ستتعلق بالمسائل التى يتم تناولها بشكل متعدد. ولا يؤثر ذلك على توازن المجهود بين المناصب الثنائية والمتعددة فحسب، ولكن أيضا على التوازن بين الداخل والخارج، طالما أن المضمون الداخلى يميل إلى أن يكون أكبر فى العمل المتعدد منه فى العمل الثنائى، كما أنه غالبا ما يكون ذا اهتمام مباشر ومستمر بالنسبة لعدد من الوزارات المختلفة. وهكذا فإن حالة التمثيل الفعال فى المراكز الدبلوماسية المتعددة الأطراف قوية جدا والنقيض مع العلاقات الثنائية. وبوجه عام فلا بد أن هناك سببا قويا لإقامة بعثات ثنائية فى البلدان التى لا توجد معها مصالح سياسية واقتصادية مهمة. ومع هذا، فقد تكون هناك أسس تجارية وقنصلية قوية لفعل ذلك. ومن المهم أن نلاحظ أن إقامة علاقات دبلوماسية مع دولة أخرى لا تتطلب فى حد ذاتها إقامة تمثيل مقيم فى هذه الدولة. فهناك احتمالات عديدة بديلة عن الوجود المادى الدائم. فالسفير يمكن أن يكون غير مقيم، والاعتماد فى أكثر من دولة أمر شائع، حيث السفير مقيم فيما وراء البحار، ولكنه موجود فى إحدى الدول التى تعتمد لديها. أحيانا تكون قاعدة السفير غير المقيم فى الديوان العام.

وبالطبع فإن الاتصال يمكن أن يحدث دون استخدام السفراء أو البعثات الثنائية المقيمة. ويمكن لوزراء الخارجية أن يتبادلوا الزيارات دون الاستعانة بالتمثيل المحلى الدائم. ومن السهل أيضا عقد الاجتماعات فى المراكز الدبلوماسية المتعددة الأطراف مثل نيويورك وجنيف. والحقيقة أن حجم الاتصالات الثنائية فى الأماكن الهامشية هو من أبرز سمات اللقاءات الدولية الكبيرة. وفى افتتاح الدورة العادية للجمعية العامة

للأمم المتحدة فى نيويورك، فإن الاتصالات على هامش الجمعية العامة نفسها هى بلا شك على درجة أكبر من الأهمية من الموكب الرسمى لوزراء الخارجية إلى المنبر لإلقاء كلمتهم المهمة الأشبه بالمناجاة كجزء مما يوصف - على سبيل الترفيف - بأنه "مناقشة عامة".

ونجد المعايير لإقامة بعثات ثنائية فى تشكيل الأغراض الأساسية للسياسة الخارجية كما أشرنا إليها فى المحاضرة السابقة. وبعبارة أخرى، كيف تتوقف المحافظة على الأمن القومى والازدهار، والمصلحة الوطنية ووضع الدولة فى الخارج، بشكل مباشر على وجود دبلوماسى دائم فى دولة ما؟ إذا كان الاعتماد مباشراً، فإن الامتناع عن إقامة وجود دبلوماسى دائم فى الدولة المعنية سيتسبب فى أن المصلحة الوطنية ستعانى، ربما بشكل تراكمى. ولكن عندما تكون العلاقة واهية، فإن ندرة الموارد، البشرية والمالية، تعمل ضد إقامة بعثة دبلوماسية. ولكن إذا تساوت العناصر الأخرى، فإن تكلفة استخدام موظف للخدمة الدبلوماسية فى الداخل تكون أقل بكثير مما لو عمل فى الخارج. وهكذا فإن الموارد يمكن توزيعها بشكل أكثر فاعلية فى الداخل، بشرط المحافظة بشكل كافٍ على الاتصالات مع الدول الأخرى بالوسائل البديلة التى أشرنا إليها آنفاً.

ومن المرجح أنه لا بد من دفع ثمن خفض عدد المناصب فى الخارج على شكل أضعاف الوظائف الاستشارية والتنفيذية، وهذا بدوره يحتم أن يكون هناك اهتمام خاص بالكفاءة فى ديوان عام وزارة الخارجية. واستمرار تعيين الموظفين أمر جوهري، وخاصة بالنسبة لتنظيم الوظيفة الاستشارية. فالمقدرة الاستشارية السليمة أمر لا غنى عنه للقيام بشكل مناسب بدور الخدمة الدبلوماسية فى مساعدة وزير الخارجية على تشكيل السياسة. وفى الوزارات الأصغر للشئون الخارجية قد لا يكون هناك موظفون للتخطيط بهذا الشكل. ولكن المفهوم، المتضمن فى وجود مخططين، لهم مدخل تنسيقى للأنشطة الجارية، قائم على تحليل الاحتياجات الوطنية والظروف، من جهة، وعلى التطورات فى الخارج من جهة أخرى، هو مفهوم سليم. وحتى فى عالم اليوم إذا كان تخطيط السياسة الخارجية المركبة قد يكون من الأهداف التى لا يمكن تحقيقها، إلا أن إضفاء قدر من التماسك على إدارة كتلة من الأعمال اليومية المختلفة ليس أمراً مرغوباً فيه فحسب، ولكنه أمر جوهري.

أما عن المسائل الأخرى الخاصة بتخصيص موارد محددة على استخدامات متنافسة، فإنه لا بد من إيجاد توازن. فالخدمة الدبلوماسية، بعد أن تضمن كفاءة العمليات التي تتم في الديوان العام، يمكنها أن تشرع في وضع أولويات بالنسبة لإقامة الوظائف في الخارج على أساس بعض المعايير التالية :

١ - مراكز دبلوماسية كبرى متعددة الأطراف، خاصة في نيويورك وجنيف.

٢ - عواصم الدول الكبرى حيث توجد معها روابط سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو عسكرية قوية، وخاصة إذا كانت توجد فيها - بالإضافة إلى ذلك - مقار منظمات كبرى متعددة الأطراف مثل واشنطن، بروكسل، باريس، لندن، روما، فيينا.

وبالطبع فإن هذه القائمة هي على سبيل المثال لا الحصر. فالظروف التي تجد دولة ما نفسها محاطة بها هي ظروف فريدة، أو ذاتية جدا على الأقل. ويتطلب هذا نظاماً مختلفاً من الأولويات في كل حالة. وفضلا عن ذلك، فمن الواضح أن هناك نوعاً من التداخل بين المعايير الخمسة المقترحة.

(د) الاتصالات :

تعتبر الاتصالات بين الدواوين العامة لوزارة الخارجية والمناصب في الخارج من الأمور المهمة في عمل الخدمة الدبلوماسية، سواء بالنسبة إلى الجهاز الفني المتاح والاستخدام العملي لهذا الجهاز أو وسائل الاتصال والمواد التي يتم إيصالها. ومن الواضح أن الدقة والأمن أمران لا غنى عنهما، وأن السرعة مطلوبة بشكل ملح. وكما هو الحال دائماً، فإن المادة والعملية يمتزجان امتزاجاً كبيراً. فكلما كانت الاتصالات دقيقة وأمنة وسريعة، كلما قل شعور السفير في الخارج أنه معزول عن حكومته، وكلما رغبت الحكومة في معرفة حقيقة ما يجري، حتى تزود السفير بالتوجيهات. والتقدم المتزايد في الاتصال الدبلوماسي ليس ظاهرة منعزلة. إنه جزء من تغزو تكنولوجيا المعلومات الذي وصفناه في المحاضرة الأولى. ومن الجلي أنه في حياتنا اليوم المتسمة بالعمولة، فإن مصادر المعلومات عما يجري أصبحت أضخم وأسرع

وأكثر تقدما عن ذي قبل، مما يضطر الحكومات إلى التفاعل مع كم أكبر من الأحداث. ووسائل الإعلام - وليست الأحداث - هي التي تضع المؤشرات. فحاجة الحكومات إلى وجود شبكة معلومات خاصة بها قد قلت، مثلما الحال في مدى الحاجة إلى العمل المستقل الفعال لمثيلها في الخارج. وهذا أمر لا يدعو للدهشة، أو الضيق. فالاتصالات الدبلوماسية مصممة بحيث تكمل التدفق العالمي للمعلومات، لا أن تحل محل هذا التدفق. والعمل الدبلوماسي مصمم بحيث يتعامل مع هذا التدفق لا أن يتجاهله. فالدبلوماسية هي بنت عصرها، ولا تنتمي إلى عصور مضت.

ومع هذا، فمن المتوقع أنه كلما كانت الاتصالات أكثر سرعة وتقدما، كلما كبرت علامة الاستفهام في أذهان العامة عن مدى جدوى البعثة الدبلوماسية في الخارج. ومنذ اختراع البرق (البرقيات) فإن أي تطور جديد ساعد على تشجيع التأكيد بأن السفراء لم تعد لهم الأهمية نفسها التي تعودوا عليها، ويمكن إدارة العلاقات الخارجية بدون شبكة معقدة من البعثات الدبلوماسية. ويرى هذا الاتجاه في المناقشة، أن الإبلاغ عن الأحوال في الخارج يمكن أن يترك لوسائل الإعلام، ويمكن أن يعهد بالمفاوضات إلى رئيس الوزراء أو المسؤولين الذين يأتون من الديوان العام كلما دعت الحاجة. ويؤكد هذا الرأي توفر السفر بالطائرات في كل مكان، والسفريات التي لا تنتهي لوزراء الخارجية⁽⁸⁾. ولكن هذا الرأي مفضل إلى حد كبير. فليست التفاصيل العديدة للتطورات في الخارج، هي الجوهرية لتشكيل السياسة الخارجية، بقدر ما هو تفسير كيف تؤثر على مصالح الأمة. وكذلك فليس المهم تالِق مؤتمر قمة عارض، ولكن الأهم الإعداد الدؤوب المسبق له ثم متابعته بذكاء، فهذا هو ما يضمن التنفيذ الناجح للسياسة الخارجية. ولم تعثر البشرية بعد على بديل مرضٍ للدعوة Advocacy وجها لوجه (الإقناع الشخصي).

ومن الجدير بالملاحظة أن وزيرا للخارجية البريطانية هو لورد جون راسل Lord John Russell ، كان له وجهة نظر مختلفة جدا عن أهمية البرقيات. فقد أشار إلى أنه في الأيام الماضية، كان وزير الخارجية يكتب رسالة طويلة تشكل تعليمات للسفير (أو تعليمات للوزير المفوض، ففي سابق العهد كانت للبعثات في الخارج درجات حسب

أهميتها، فالأقل أهمية كان يرأسها وزراء مفوضون وليس سفراء). وكان السفراء وحدهم هم الذين يمكنهم أن يتحدثوا من تلقاء أنفسهم. ومع هذا فإن السفير اليوم، ويسبب الإيجاز الذي يفرضه استخدام البرق، يضطر إلى أن يقدم جزءا كبيرا من النقاش بنفسه^(٩). ووجهة نظر لورد جون راسل تضم الطريقتين. فمن التجارب المألوفة حقا بالنسبة للسفراء أن يتلقوا تعليمات بارعة الاقتضاب كانت تحدث لدى الذين أرسلوها من الديوان العام شعورا رائعا، ولكنها كانت محفوفة بالصعوبات عند أولئك الذين عليهم أن يتفهموها. وكان التحذير التقليدي في التعليمات القائل: "ما لم يكن لديك اعتراض أكثر من مجرد إجراء شكلي. فإذا ساءت الأمور نتيجة لتطبيق التعليمات، فإن اللوم يقع على رأس السفير وليس على مرسل التعليمات.

وأى سفير جدير بمنصبه يشعر بالامتنان، وليس بالتهديد عندما تقوم وسائل الإعلام بتغطية جانب من مسؤولياته، والزيارات الوزارية، أبعد ما تكون عن إبعاد أو الإحلال محل عمل السفير، بل إنها تعمل على إثرائه في الحقيقة. والسفراء بوجه عام يعزفون عن التماس اهتمام وزارى أكثر، لا بسبب القلق من أن ينحوا عن عملهم، وإنما لإدراكهم بالمطالب الملحة التي لا تترك لوزير الخارجية وقتا كافيا لتليتها جميعا. وهذه النقطة الأخيرة يتجاهلها أولئك الذين يرغبون في تأكيد عدم أهمية السفراء في عالم الاتصالات الحديثة. وقد قال سير إدوارد جراى Sir Edward Grey ذات مرة، وكان وزيرا للخارجية في السنوات السابقة على الحرب العظمى وفي أثناء الجزء الأول منها، والذي ارتبط اسمه بالأيام الذهبية الأخيرة للسلام قبل أن تنطفأ المصابيح في كل أنحاء أوروبا^(١٠). وقال في أثناء وجوده في منصبه أنه كان مضغوفا لدرجة أنه لا يتذكر أنه اتخذ أية خطوة إلا إذا كان لها صفة العجلة المباشرة من أجل حل مشكلة معروضة مباشرة عليه. وبالطبع ازدادت الضغوط إلى حد كبير منذ ذلك الوقت. وعندما عاد مستر أنطوني أيدن Anthony Eden إلى وزارة الخارجية عام ١٩٥١ قال لسلفه المباشر لورد موريسون لامبث Lord Morrison of Lambeth ، إنه وجد أن العمل قد تضاعف بالمقارنة بعام ١٩٤٥ عندما كان وزيرا للخارجية وقتئذ^(١١). ولنا أن نتصور ما آلت إليه حياة وزير الخارجية اليوم من حيث أعبائها الفظيعة.

عوامل الإدارة :

(هـ) الاختيار والتدريب :

الإدارة، بمعنى التوجيه والتحكم فى الجهود الجماعية، الموزعة فى تشكيل وتنفيذ السياسة الخارجية، أمر جوهري. والحقيقة أن هذا هو الموضوع الرئيسى لهذه المحاضرات. ولكن هناك جانب من الإدارة لا يقل أهمية بالنسبة للمدخلات أكثر منه بالنسبة للمخرجات وهو تنمية الموارد واستخدامها فى عمل عالى التخصص ويتطلب مرونة هائلة وقوة تخيل.

وكما لاحظنا من قبل، فإن موارد أية خدمة دبلوماسية هى أساسا موارد بشرية. وهناك مكافأة عند التوصل إلى الأشخاص المناسبين، وتدريبهم، ليس فقط فى مطلع عملهم، وإنما أيضا خلال مدة خدمتهم، وإمدادهم بالبنية الأساسية التى تضمن أن يكونوا فى وضع يمكنهم من أداء عملهم ويجب النظر إلى الاختيار فى دولة ديموقراطية، على أنه يجب أن يكون فعالا وعادلا. وفى الدبلوماسية القديمة كان هناك قدر كبير من الرعاية Patronage غير المعلنة. واليوم فإن الرعاية أكثر صعوبة فى إخفائها، بينما من الواضح الجلى مظاهر القصور المحتماة الناتجة عن مثل هذه الرعاية. والدبلوماسية هى مهنة تتطلب براعة خاصة ويبدو أن مهامها ومسئولياتها المتعددة قد شجعت على وجود قدر معين من النرجسية لدى السلطات التى تسهب فيما هو مطلوب. ويمكن أن نجد المثال الغالب لهذا فى تعليق للسير هارولد نيكلسون، لاشك أنه أورده على سبيل المزاح :

هذه هى صفات الدبلوماسى المثالى فى نظرى. الصدق والدقة والهدوء والصبر وحسن الأخلاق، والتواضع والولاء. وهذه أيضا هى الصفات التى تتحلى بها الدبلوماسية المثالية. وقد يعترض القارئ قائلا: ولكن لقد نسيت الذكاء والمعرفة والفطنة وحسن الضيافة والجادبية والاجتهاد والشجاعة وحتى المهارة. لم أنس هذه الصفات، ولكننى أعتبرها من الأمور المسلم بها^(١٢).

إن أى خدمة دبلوماسية تتشكل فقط بمثل هذه العبارات المتلائمة تفتقر إلى الجاذبية، على أقل تقدير. كما أنها تحبط الناس الذين لا يتمتعون بمثل هذه الصفات، وإن كانوا مع ذلك يؤدون عملهم على أحسن وجه. ومن حسن الطالع أنه فى حالة المملكة المتحدة على سبيل المثال، لا يوجد بوجه عام نقص فى عدد المتقدمين لأن الإشباع الوظيفى على درجة عالية. ولكن ليس من السهل دائماً أن تكتشف فى الشباب وهم فى العشرين من عمرهم المقدرة على أن ينموا فى وظيفة تمتد فترة حياتهم العملية، والتي قد تستغرق ٤٠ عاماً أخرى. وربما كانت الصفات الأساسية هى المتعلقة بالقدرة على التفتح والتأقلم مما يساعد الدبلوماسيين - من الجنسين - خلال عملهم على التعامل مع الاحتياجات والظروف المتغيرة وتنمية المهارات الشخصية التى تؤدى إلى عمل مؤثر استجابةً لهذه الاحتياجات. وكما سبق أن أشرنا، فإن التدريب هو عملية تمتد طول مدة الخدمة وليس مجرد الحصول فى البداية على كم من المعرفة والمهارة الفنية التى لها صلاحية دائمة. والتدريب باعتباره مفهوماً يجب أن يتضمن تنمية المهنة. فكل موظف على حدة يلقي تشجيعاً من بعض الخدمات الدبلوماسية لوضع الخطط التدريبية الخاصة بهم والتي يمكن أن يقوموا بها إذا سمحت الظروف. وكما سبق أن ذكرنا فى مقدمة هذه المحاضرات، فإن اكتساب ما يمكن اعتباره مهارات "مهنية"، مثل إجادة اللغات والمهارة الفنية فى العمل القنصلى والعمل المتعلق بالهجرة إنما يتوافق - ولا يتعارض - مع المهارات المطلوبة فى تنمية القدرات الخاصة بالسياسات فى بعض المجالات التقليدية للعمل السياسى والاقتصادى.

(و) شروط وأحوال الخدمة :

إن إدارة الموظفين (تسمى أحياناً إدارة المستخدمين أو إدارة السلك الدبلوماسى والقنصلى فى الدول المختلفة - المترجم) تمثل مشكلات خاصة لمنظمة منتشرة على عدد كبير من المواقع المتفرقة، كما هو الحال فى الخدمة الدبلوماسية - ويحتاج أعضاء الخدمة إلى أن تدفع لهم مرتبات بمعدل يمكن مقارنته بالمرتبات التى تدفع لوظائف مشابهة. ولكن يجب أيضاً أن تتضمن عناصر تأخذ فى الاعتبار درجة الحراك والأمور غير

المتوقعة فى الوظيفة، والمتاعب، وحتى المخاطر التى قد تكون من سمات الحياة فى وظائف معينة. ولا بد من أن يؤخذ فى الاعتبار المشكلات الخاصة بالروح المعنوية التى تتبع من الطبيعة الجواله الخاصة بالوظيفة. ومن المهم جدا طمأنة أولئك البعيدين أو المتغييبين لمدد طويلة عن الديوان العام (لوزارة الخارجية) أنهم ليسوا منسيين. إن تكافؤ الفرص له أهمية قصوى. والتقارير الدورية التى يعدها كبار أعضاء الخدمة عن الذين يعملون معهم أمر جوهري فى هذا الشأن. والجودة أمر حيوى، والطموح المشروع والمنافسة المشروعة من الأمور الجوهرية للمحافظة على الجودة. ولكن لا شيء أكثر تدميرا للروح المعنوية، والنيل من الاستمتاع بالوظيفة وبالحياة التى تصحبها، من الشعور بأن بعض الناس لا تتاح لهم الفرصة أبدا، بينما آخرون تبدو المحاباة فى التعامل معهم.

(ز) الموظفون المعنيون محليا :

على أساس التكاليف وحدها، هناك مثال قوى لاستخدام الموظفين المعنيين محليا وتفضيلهم على الموظفين المقيمين فى الوطن، عند التعيين فى وظائف بعثة فى الخارج، كلما كان ذلك ممكنا. واعتبارات السرية أو الأمن قد تعلق على ذلك فى عدد من الأحوال. ومن جهة أخرى فإن المعرفة الخبيرة للموقف المحلى أمر جوهري، ليس فقط لكفاءة عمل البعثة - وخاصة فى العمل التجارى أو القنصلى - ولكن أيضا من أجل الرخاء والسلامة، ومن ثم كفاءة الموظفين المعنيين فى الوطن الذين يحتشدون فيها. فعندما تكون المهية الإدارية فى الوطن عزيزة، فإن الأيسر لتعيين موظفين محليا تكون أقوى. وينطبق الاعتبار نفسه على استخدام خدمات الاستشاريين المحليين والخبراء المحليين من مختلف التخصصات، وربما فى المجال القانونى بشكل خاص. والذين يعملون من أجلك قد لا يتطلب الأمر أن يتفرغوا تماما.

(ح) السلك الدبلوماسي :

يطلق على الدبلوماسيين الأجانب في عاصمة لإحدى الدول مصطلح جماعي هو "السلك الدبلوماسي" (*)، وهي عبارة قد تثير الضحك المكتوم بين غير المختصين، ولكنها مع ذلك لها استخداماتها المفيدة. وقانوننا، يتكون السلك من أولئك الذين تمنحهم الدولة المضيئة مزايا وحصانات معينة تحت شروط تفاهات دولية ذات صلة - وهي أساساً اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية. ويضم السلك الدبلوماسي أعضاء المنظمات الدولية المعترف بها التي مقارها أو مكاتب فروعها موجودة في العاصمة. وتعتبر القائمة الدبلوماسية التي تحتوي على كل هذه التفاصيل وثيقة سهلة الاستعمال، ليس بالنسبة للمعلومات الحقيقية التي توفرها فحسب، وإنما أيضاً لما توحى به من فكرة عن مدى حجم تمثيل كل دولة وكل منظمة في مركز دبلوماسي بعينه.

وتشير القائمة الدبلوماسية للنون الصادرة في ديسمبر ١٩٩٥ (١٣)، إلى أن حوالي ١٦٠ دولة لها بعثات دبلوماسية معتمدة لدى المملكة المتحدة، منها حوالي ١٥ بعثة غير مقيمة، تابعة لسفارات مقيمة في باريس أو بروكسل أو لاهاي. ويختلف حجم التمثيل اختلافاً كبيراً من بعثة إلى أخرى. ففي بعض الدول يكون عدد العاملين في بعثة ٥٠، أو حتى ١٠٠ عضو دبلوماسي. وفي دول أخرى يكون عدد الأعضاء الدبلوماسيين في البعثة عضوين أو ثلاثة. وعدد الأعضاء الدبلوماسيين في المنظمة البحرية الدولية وهي إحدى الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة المقيمة في لندن، وكذلك الأمانة العامة للكومنولث، عدد كبير. بالطبع لا توجد صلة بين حجم دولة ما، مقدرة بعدد سكانها أو إجمالي ناتجها القومي، وحجم بعثتها الدبلوماسية في مكان ما. وكما سبق أن لاحظنا فإن حجم التمثيل يتوقف على الظروف الخاصة بكل دولة مرسله وعلى مدى ارتباط مصالحها بالدولة المضيئة. وهناك بعض الدول تسرف في الرتب التي تمنحها

(* تطلق بعض الدول العربية مصطلح "الهيئة السياسية" على مجموع الدبلوماسيين الأجانب المعتمدين لديها وهو مصطلح خاطئ، وقد يتسبب في خلط ومخاطر على الدبلوماسيين واعتبارهم من السياسيين. ويمكن استخدام مصطلح الهيئة الدبلوماسية إذا كان البعض يعتبرون مصطلح "السلك الدبلوماسي" Diplomatic Corps ترجمة حرفية غير مقبولة - المترجم .

لدبلوماسية سييها: فتثقل بعثتها بالوزراء المفوضين والمستشارين لمساعدة السفير. وهناك دول أخرى، أكثر نقشفا تضع ثقتها في الملحقيين أو حتى الملحقيين المساعدين.

وفى المناصب المتعددة الأطراف يتقابل أعضاء السلك الدبلوماسية كثيراً مع بعضهم البعض، لأن مسؤولياتهم قد تقتصر - نظرياً إن لم يكن عملياً - على المنظمات الدولية المقيمة هناك. وفى العواصم الثنائية الأطراف الأكبر حجماً، فمن المرجح أن يتفرق الدبلوماسيون فلا يرون بعضهم البعض إلا لماماً. ولكن فى المناصب الأصغر، وخاصةً عندما تكون الأحوال صعبة والمعلومات من العسير الحصول عليها، فإن الدبلوماسيين قد يعتمدون على بعضهم البعض فى الحصول على المساندة المهنية وعلى الاسترخاء الاجتماعى. والدبلوماسيون على الأغلب هم رفقاء حسنو المعشر، لدرجة أنهم أحياناً يمثلون نوعاً من الترفيه عن أعباء الوظيفة المرتبط بالاتصال بالدولة أو المنظمة الدولية المعتمدين لديها. ومع هذا فإن النقطة المهمة هى أن السلك الدبلوماسية يعتبر كسبا مهماً للخدمة الدبلوماسية المحترفة فى القيام بمسئولياتها فى الداخل والخارج.

(ط) الجهاز المادى :

للمكاتب والمسكن فى الخارج أهمية قصوى ليس فقط من ناحية الكفاءة وأمن العمل والصحة وراحة الأعضاء فحسب، وإنما أيضاً من ناحية صورة الدول التى يعكسونها. ومن الصعب تقييم العامل التمثيلى، كما سبق أن ذكرنا. ولكن هذا العامل موجود. وعلى هذا الأساس فإنه من المفيد أن تمتلك أو تؤجر المكاتب وجزءاً كبيراً من أماكن المعيشة فى الخارج. وللمملكة المتحدة حوالى ٢٩٠٠ عقار فى الخارج منها ٢٥٨ عقار تستخدم مكاتب، و ٢٢١ نور سكن لرؤساء البعثات و ٣٢٥٠ بيوت أو شقق لسكنى الأعضاء. و ٤٠ فى المائة من مساكن الأعضاء مملوكة للدولة. وصيانة هذا العدد الكبير من العقارات المنتشرة فى جميع أنحاء العالم يشكل مهمة صعبة، وخاصةً إذا كانت المباني لها أهمية معمارية أو تاريخية، أو تقع فى مكان متميز. وأية خدمة

دبلوماسية تقيم بعثة فى الخارج لابد أن تراعى الموقع بعناية شديدة واضعة نصب أعينها العوامل التى ذكرناها آنفاً. وفى الوقت نفسه، فإن هذه العوامل يجب أن تقاس وفقاً للقيود المالية المعتادة، والتى من المرجح أن تقف عقبة أمام الحصول على المكان المرغوب فيه حقاً، والقبول بمكان أقل من المكان المثالى.

وأجهزة المكاتب وزخارفها لها أيضاً معاييرها التمثيلية والأمنية وتلك المتعلقة بالكفاءة، ولكن هنا نجد أن قوة التخيل وحسن التصرف يلعبان دوراً كبيراً للتغلب على الموارد المالية المحدودة. ومن المبهج أن نرى كيف أن مثل هذا الاستخدام الجيد قد اعتمد على تسهيلات محددة. وفن الحياة له تأثير مباشر على الدبلوماسية.

(ى) تكنولوجيا المعلومات :

إذا نظرنا إلى تكنولوجيا المعلومات من منظور الإدارة، فإنها تعنى مساعدة الخدمة الدبلوماسية على القيام بمسئولياتها بدقة أكثر، وبسرعة أكبر ويأمان أضمن ويتكاليف أقل. وحتى وقت قريب فإن التطورات الأكثر أهمية كانت فى الاتصالات، وبالذات فى الدمج بين الوظائف التى كانت منفصلة لمعالجة المعلومات وبثها - على سبيل المثال - فى تشفير وبث البرقيات الرمزية. والتطورات فى هذا الصدد لم يواكبها تقدم مماثل فى تخزين المعلومات واستعادتها أو فى بثها. والتأثير المشترك للتطور السريع فى كل هذه المجالات هو تأثير تراكمى يقع فى الوقت نفسه - وهو نوع من التطور الهندسى أكثر منه تطوراً حسابياً.

وقد سبق أن أشرنا من قبل إلى بحث أعده عضو فى الخدمة الدبلوماسية البريطانية هو ستيوارت إدون بعنوان "من القلم الريشة إلى القمر الصناعى" وهذا البحث يحتوى على نصيحة عملية ثمينة عن إدخال نظم المعلومات فى العمل الدبلوماسى. ويقترح إدون أربع مراحل من التعلم التنظيمى المتعلق بتكنولوجيا المعلومات: التعرف على التكنولوجيا واستثمارها، والتعلم التكنولوجى والتكيف، والتحكم فى إدارة الترشيح، والنسوج. هذه المراحل ترى الخدمة الدبلوماسية من خلال المهمة المبدئية لإيجاد التكنولوجيا الملائمة لاحتياجاتها، وإيجاد مشروع تجريبى، لتقديم أعاجيب التكنولوجيا

الملائمة لاحتياجاتها، وإيجاد مشروع تجريبي، لتقديم أعاجيب تكنولوجيا المعلومات للأعضاء الدبلوماسيين ككل، حتى الدرجة التي يمكن عندها استيعابها وفهمها، ويمكن وضع نظم مساندة ملائمة وأدوات تحكم لضمان استخدامها بكفاءة.

وسيؤدي كل هذا إلى إحداث تغيير في الممارسة الدبلوماسية المقبولة. ويمكن أن تكون التطورات الأكثر أهمية متمثلة في "إنهاء" التسلسل في مناصب الخدمات الدبلوماسية ووقوع مشكلات أكبر خاصة بالتحكم عند المسؤولين عن عمل بعثة ما ككل، إذا وضعنا في الاعتبار التسهيلات الخاصة بالاتصال المباشر مع الديوان العام بوسائل مثل البريد الإلكتروني من كل "محطة عمل" (وهو ما كان يطلق عليها "مكتب" أو "شئون Desk في الماضي)^(١٤). ويجب أن يقال إن التسلسل في المناصب الدبلوماسية مدين كثيراً لتقاليد "الدبلوماسية القديمة" كما هو مدين لمتطلبات "الدبلوماسية الجديدة". فمثلاً نحن مدينون لتعريف دور السكرتيرين الثواني: والمتمثل في مساعدة السكرتيرين الأوائل وتوجيه السكرتيرين الثالث. والمقدرة على وضع السياسات تتمثل بوجه عام في توزيع النفوذ داخل الخدمات الدبلوماسية. وبالإضافة إلى ذلك فإن الإدارة لا بد أن تضع في اعتبارها مجال التطورات في التكنولوجيا في ميادين أخرى غير المعلومات لتحقيق قدر أكبر من الكفاءة.

(ك) العامل الأسرى :

السياسة Politics والدبلوماسية هما من بين المهن التي يوجد فيها مجال ثرى بشكل خاص لإيجاد شراكة بين الزوجين. وكان من الواضح عبر التاريخ مدى مديونية رجال الدولة لزوجاتهم. وفي الأونة الأخيرة فقط، ومع تحرر المرأة وتعاطف دورها في الحياة العامة، فإن الطرح العكسي أصبح واضحاً بالقدر نفسه. كما أن دور الزوجة الدبلوماسية قد تم تأريخه بشكل فيه طرافة في عدد من المناسبات^(١٥) ولكن مازال من السهل الإقلال من شأن هذا الدور.

إن الدور المتزايد الذي تلعبه الدبلوماسيات يجذب الانتباه بحق، على الأقل من وجهة النظر الأسرية. فعندما سمح للمرأة للانضمام لأول مرة إلى الخدمة الخارجية

البريطانية (وهو الاسم الذي كان يستخدم وقتئذ)، كانت اللوائح تجبرها على الاستقالة عند الزواج. وقد تهكم البعض مقترحين على الذين يعارضون الفكرة كلها أن يتم اختيار الفتيات اللاتي على درجة عالية من الجمال والجاذبية والمقدرة بحيث يتم زواجهن بسرعة. واليوم يختلف الموقف عن ذي قبل، فهناك عدد كبير من الدبلوماسيات المتزوجات. وأصبح من المعتاد أن يوجد عدد من الدبلوماسيات المتزوجات من دبلوماسيين في المهنة الدبلوماسية. ومضت تلك الأيام عندما كان يفترض أن الزوجة لن يكون لها عمل مهني خاص بها وأن مهنة زوجها القائمة على التنقل من بلد إلى آخر لن تشكل أية مشاكل لها في هذا الشأن. فاليوم، عندما يكون لكل من الزوجين مهنة، فإن التنقل يخلق صعوبات وضغوط على أحدهما، وهذا الأمر يتطلب أن يؤخذ في الاعتبار بحرص. فالقيمة الأساسية لفريق الأسرة لم تنقلص. وصعوبات تحقيقها بكل تأثيرها قد تعززت كثيراً.

وبالطبع فإن الحياة الأسرية قد تعقدت بسبب وجود عامل التنقل. فالجانب الإيجابي يتمثل فيما يضيفه التنقل من أثاره على تنشئة الأطفال. والجانب السلبي هو الاختيار غير السار الذي يتطلبه التنقل بين انفصال الأطفال عن ذويهم لصالح استمرار تعليمهم في وطنهم، وبين التعليم المتقطع والهش الذي يعتبر ثمن لبقائهم مع ذويهم عندما يتنقل هؤلاء من موقع إلى موقع آخر.

ويقدم النظام البريطاني للمدرسة الخاصة بمصروفات والتي يطلق عليها Public School نموذجاً مخففاً من نوع ما يجعل من التعليم في المدارس الداخلية تعليماً ليس غير عادي، حتى في حالة العائلات المستقرة. ونظام التعليم الفرنسي (Lycée) من النظم الممتازة بسبب اتساق التعليم المدرسي اليومي الذي يتوافر في كل أنحاء العالم، وبهذا يمكن أن تكون هناك استمرارية حتى بالنسبة للعائلات دائمة التنقل. وليس هناك حل مرض تماماً. فأبناء الدبلوماسيين من الفطنة بحيث يمكنهم أن يخرجوا باستنتاجاتهم المتنوعة والتي لا تكون دائماً محل تقدير. فكثير منهم يستمدون خبرة هائلة في السفر جواً ويحافظون عليها.

الاتجاهات المستقبلية في منظمة الخدمة الدبلوماسية :

من بين الصفات المطلوبة في الدبلوماسيين أكثر من غيرها، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، القدرة على التكيف، فالضرورة تقتضى أن يكونوا على استعداد لأن يقتلعوا أنفسهم من الجنور، ذهنياً ومادياً، لأن وظائفهم فى الخارج تنقلهم من دولة إلى أخرى. والطريقة التى تنظم بها الخدمات الدبلوماسية قد مرت بتغييرات هائلة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. ولا يوجد سبب للافتراض بأن معدل التغير سيتقلص. فالاعتماد المتبادل العالمى المتزايد سيتطلب استجابات متغيرة للظروف التى تواجهها كل دولة. وهناك أربعة اتجاهات ممكنة مقترحة. الاتجاه الأول يتمثل فى أنه منذ ١٩٤٥ ظهر عدد كبير من الأعضاء الجدد للأمم المتحدة مما أدى إلى تشجيع نمو كبير فى شبكة البعثات الدبلوماسية الثنائية، وربما كانت هناك بعض الحيل فى الماضى لدى الدول الناشئة لاعتبار التمثيل الدبلوماسى المحكم فيما وراء البحار أحد المقومات الجوهرية للسيادة التى حصلوا عليها حديثاً. ولكن الحقائق الاقتصادية الصعبة وضعت هذا الميل تحت ضغط متزايد. وعلى أى حال فإن نمو المراكز الدبلوماسية الدولية، وحجم العمل الذى يتم على المستوى المتعدد الأطراف وليس على المستوى الثنائى، يدعو إلى التشكيك فى مدى صلاحية الشبكة على النطاق السخى فى الماضى. وفى الوقت الذى قد تكون فيه الدبلوماسية متعددة الأطراف بمثابة صناعة النمو، فإن احتمالات الدبلوماسية الثنائية أصبحت محفوفة بالمشكلات.

ثانياً: إن الاتجاه نحو تعددية أطراف العمل الدبلوماسى قد تشجع البحث عن أنشطة يمكن أن تستقل عن العمل الدبلوماسى والسياسى الرئيسى. وكانت الخدمات التجارية والقنصلية والإعلامية منفصلة عن "جوهر" الدبلوماسية حتى سنوات قليلة ماضية، كما سبق أن أوضحنا. وإن أسس دمجها فى نطاق المدخل الشامل لمقدرة السياسات التى ركزت عليها هذه المحاضرات، قد تصبح أقل إقناعاً مع مرور الوقت. وقد نرى عملياً اتجاهاً للدبلوماسية الثنائية للتركيز - بشكل متزايد - على الأعمال التجارية والثقافية والإعلامية والقنصلية، بينما العمل السياسى والاقتصادى يعكس الاتجاه المتزايد نحو الدبلوماسية المتعددة الأطراف. وقد يؤدى هذا إلى موقف تدار فيه المناصب الثنائية بموظفين محليين شيئاً فشيئاً. ولكن إذا حدث ذلك فلن يكون هذا أمراً جديداً.

فالعامل القنصلى مثلاً، انتعش قبل ظهور الخدمات الدبلوماسية المنظمة. وكانت الجاليات الأجنبية تعين أحد أعضائها ليكون ممثلاً (قنصلاً) فى العاصمة أو البلاد التى تقيم فيها. وحتى هذه الأيام فإن وثيقة من نوع خاص تعطى للقناصل العاميين أو القناصل لتمنحهم صلاحية لتعيينهم، وهى معروفة باسم البراءة القنصلية exequatur^(١٦).

ثالثاً: إن أى فصل للعمل الدبلوماسى لى يؤديه موظفون محليون فيما وراء البحار أو وكالات غير حكومية سيشجع التبادل بين الخدمة الدبلوماسية، التى تتمركز فى الوطن بشكل متزايد، وتتركز على العمل السياسى والاقتصادى "الجوهري"، من جهة، وبين الخدمة المدنية الداخلية، التى ترتبط بشكل متزايد بمسائل لها أبعاد خارجية من جهة أخرى. وقد أشرنا من قبل إلى الأفكار التى وردت بهذا الشأن فى تقرير صدر عام ١٩٧٧ عن موظفى مراجعة السياسات المركزية. وربما أدت التحركات نحو تكامل متزايد داخل الاتحاد الأوروبى إلى إحياء هذا الموضوع.

رابعاً: قد يكون هناك اتجاه نحو النشاط الدبلوماسى الجماعى. فالاتحاد الأوروبى لم يتطور بعد إلى الدرجة التى تشعر عندها حكومات الدول الأعضاء أنها يمكن أن تعهد بتمثيلها الخارجى إلى شبكة البعثات الخاصة بالمفوضية الأوروبية. ولكن هناك إمكانية تجميع التسهيلات والتوفير فى الموارد، سواء أكانت موارد بشرية أم مالية. ولقد كان هناك تبادل للدبلوماسيين على مستوى الإدارات، على سبيل المثال بين وزارات خارجية ألمانيا وفرنسا وبريطانيا.

والنقطة الجوهرية هى أن الجهاز الدبلوماسى المحترف يجب أن يظهر القدرة على التكيف والتخيل، وهما ضرورتان للقيام بمسئوليته بجدارة على المستويين الاستشارى والتنفيذى وليست هذه مجرد مسألة تتعلق بالحرص الإدارى والوضوح. إنها أيضاً تتعلق بمنزلة وموهبة كل دبلوماسى على حدة. والآن تتحول هذه المحاضرات إلى هذه المسألة.

(٩)

اكتساب المهارات الدبلوماسية : الصياغة

تعتمد أية منظمة، مهما كانت جيدة التصميم والإدارة، لتحقيق فاعليتها على نوعية الأفراد الذين يعملون فيها أولاً وأخيراً. ومن هنا تأتي أهمية تعيين العناصر الصالحة والتدريب وتنمية المهنة، وهو ما سبق أن تعرضنا له في المحاضرة السابقة من بين مسائل أخرى. وفي الوقت نفسه، فإن المهنة تتوقف إلى حد كبير على مقدرة أعضائها على تدريب أنفسهم وعلى تنمية مهاراتهم الشخصية. والموضوع الذي تكرر في هذه المحاضرات هو أن مهارات أى دبلوماسى يمكن أن تكتسب أساساً بفضل الممارسة الطويلة والخبرة، ويشمل ذلك مراقبة الآخرين في أثناء العمل. ولكن التدريب في البداية يمكن أن يكون مفيداً وأبلغ مثال نجده في استخدام الكلمة المكتوبة في الدبلوماسية.

الدعوة والكلمة المكتوبة :

الدعوة Advocacy هي جوهر العمل الدبلوماسى. وفي أى مجال يتفاعل فيه الناس، فإن الدعوة تحتل قلب التفاعل. وكلما كان موضوع التفاعل مهماً ومركباً، وكلما كانت الألفة المشتركة بين المتفاعلين كبيرة، كلما أصبحت مهمة الدعوة دقيقة. ويجب أن تحتل الدبلوماسية أعلى مرتبة من مراتب الإقناع. فإقناع الناس يأتى إما بالعقل أو العاطفة، أو على الأرجح بمزيج من الاثنين. وقد يتم إقناعهم أو تملقهم أو مجاراتهم أو إلهامهم، ويمكن تضليلهم. فالانطباع الذى يتركه شخص آخر هو مزيج من عناصر

عديدة: ثقافية وأخلاقية ومادية وشخصية. وهذا المزيج، فضلا عن ذلك، له شق متعلق بالطبيعة وشق متعلق بالفن.

وفي النهاية فإن الدعوة في حالة الدبلوماسية تبدأ بإعداد النصوص وصياغتها بشكلها النهائي للاستخدام الشفوي أو على شكل مكتوب. وتتضمن كلمة "الدعوة" في طياتها الشكل القانوني والإجراء، مما يؤكد أن النصوص الدبلوماسية لها خصائصها المميزة.

ويصر سير هارولد نيكلسون على أن "الدبلوماسية" ليست في الحادثة الودية، ولكنها أسلوب تبادل المستندات في شكل يمكن التصديق عليه. فالاتفاق الذي يلتزم بنص مكتوب تكون له حجية في المستقبل أكثر من أى اتفاق يعتمد على تفسير متغير لموافقة شفوية⁽¹⁾. ولهذا فإن الدبلوماسية لا يمكن أن تهتم إلا بالنصوص: ما قالوه، وما لم يقولوه وكيف قالوا ما قالوه، ولماذا قالوه. وهذا أمر حيوي أيضا في المدى الطويل. وهناك نوع من الصدق في القول بأن درس التاريخ هو أن رجال الدولة لا يتعلمون من التاريخ؛ فهم مشغولون بصنع التاريخ وليس لديهم وقت لدراسته. أما نحن - معشر الدبلوماسيين - فإن علينا مسؤولية ألا نقع في هذا الخطأ. فالمحفوظات في الملفات الجيدة واستخدامها الفعال، أمر جوهري لعملنا.

والعناصر الرئيسية للصياغة الدبلوماسية للمسودات لا تختلف عن الصياغة بوجه عام. وتعريف فعل "صاغ مسودة" هو أن تكتب شيئا في صيغته "المبدئية". ومعنى هذا أننا نهتم بنوع النص عندما لا نتوقع أن نصل إلى الصيغة النهائية من أول محاولة. فإذا تخيلنا أننا سنصل إليها مباشرة من أول محاولة، فلا يجب أن نتحدث عن صياغة مسودة. وفضلا عن ذلك، فإن ما تعنيه صياغة نص في شكله المبدئي هو أن عملية كتابته بالشكل الصحيح قد يتم في النهاية بشكل جماعي وليس بشكل فردي. ومن الملائم أن نمارس فن الصياغة الدبلوماسية تحت العناوين التالية: المضمون، والشكل، والأسلوب، والجهد الجماعي.

المضمون :

في البداية فإن الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات هي :

“ما الرسالة التي ترغب في أن تنقلها، وإلى من ترغب في أن تنقلها؟” ولا بد أن تكون الإجابات دقيقة حتى تكون مفيدة. وبالنسبة للسؤال التالي المهم فالأمر يحتاج إلى دقة أيضا: “ما نوع الرسالة؟”. فمثلا هل نحن نهتم بنقل معلومات؟. وبالطبع لن تكون المعلومات من أجل المعلومات، ولكن باعتبارها وسيلة للمساعدة في الإقناع. هل نحن نؤكد نتيجة ما؟. وهي ليست أية نتيجة في حد ذاتها، ولكن باعتبارها أساس للاتفاق وللقيام بالمتابعة. هل نحن نهدف إلى أن نترك لمتلقي الرسالة أن يصل بنفسه إلى خلاصة ما؟ على أساس أن الناس قد يفضلون أن يقنعوا أنفسهم بأنفسهم بدلا من أن يسمحوا لأنفسهم بأن يظهروا بمظهر الذين يقتنعون بمنطق الآخرين. إن محبى المسلسل التلفزيوني “نعم، يا معالي الوزير” Yes, Minister يرون أن هذا الأسلوب المعين في التعامل يستخدمه موظفو الحكومة بفاعلية كبيرة مع الوزراء. (تحول هذا المسلسل التلفزيوني الناجح بعد ذلك إلى “نعم يادولة رئيس الوزراء” Yes, Prime Ministe بعد أن شغل الوزير في المسلسل منصب رئيس الوزراء – المترجم) وهناك احتمال في أن الرسالة المرغوب فيها هي أن يكون هناك مزيج من هذه العناصر كلها، حيث إنها مترابطة بقوة، وهي نقطة تم تلخيصها في المعانى العديدة لكلمة “مجادلة” Argument . فالمجادلة يمكن أن تعنى تصريحا بعرض حقائق للتأثير في العقول، ومن ثم مساندة طرح ما proposition ويمكن أن تعنى سلسلة مترابطة من التصريحات تهدف إلى إقامة موقف ما (أو هدمه)، وهي بهذا تكون بمثابة عملية إقناع منطقي reasoning . ويمكن أن تعنى عرض ما هو في صالح المقترح وما هو ضده، أى المناقشة discussion أو المحاوره debate ويمكن أن تعنى ملخصا لموضوع كتاب أو مسرحية ومن ثم عرض لمضمونها.

والسؤال التالي الذي يجب أن نضعه في الاعتبار هو ما الذي يجب أن تتضمنه الرسالة. أكرر “يجب”، لأن أى شيء في المضمون يكون مرغوباً فيه أكثر منه جوهرياً قد يكون من الأرجح أن يحذف، وواجبنا أن نتعامل مع ما هو جوهرى ونقله في شكله المتناسك الدقيق المقنع، ويقتضى هذا، شأنه شأن أى شيء آخر في الدبلوماسية،

بذل مجهود كبير. ويجب أن تفترض أن كلا من رغبة المتلقى فى التركيز على رسالتك وقدرة هذا المتلقى على استيعابها تكون محدودة. ومن ثم فإن تلخيص الفكرة يساعد القارئ أو المستمع. ويمكنك أن تستفيد إذا فكرت فى بداية ووسط ونهاية للفكرة. ففى البداية تتحدث عما يستفعله، ثم تفعله، ثم تنتهى بأن تذكر ما فعلته. وهذا الأسلوب يساعد على أن تركز ذهنك. وكان فرنسيس بيكون Francis Bacon رجل الدولة و كاتب المقال والفيلسوف والمفكر المنظم الإنجليزى يردد دائماً بأن القراءة تصنع "رجلاً كاملاً" والمؤتمر (أو الخطبة) تصنع رجلاً "مستعداً"، ولكن الكتابة تصنع رجلاً "مدققاً". كم مرة تحاول فيها أن تصنع فكرة على الورق، تدرك أن فكرتك ليست دقيقة بما فيه الكفاية؟ إن الكتابة تركز الذهن. وهى تساعد على إدراك متى يجب عدم إرسال الرسالة. وبعض أفضل الخطابات التى تكتبها هى التى لا ترسلها.

والوجه الآخر للعملة هو السؤال : "ماذا يمكن أن نحذفه؟". إنه لمن المدهش أن نعرف حجم ما يمكن حذفه، دون أن تتأثر الرسالة، بل بما فيه تعظيم لفاعليتها. وكتاب المسرح لديهم علم بذلك. وكذلك كتاب القصص البوليسية ومعدي الإعلانات. وقد سعدت بإعلان أخير عن شركة إيجل ستار للتأمينات باعتباره درساً عملياً فيما يمكن حذفه دون أن تفقد الرسالة قوتها. ومثالى الثانى، الذى يستحق الشكر عليه المندوبيون المجهولون الذين عانوا معاناة طويلة فى مفاوضات الجات GATT (الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات)، وهو مثال لكيف يمكن أن تتحدث لفترة طويلة دون أن تقول شيئاً.

فإذا كان معروفاً عنك أنك لا تسرف فى استخدام الكلمات فمن المحتمل أن تكون مقروءاً وأن يستمع الناس إليك. ولكن الاختصار لا يأتى بسهولة. إن بليز باسكال Blaise Pascal عالم الرياضيات وعالم اللاهوت والمؤلف الفرنسى الذى اشتهر فى القرن السابع عشر هو الذى قدم الفكرة التى أصبحت مألوفة الآن من أن الوقت الذى يحتاجه كتابة خطاب قصير أطول من الوقت الذى يحتاجه كتابة خطاب طويل⁽³⁾.

ولكن هناك كلمة تحذير لابد من إضافتها. لا تضحى بالوضوح فى سبيل الاختصار. إن الاختصار هو مجاملة كبيرة للمتلقى لرسالتك. ومع هذا، فإن الوضوح أمر جوهري، بل إنه أكبر مجاملة على الإطلاق.

فلنفترض أن الرسالة منظمة ودقيقة وكاملة - وأنها تمثل إنجازاً ليس سهلاً. ولنفترض أيضاً أنه نتيجة لذلك أنها ستوحى للمتلقى بأنها متوازنة، وليس معنى ذلك القول بأنها لا تعبر عن آراء سديدة. كل ذلك شرط ضروري، ولكنه ليس شرطاً كافياً. فالرسالة يجب أن تتحلى أيضاً بصفة المغناطيسية بحيث تجذب المتلقى إلى جوهرها. فالكاتب، له في النهاية ميزة كبرى على القارئ في أنه يختار الأرض التي يلعب عليها. فهو لهذا يحتاج إلى أن يضمن أن القارئ وضع قدمه على الطريق الصحيح وهو يشجعه على أن يستمر فيه. والحملة الأولى قد تبدو أساسية في هذا الصدد. وما يتبع ذلك لابد أن يبقى على الإحساس بالأولويات، والترتيب الزمني، وعلى تجميع الأفكار والآراء ذات الصلة. ويمكن تدعيم ذلك بالأمثلة والوصف والإضافة والتطوير والتنوع. ويمكن أيضاً تقوية الرسالة بأن تؤدي دور محامي الشيطان Devil's Advocate (وسيلة في المحاكاة للتوصل إلى ما يفكر فيه الخصم والاستعداد له - المترجم) ثم تحذف حجج الشيطان بعد ذلك. ولكن لب الرسالة يجب ألا يغيب عن بؤرة الاهتمام. وأخيراً، تذكر أنه في هذه المرحلة فإن رسالتنا مازالت مسودة. بل إنه يمكنك أن تقول إنه إذا وصلت إلى الصيغة السليمة من أول مرة، فإن هذا يعني أنك لا تفهم المسألة. ربما في هذا شيء من المبالغة، ولكنها ليست مبالغة ممقوتة.

الشكل :

في أي نشاط أو أي منحي من مناحي الحياة يجد المرء أن بعض الأعراف Conventions تراعى وأنها وطدت نفسها على أنها أعراف مفيدة وملائمة. وقد يتساءل الإنسان لماذا وجدت هذه الأعراف؟ إنه من المفيد دائماً أن نفحص العلة من هذه الأعراف، نون أن يعنى ذلك بالطبع الالتزام بقبولها بشكل ألى. وفي العادة يجد المرء سبباً وجيها لهذه الأعراف. ويجذبني تعريف للشخص المحافظ conservative بأنه الشخص الذي لا يعتقد أن والده أبله. وفضلا عن ذلك فإن الأعراف هي ببساطة مسألة تتعلق بالراحة. فهي متصلة بتخفيف حدة التوتر بل وتجنب الحروب. وعلى مستوى لا يتسم بالخيال، فإن أنماط السلوك لها أهمية. فالبهلاء وحدهم الذين يسخرون من

آداب السلوك، فهي تسهل الحياة، على حد قول أحد الفرنسيين الحكماء. وكالمعتاد، لدى شيكسبير شئ عميق بقوله في هذه المسألة :

نح الدرجة جانبا، ولا تضبط الوتر

والنتيجة أنك ستستمع إلى نشاز^(٣).

فمن المهم أن توجه ملاحظتك إلى رئيس الجلسة، وأن تستخدم صيغة المجاملة "سعادة السفير" عندما تخاطب السفراء، إلا إذا كانوا يفضلون أن تخاطبهم بعبارة "السيد السفير"، كما أنه من المهم أن تراعى المجاملات المعتادة، حتى في حالة أولئك الذين يكون لديك سبب وجيه في أنهم ليس لهم الحق الأدبي في هذه المجاملات. والمبرر نفسه ينطبق على احترام الأشكال العتيقة غير المألوفة في المحادثة الدبلوماسية. فالن المسألة تتعلق في معظمها بمعاملات بين الحكومات والهيئات الرسمية، وقد تتضمن تعهدات رسمية وتفاهات، فهناك ميل في اللغة الدبلوماسية نحو الصيغ العتيقة النمطية، إن لم يكن نحو الصيغ الوقورة والفخمة. ويمكن الدفاع عن ذلك إلى حد ما، على أساس الدقة فيما يتعلق بالنصوص السابقة وغيرها من أشكال السوابق. صحيح، أنه كما أن الجوهر يتأثر بالعملية، فإن المضمون يتأثر بالشكل. ولكن لا يعنى هذا أن الشكل يقيد المضمون بالضرورة. فالتعبير الفني يؤيد فكرة أن إجادة الشكل يمكن أن يعزز القدرة على الإبداع بدلا من أن يخنقه، وعلى الوتيرة نفسها فإنه يقوى تأثير الرسالة التي تريد أن تنقلها بدلا من أن يضعفها. فإجادة الشكل يعطى مجالاً لأصالة التعبير، ولتفرد التعبير. فالاستخدام الجيد لشكل مألوف، أو تنوع منه يجذب النظر، يمكن أن يضيف إلى التأثير. فالاستغلال الحكيم للشكل يمكن أن يحول العصا الغليظة إلى سيف مسلول. لقد كان هناك دافع الضرائب الذي تعود أن ينهى خطابه إلى سلطات الإيرادات الداخلية بعكس التحية الرسمية المعتادة في زمانه وهي "ودمتم يا سيدي" Sir. You are ، بصيغة "خادمي المطيع" My obedient servant . ولست متأكدًا هل أدى هذا إلى خفض فواتير ضرائبه أم لا. ولكن مما لا شك فيه أن ذلك أسهم في شعوره بالسعادة. ومن المثير للاهتمام أنه في نهاية الحرب العالمية الثانية بحثت وزارة الخارجية هل تقوم بتغيير نظام صياغة البرقيات، ولكنها توصلت إلى أننا قررنا عدم إدخال أى تغيير لأنه من المغالطة الاعتقاد بأن تحرير برقية يعوق التعبير المقتضب البليغ.

وفى هذه المحاضرة لن أخوض بالتفصيل فى أى شكل دخيل من أشكال الاتصال الدبلوماسية، مثل المذكرات التى تحرر بضمير المتكلم والتى يتداولها رؤساء البعثات فيما بينهم، أو المراسلات الرسمية بضمير الغائب وهى أيضا مراسلات شائعة فى الدبلوماسية. ففى بعض الأحيان يتغلب احترامهم للمراسم على إخلاصهم وصدقهم فى القول. فعلى سبيل المثال قد يعلن محررو هذه المراسلات أنهم لا يستطيعون أن يكفوا عن التعبير عن ثقتهم فى العلاقات الودية المستمرة بين الدولتين، بينما يعلم الجميع أن هاتين الدولتين تتربصان لبعضهما البعض. ولكن إذا كانت مثل هذه الجملات الرقيقة تخدم فى تخفيف درجة الحرارة وتفتح الطريق لتلاقى العقول بدلا من قعقعة السلاح، فليس هناك أى سبب فى التخلّى عنها. بل إننى أنوى أن أركز على أربع صيغ من النصوص الأقل رومانسية والأكثر عملية، والتى قد تخضع المضمون للشكل إلى حد ما، إلا أنها مثيرة للاهتمام إلى حد كبير بسبب مضمونها وهى: القرارات والبيانات المشتركة والإعلانات *declarations* ، ومحاضر الجلسات، والتقارير عن الاجتماعات أو عن الأحداث.

(أ) القرارات *Resolutions* :

إن الطريقة المعهودة التى تستخدم فى لقاءات متعددة عند تسجيل ما تصل إليه من نتائج هو عن طريق: القرار. فالأمم المتحدة، باعتبارها منظمة ونظام بوجه عام، كثيرا ما تلجأ إلى هذا النوع من النصوص. ولقد توصلت إلى شكل نمطى. ففقرات الديباجة تسرد خلفية القضية المثارة وتذكر المناقشات والقرارات السابقة كلما اقتضت الضرورة ذلك، بكلمات مثل "وإن نتذكر هذا" *recalling this* ، "وإن تلاحظ أن" *noting that* ، "وإن نعرب عن قلقنا الشديد حيال" *deeply concerned at* . والفقرات التنفيذية تسجل نتائج المناقشة. وقد تذكر الخلاصة التى توصل إليها المشاركون، وتقدم توصيات للحكومات أو غيرها من الأطراف ذات المصلحة، وقد تقرر ما يجب اتخاذه من إجراء بمعرفة الأمانة العامة مثلا، وقد تقرر إجراءات ما وتمويلا لأى عمل قررت الإقدام عليه، وقد تضع نصا إداريا حتى تبقى المسألة قيد المراجعة وتعود إليها فى وقت لاحق. وكما لاحظنا فى المحاضرة الرابعة ، فإن القرارات الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة

ليس لها أثر ملزم على أعضاء المنظمة. (أما القرارات الصادرة عن مجلس الأمن، كما أوضحنا في حالة أزمة الخليج الأخيرة، فقد تكون ملزمة إذا كانت الموافقة عليها تمت طبقاً للفصل السابع من الميثاق). ولكن حتى وإن لم يكن لها تأثير ملزم، فإن قرارات الجمعية العامة، وخاصةً إذا صدرت بناءً على تصويت، يكون لها قوة أدبية باعتبارها تعبير عن الرأي العام العالمي، وباعتبارها حكم جماعي على مسألة مهمة. وبهذا تكتب دراسة القرارات ببعض الأهمية في قياس الرأي العام العالمي. كما أن فن صياغتها وضمأن قبولها يعتبر جزءاً مهماً من ذخيرة الدبلوماسية.

(ب) البيانات المشتركة Communiqués والإعلانات Declarations :

يجتمع رؤساء الحكومات والوزراء هذه الأيام بشكل متكرر، بحيث أصبح من المرغوب فيه تسجيل ما يدور بينهم من مناقشات، بحيث يصدر في بيان مشترك يمكن أن يوقعون عليه جميعاً. ومثل هذا النص يتطلب إجراء مفاوضات مطولة بين الوفود حتى يستقيم الميزان. وفي أغلب الأحيان فإن تعقد موضوع المسألة المثارة، والرغبة في إرضاء جميع الأطراف وضغط الوقت - فلا يمكنك في الواقع أن تصوغ البيان المشترك قبل أن يناقش الوزراء المسائل، وهم لا يريدون أن ينتظروا طويلاً بعد أن يفعلوا ذلك قبل الموافقة عليه - كل ذلك يأخذ أولوية على القيمة الأدبية للنص. وفي العادة لا يشار إلى البيانات المشتركة باعتبارها أفضل نماذج متوفرة للنشر. ولكنها تتبع معرفة متعمقة لما يجري، حتى وإن كانت تحتاج إلى فك رموزها. وفي حالة الاجتماعات الدورية للمنظمات القائمة - مثل المجلس الأوروبي أو منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD أو البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، فإن إجراء مقارنة مع البيانات المشتركة التي صدرت بعد الاجتماعات السابقة تشير إلى ما قد يكون حدث تعديل فيه.

والإعلانات **declarations** لا تصاغ على عجل، ومن هنا فثمة احتمال أن تكون قيمتها الأدبية أكبر من البيانات المشتركة. وفي العادة تغطي الإعلانات موضوعاً واحداً وليس جدول أعمال الاجتماع ككل. وفي الغالب الأعم تخضع هذه البيانات لإعداد دقيق

قبل إصدارها بمعرفة الموظفين الذين يعملون نيابةً عن رؤسائهم على مستوى الوزراء. وإذا كان هذا الإعداد جيداً فإن النصوص بالتالي تكون أكثر إيجابية وحسماً. وتقدم اجتماعات الدول السبع، أو المجلس الأوروبي أو رؤساء حكومات دول الكومنولث أمثلة جيدة عن ممارسة اختيار موضوع معين لإصدار إعلان يكون منفصلاً عن نص البيان المشترك العام.

(ج) محاضر الجلسات Minutes of Meetings :

في بعض الاجتماعات المهمة يكون هناك تسجيل حرفي لكل ما دار. ولكن حتى في حالة عدم توفر ذلك، فقد يكون هناك تسجيل ملخص ونوع من أشكال التسجيل على شرائط للرجوع إليها عند الضرورة. ولكن مثل هذه التسجيلات قد يكون استخدامها محدداً في الوصول إلى جوهر ما دار في اجتماع ما من أجل الاستعانة بها في توضيح أمر ما أو للاسترشاد بها. وبالطبع عندما تتم الموافقة على نص ما فإنك تعرف ما يحتويه بصورة أو بأخرى، إلا أنك تحتاج إلى دراسة متأنية للمصطلحات التي قد يستخدمها المندوبون فيما بعد لتوضيح أسباب تصويتهم على النص. وفي الأمم المتحدة فإن توضيح أسباب التصويت هو الوسيلة لتسوية الحسابات مع الدوائر المثيرة للشغب. فمثلاً قد يوضح مندوب أنه على الرغم من تصويته منذ قليل على قرار يؤكد أن الطباشير مختلف عن الجبن، إلا أن حكومته تؤمن بالفعل أنه في ظروف معين قد يكون هناك تماثل بينهما. وعندما تكون النتيجة غير واضحة فإن تسجيل المناقشات الذي يحتويه محاضر الجلسات يكون مفيداً. ولكن غالباً ما تكون المناقشات مسهبة وغير مقنعة لدرجة أن تسجيلها حرفياً كما قيلت لا يحقق غرضاً مفيداً. ولهذا السبب فإن المديرين يصرون على أنه ليكون تسجيل اجتماع ما مفيداً، لابد أن يحتوي على القرارات التي تم التوصل إليها (أو تم التوصل إليها جزئياً)، وأن تسجل عند الضرورة القرارات التي كان يمكن اقتراحها حسب الروح السائدة في الاجتماع، والتي كان بعض المشاركين يحلمون بالتوصل إليها. أي أن رئيس الجلسة، بمعنى آخر، يمكن أن يضمن، عن طريق المحاضر التي توزع عقب الاجتماع، نوعاً من الحسم الذي لم يتحقق في الاجتماع نفسه، ويترك للحاضرين، عندما يطلعون على المحاضر في المسودة، أن يعترضوا إن أرادوا على ذلك⁽⁴⁾.

وهكذا فإن نطاق صياغة المحاضر بشكل خلاق هو نطاق واسع، كما تم تسجيله في السطور التالية :

والآن عندما ينصرف العظماء لتناول عشاءهم.

فإن أمين الجلسة يجلس، وهو يزداد تضاقلاً.

يقدم زناد فكره ليسجل ويكتب تقريراً.

عما يعتقد أنهم فكروا .

فيما كان ينبغي أن يفكروا فيه⁽⁵⁾.

(د) السجلات Records :

إن موهبة كتابة محاضر الجلسات تنفع في المجال الأوسع لتسجيل الحادثات والمقابلات بوجه عام. وهناك منطقة رئيسية أخرى هي الإبلاغ عن التطورات، وإمكانات الدبلوماسيين في الخارج الذين مهمتهم هي إبلاغ زملائهم بالوطن بمجريات الأمور باستمرار. والدقة أهمية بالغة، وكذلك السرعة وأيضاً القدرة على الانتقاء. فالإبلاغ بالحقائق والتعليق عليها أمران جوهريان. ولكن لا بد أن يكون كل شيء واضحاً تماماً. فإذا كانت الحقائق غامضة، فيمكنك أن تعد بأن توضيحها أكثر في مرحلة سابقة. وإذا كان مصدر المعلومات مشكوك فيه، فلا بد أن تذكر ذلك. وإذا لم تكن متأكدًا أنك تفهم ما قيل لك، لا تخشى أن تسأل. وهناك صعوبات واضحة في التعامل بلغة ليست لغتك الأصلية. كن حريصاً على تتبع الموضوع وفهمه جيداً فمن الأفضل أن تقلل من تقدير معرفتك بلغة أخرى، أو تسمح للآخرين بأن يفعلوا ذلك، بدلاً من أن تخلق الانطباع بأنك تجيد هذه اللغة بقدر أكبر من الحقيقة.

وأما عن التقارير، فاكتبها بشكل واضح على قدر المستطاع. واجعل الفقرات قصيرة. واستخدم عناوين جانبية إذا كان ذلك مفيداً. وابتعد عن الجمل المعقدة. وإذا لم تستطع أن تقرأ تقاريرك بسهولة، فمن المرجح أنها ليست واضحة كما يجب أن تكون.

وإذا أردت مرشداً جيداً فى إعداد التقارير، فليس عليك إلا أن تقرأ مقالات فى صحف ذات سمعة محترمة. لقد أعجبت إعجاباً شديداً بالطريقة التى يقوم بها كبار الصحفيين بعملهم. فهم يخرجون ويحصلون على المعلومات مباشرة من فم الأُسَد. وهم يقيمونها. وهم يصوغونها بطريقة تميز بين ما هو حقيقة وما هو رأى وما هو تفسير. وهم يفعلون كل ذلك فى إطار مواعيد محددة بدقة. والدبلوماسيون ليسوا فى منافسة مع الصحفيين. ولكنهم يمكن أن يتعلموا الكثير منهم.

(هـ) الأسلوب Style :

كلمة "الأسلوب" من الكلمات المرنة: فهى قد تعنى التمييز والامتياز والأصالة والشخصية فى أى شكل من أشكال التعبير الأدبى أو الفنى. وجوهر الأسلوب يتمثل فى الفردية. وهو متطلب "إضافى"، وأضعه فى الدرجة الثالثة بعد المضمون والشكل، لأنه يحتوى فى النهاية على عنصر اختيارى. إن إضفاء المحسنات اللفظية على نص من أجل هذه المحسنات ليس هو بيت القصيد. فالهم هو تقوية الأثر المواتى للنص بأن يضاف إليه جودة وبُعد بحيث يبدو للمتلقى أمراً فطرياً وطبيعياً، وليس أمراً مضافاً أو مفتعلاً.

لا تنهافت بحثاً عن الأسلوب. "الطهى غير المسبك" قد يكون أفضل. وإذا كان المضمون والشكل ملائمين، فإن الأسلوب سيعتنى بنفسه إلى حد كبير. ومرة أخرى فإن مسألة الصياغة لها أهمية خاصة عندما تستخدم لغة غير لغتك. ومن الطبيعى أن تحقيق الدقة والوضوح أصعب باللغة الأجنبية عنها بلغتك الأصلية. وأولئك الذين تعتبر اللغة الإنجليزية بالنسبة لهم لغة أصلية لديهم ميزة على زملائهم مما يبدو أنه يمثل ظلماً، وقد خطر لى أن اقترح فى اجتماعات الأمم المتحدة ألا يسمح لأى مندوب أن يستخدم لغته الأصلية. فهذا سيؤدى إلى اختصار المناقشات وسيكون لذلك ميزة إضافية هى توفير الوقت والمال. وأشك فى أن يلقى هذا الاقتراح تأييداً كبيراً. من المثير للاهتمام أنه تطور فى الأمم المتحدة ما يعرف بـ"إنجليزية المؤتمرات"، وهو شكل من أشكال الاتصال الذى يستخدم عدداً محدوداً من المفردات. ويساعد هذا على تحقيق الدقة دون زخرفة بلاغية، ولكن لا يضيف هذا بالضرورة إلى متعة الإنصات أو القراءة.

وحتى عندما تستخدم لغتك الأصلية، فإن الدقة أهم من البلاغة. ويمكن لبرامج مراجعة الهجاء الذى تقدمه نظم المعلومات أن يكون سلاحاً ذا حدين. فهذه البرامج مثلاً رفضت فى إحدى المناسبات حسب خبرتى كلمة "libretto" واستبدالها بكلمة liberalism وقد أضفى ذلك على الجملة المعنىة طابعاً فيه شئ من الغموض. (libretto معناه "النص" وبالذات نص كلمات الأوبرا أو الأوبريت بينما كلمة liberalism معناها التحرر الفكرى - المترجم).

ولروح الدعابة مكان فى الصياغة. فالمرء يمكن أن يكون جاداً بون أن يكون مترمماً بلا داع. ولكن النكات، هى أيضاً من الأمور الجادة وخاصةً إذا كان هناك أكثر من لغة فليس من السهل ترجمة النكات، فالتورية إذا ترجمت تفقد تأثيرها المضحك.

ويمكن لتشكيل الحروف أن يكون اختيارياً كما يمكن أن يكون من القواعد المقبولة. وهناك شائعة بأن شباب الدبلوماسيين الفرنسيين يتلقون تعليمات عند التحاقهم بوزارة الخارجية الفرنسية بالأى يستخدموا علامات الاستفهام أو التعجب على الإطلاق. ومعنى هذا - كما يقول أحد الساخرين - أن وزارة الخارجية الفرنسية لا توجه أسئلة إلى نفسها إلا قليلاً، وأنها لا تشعر أبداً بالدهشة.

(و) الجهد الجماعى

ونكرر أن الصياغة، هى عملية كتابة نص فى صورته المبدئية. ويعنى هذا أولاً، أننا لا نتوقع أن نحصل على النص النهائى من المحاولة الأولى، وثانياً، أن عملية الوصول بالنص إلى شكله السليم هى عملية جماعية وليست فردية على الأرجح. وفى حالة أى مستند مهم فمن المؤكد أن العملية ستكون جماعية، وقد تكون شاقة وتستغرق وقتاً طويلاً. ومن المحتمل أن يبدأ شباب الدبلوماسيين العملية. فمن الجوهري أن يكتسبوا عادة سؤال أنفسهم كيف سيبدو أول تقرير مبدئى فى أعين رؤسائهم، وخاصةً إذا كان النص النهائى سيحمل اسم شخص آخر. هل سيحمل اسم السفير أو وزير الخارجية؟ وكيف سيؤثر هذا على النص المبدئى؟ كيف يمكن أن تمزج المضمون الرسمى للنص المبدئى مع نوع المدخل أو الأسلوب الشخصى الذى تعرف أن السفير

أو وزير الخارجية يحبذه؟ إذا كان النص غير شخصي، فهل يمكن - مع هذا - أن يمزج بين الإقناع والسلطة والدقة؟.

وإذا طلب منك أن تكتب النص المبدئي، فعليك أن تسهل على الآخرين أن يروا هل يتفقون معك أو لا يتفقون، ويمكن أن يساعد في ذلك كلمة شرح ترفق بالنص المبدئي عند العرض، ويقدر كبر المساحة التي تتركها للآخرين للتعليق، بقدر ما يحتمل أنهم لن يستخدموا هذه المساحة. وعلى العكس فإن النص المبدئي إذا كان محكما قد يشق على من سيقراه بعد ذلك، ويحفرهم على التعليق حيث لا حاجة حقيقية للتعليق. ومرة أخرى، فإنه بقدر دقتك في التنبؤ برود الفعل المحتملة لرؤسائك بقدر ما يزيد احتمال بقاء نصك المبدئي دون أن يمسه سوء.

ولكن لا حاجة بك إلى الشعور باليأس إذا اختلف النص النهائي اختلافا كبيرا عن نصك الأصلي. وقد أكد فرانسيس بيكون أنه - كما أن الرماذ أكثر تجرداً من التراب - فإن خطأ معيناً من النقاش يمكن أن يكون أفيد في توليد الأفكار أكثر من نص مبدئي محايد. وقد شرح شرلوك هولمز، وهو أعظم مخبر سرى في الروايات، الأمر بشكل لاذع لمساعدة دكتور واطسن الذي كان يسيء معاملته بشدة قائلاً: إنني وأنا ألاحظ أخطاءك فإن ذلك أحياناً يرشدني إلى الحقيقة. فهناك بعض الناس، على الرغم من أنهم أنفسهم ليسوا مستنيرين إلا أنهم مع ذلك يقوون الآخرين إلى موصلات النور.

وقد استخدمت عبارة "الغريبال المقلوب" لوصف النظام الذي بمقتضاه يتم غريلة الأوراق من المستويات الصغرى في السلم الوظيفي إلى المستويات الأعلى. وبهذا تتمكن هذه المستويات الصغرى من أبعاد المستويات الأعلى عن الانتشغال بهموم المسائل التافهة. ولكن الأمر لا يتم دائماً على هذا النحو. فقد اتخذ سير هنري تيلور Sir Henry Taylor رأياً مختلفاً، وهو أحد المسؤولين البارزين العمليين في المكتب الاستعماري في منتصف القرن التاسع عشر. وفيما يلي رأيه في هذا :

- إن للنقد الرسمي قيمة أساساً عندما يصدر من الموظف الصغير على عمل الموظف الكبير، فهذا سيساعده على أن يزن التعليق دون أن يزعجه الانقياد لسلطة المعلق^(١).

إن هذا تعليق منصف، إلا أنه فرصة مفتوحة أمام صغار الموظفين. فكبار الموظفين الذين هم أقل نكاء من سير هنرى تيلور قد لا يزعجهم الانتقال لسلطة المعلقين من صغار الموظفين، إلا أنهم قد يحملون على محمل السوء الصراحة المفرطة من جانب صغار الموظفين، خاصة إذا كانت تصيب الهدف تماماً. لقد حذرتكم. (بمعنى: اللهم أشهد اللهم إنى قد بلغت - المترجم).

(١٠)

العقد الدبلوماسى (أو عشر قواعد للدبلوماسى)

فى كل الموضوعات تقريباً التى تهتم بالتفكير فيها، يمكنك أن تشتري كتاباً أو تقرأ مقالاً مفعمًا بالتلميحات عن كيفية القيام بالعمل أو القيام به بصورة أفضل. وغالباً ما تصمد القواعد العامة وحدها ويمكن بسهولة تذكرها بمساعدة بعض الإيضاحات أو بعض العبارات المنشطة للذاكرة . ولكن من المحتمل أكثر أن يكون لها قيمة باقية إذا واكبها إيضاح عما يكمن وراءها. وإلى هذا الحد يتم إيجاد صلة بين الممارسة والنظرية، وبهذا تستكمل المحاولات الجادة (أو بالأحرى الجريئة) لوضع النظرية وإيجاد صلة بينها وبين الممارسة. ولا تستثنى الدبلوماسية من هذا الوضع. ولهذا فإننى أنهى كلامى بقليل من "القواعد" التى تشير إلى الترتيب الرسمى للتخيل والتشخيص الذى حاولناه فى المحاضرات السابقة، وأنا أسمى هذه القواعد "العقد الدبلوماسى" Diplomatic Decade . والعقد ليس بالضرورة فترة عشر سنوات. فالعقد يمكن أن يكون أى مجموعة أو سلسلة عددها عشر. والمجموعة أو السلسلة يمكن أن تتغير إذا تغيرت الظروف والقواعد التى تأتى بعد ذلك، وقد تكون جيدة أو لا تكون. ومن المفترض أن السياسى الماثور يقول: "هذه هى مبادئى، فإذا لم تعجبكم فعندى مبادئى غيرها". ويعتبر الحق فى تقديم نصيحة جيدة من حقوق الإنسان الأساسية. وهناك حق آخر من حقوق الإنسان وهو حق رفض هذه النصيحة الجيدة.

(القاعدة الأولى) : لابد من وجود طرفين حتى يتم التفاوض :

يميل النقد إلى القول بأن الدبلوماسيين يؤمنون بأن كل شيء يمكن حله بالتفاوض، في حين أن رجال الدولة قادرين على تقبل مواقف تكون فيها الخلافات غير قابلة للمصالحة. وهذا - على أفضل الفروض - نوع من التبسيط للأمور. فأى دبلوماسى مجرب يعرف أنه فى بعض الأحوال لا فائدة من أية محاولة للتفاوض. والمهم التعرف على هذه الأحوال، وبهذا لا تكون هناك آمال كاذبة بالاستمرار فى البحث عن مصالحة. ولا ينطبق هذا على القول بأن لكل مشكلة حل، وإنما ينطبق هذا على مقولة بأن لكل موقف نتيجة. ولا جدوى من تقديم أى تنازل، إذا كان الطرف الآخر، بدلا من أن يشجعه ذلك على تقديم تنازل مقابل، إنما يفسر على أنه دليل على الضعف من جانبك، فبيداً فى استغلاله للتقدم بمزيد من المطالب. ولكن الدبلوماسيين يعرفون جيدا أن الخلافات التى تبدو فى الظاهر غير قابلة للتصالح يمكن فى الغالب تسويتها إذا توفر الوقت والصبر والفهم وقوة التخيل. وأحيانا يكون الشك المتبادل والتفوق الشخصى والضعف السياسى والصحة المعتلة، وحتى الإجهاد البدنى البسيط، من أهم الأسباب للوصول إلى مآزق دولى، أكثر من الاختلاف حول الصالح القومى الموضوعى. فلا ينحصر الأمر فى فهم الأسباب الذاتية المتعددة للخزاع والخلاف التى تحصد بالدبلوماسية إلى راب الصدع. إنه أيضا إدراك منه بالعواقب الوخيمة للروح العدائية التى تولدها الخلافات المفترض أنها غير قابلة للمصالحة، وهو إدراك يصر على بذل كل الجهود للسعى للاتفاق. وإذا كانت العملية المؤلمة لتحريك المياه الراكدة تعرض القائمين بهذه العملية للاتهام بأنهم سذج، أو أنهم يدعون الآخرين لخداعهم، فليكن؛ "لأنه لا يمكن أن يكتسب شيء إلا إذا كان محقوفا بالمخاطر" . Nothing ventured nothing win .

ومقولة أن التفاوض يتطلب طرفين، هى مقولة يجب النظر إليها بشكل حركى (دينامى)، وليس بشكل ساكن (استاتيكي)، وليست المسألة هى هل جميع الأطراف مستعدون فى أية لحظة للتفاوض أو لا. وهى أيضا مسألة تهيئة ظروف يمكن فيها تغيير موقف يبدو ظاهرياً إلا أمل فى تغييره، إلى موقف يمكن فيه لكل الأطراف أن يروا ثمة فائدة فى التفاوض. فمن المهم التعرف على امكانية تهيئة هذه الظروف،

للتصرف وفقاً لهذا الاحتمال، وتشجيع الآخرين على أن يفعلوا الشيء نفسه. وبالطبع فإن هذا جزء لا يتجزأ من الوظيفة العامة للدبلوماسي. فإقامة الصلات وتطويرها تساعد على دعم الاتجاهات التي تؤدي إلى السعي للاتصال وليس الابتعاد عنه.

القاعدة الثانية : المشكلة التي تُوْجِدُ يمكن أن تكون مشكلة قابلة للحل :

إن الدبلوماسي الذي يقدم مثل هذه المقولة يمكن أن يثير حنق دوائر معينة. ففي الحياة اليومية كثيراً ما نواجه بإعتراء بأن نتشدد مع شخص ما، أو نصر على أن مسألة بالذات لا يجب أن نتساهل فيها. ومثل هذا الموقف قد يكون فيه إشباع عاطفي ولكن غالباً ما يكون خاطئاً. وفي السياسة أو الدبلوماسية يمكن أن يكون كارثياً. فالشعور بالإحباط قد يكون هو أساس خطر في صنع السياسة. وسبب الإحباط قد يكون اختلافاً مستعصياً بين أطراف النزاع. ولكن، كما يذكرنا دائماً : آسبوع هو وقت طويل في السياسة. والشخصيات تتغير والحكومات تتغير والمفاهيم تتغير، والأولويات تتغير. والخلافات الحادة قد تصبح مجرد خلافات. والخلافات قد تفقد أهميتها. وإذا كان على المرء أن يختار بين أسلوب التمني الذي اشتهر به ميكوير Micawber بانتظار حدوث شيء ما من جهة ، وبين الالتجاء من جهة أخرى إلى المحاولة القاسية لتقرير أمر ما بين خصمين خلقتهم الظروف مثلما خلقه صميم الموضوع، فإنه يجب أن نفضل أسلوب ميكوير⁽¹⁾. فاحتواء خلاف قد يكون أحياناً هو كل ما يمكن إنجازه. وقد يكون إنجازاً غير بطولي. ولكن قيمته يمكن أن تكون كبيرة.

وبالطبع فإن احتواء الخلافات لا يكون بمجرد الاندفاع بطفاية الحريق عندما تشتد حدة هذه الخلافات. فالأهم هو البحث عن علامات المتاعب وإيجاد طرق لمنع المشكلة المطروحة من أن تنشأ. فالدبلوماسية الوقائية Preventive Diplomacy هي الفرع الأكثر اقتصاداً وكفاءة من فروع المهنة. ولكن هذا ليس بالضرورة ما يأتي بأعظم المكاسب في المهنة. وقد اشتكى أحد كبار الدبلوماسيين البريطانيين من أنه طبقاً للتقاليد البريطانية فإن الإنسان يحصل على تقدير عندما يستطيع أن يخرج بلده

من مواقف صعبة، أكبر من التقدير الذى يحصل عليه إذا حال دون تعرض بلده لمثل هذه المواقف الصعبة أساسا. ومع هذا فإن الأولوية للدبلوماسية يجب أن تنحصر فى احتواء المشكلة بمعنى محاولة حلها عندما تكون قد وصلت إلى نقطة الأزمة.

وقد يكون الحال أن أساسيات تسوية نزاع ما على أساس احترام مصالح الأطراف تصبح واضحة، حتى فى مرحلة مبكرة، على الأقل بالنسبة للغرباء. وقد يكون من الضرورى وجود وسيط للمساعدة لتوضيح ذلك للأطراف المعنية. وبهذا المعنى قد يقتضى الأمر وجود ثلاثة أطراف ليتم التفاوض: الوسيط وطرفا النزاع. وقد يقتضى الحال أيضا أن تكون طريقة تسوية النزاع واضحة للأطراف انفسهم، ولكنهم لسبب أو لآخر يمنعون من استخدامها. وقد وضع سير أنطونى بارسونز Anthony Parsons السفير البريطانى الأسبق فى الأمم المتحدة نظرية بارسونز التى تقرر أن أى نزاع يمكن حله عندما تصل الأطراف - فى وقت واحد - لأسباب خاصة بهم - إلى نتيجة بأن الوقت قد حان للتسوية على أساس شروط كانت متاحة منذ وقت طويل. واللازمة لهذا الطرح هى أن المجتمع الدولى يجب، باستخدام هذه الوسائل باعتباره جماعة اتصال - على سبيل المثال - أن يعملوا على التوصل إلى تسوية المنازعات والاحتفاظ بأساس الاتفاق على أهية الاستعداد للاستخدام فى الوقت الذى يشعر فيه كل طرف بأنه أن الأوان للتوصل إلى تسوية. وقد لا يكون فى هذا تصوير مباشر للقاعدة السلوكية القائلة بأن المشكلة التى تؤجل عن وعى قد تكون هى المشكلة القابلة للحل. وهذا، على أى حال، تذكرة بأن عنصر التوقيت قد يكون أكثر مراوغة من الجوهر. وهناك قول ماثور عن الحكم government يقول إن كل شىء يستغرق مدة أطول مما كان متوقعا له بشكل معقول. ولا يعنى بالضرورة أن نكون انهزاميين إذا راعينا ما يحمله هذا القول لنا.

القاعدة الثالثة : لكل شىء تاريخ طويل :

لقد سبق أن أشرنا إلى التأكيد بأن رجال الدولة مشغولون بصنع التاريخ حتى إنه لا وقت لديهم لى يتعلموا منه. ولكن الدبلوماسيين قد لا يسمح لهم بهذا التقصير. ولا يعنى هذا ببساطة ان حقائق أى موقف معين لا تمتد جذورها فى تعقيدات الماضى وصعوباته فحسب، بل يعنى أيضا أن مفاهيم الماضى تؤثر بقوة على اتجاهات الحاضر.

وأحد التعريفات الأكثر إثارة للخيال والخاصة بالأمة هي أن الأمة ما هي إلا مجتمع الذاكرة *a Community of Memory* . وفضلاً عن ذلك فإن "الذاكرة" ليست مرادفاً في هذا السياق لدقة التذكر. فالوعى الجماعى بأخطاء الماضى أو صعوباته، وما يستتبعه ذلك من كتمان التظلمات فى الصدور قد لا يضعف من كونها قائمة على أساس واه. والعكس قد يكون صحيحاً فى الغالب. وعلينا أن نفهم لماذا يفكر الناس ويتصرفون بالطريقة التى يفكرون فيها ويتصرفون. ولا يعنى هذا أننا نحتاج إلى أن نوافق على قراءة الآخرين الخاطئة أو الجزأة للماضى. وليس شعارنا "أن فهم كل شىء معناه أن نغفر أى شىء" : "est tout pardonner tout comprendre" ولكن الفهم الجيد لسوابق أى قضية معينة أمر جوهري لإمكان اتخاذ إجراء حكيم بشأنها.

وفى عبارات بيروقراطية، نحتاج إلى التأكد من حقائقنا وتواريخنا واقتباساتنا. ونحن فى حاجة إلى أن تجمع أوراق المراجع بطريقة تظهر الصعوبات وتشير إلى طريق الحل. ومن السهل أن نقلل من قيمة النفوذ الذى يمكن أن يتمتع به أعضاء السلك الدبلوماسى الصغار فى صنع السياسات حيث إنهم يقدمون خلفيات أى موضوع فى شكل متماسك ومفيد. وقد أكد سير هنرى تيلور - الذى ذكرنا عنه فى نهاية المحاضرة السابقة - أهمية الملخصات *summaries* أو التلخيصات "abridgements" كما يجب أن يسميها ، وأضاف أن "الذى يقوم بالتلخيصات يجب أن تكون" (٢) له يد خبير ويجب أن يسمى رجل دولة *statesman* وليس مجرد كاتب يقوم بالتلخيص *precis writer* ... وأن من يتناول مسألة بهذه الطريقة، هو بوجه عام صاحب القرار فيها.

وكما أن قانون السوابق والأحكام القضائية هام فى الفقه القانونى، فإن السوابق مهمة فى الممارسة الدبلوماسية. وقد تمت مناقشة أهميتها فى الصياغة فى المحاضرة السابقة. أما عن المضمون، فقد أشرنا فى المحاضرة الثالثة إلى العوامل التى يجب أن تضعها محكمة العدل الدولية فى الاعتبار عند التعامل مع المنازعات المشارة إليها. وهى تشمل "العرف الدولى، باعتباره دليلاً على ممارسة عامة تقبل باعتباره قانوناً" و "القرارات القضائية وتعاليم خبراء القانون المشهور لهم بالكفاءة العالية فى مختلف الدول". ولهذا من الواضح أن المعرفة التفصيلية بالتاريخ القديم لأى مسألة تتصل بفهم مادتها فضلاً عن العملية التى تطبق عليها.

ومع هذا فإن هناك نقطة تقف عندها فائدة "السابقة" precedent ويقال إنه في موقع قنصلى للولايات المتحدة فى إحدى الدول الإفريقية كان هناك نقص فى عدد الموظفين السلكيين (أعضاء السلك الدبلوماسى والقنصلى) للولايات المتحدة فبدلاً من أن يكون هناك ثلاثة موظفين كما هو المعتاد لم يكن هناك غير موظف واحد. وأراد هذا الموظف الذى يعمل فى الموقع الأمريكى وحده أن يقوم بإجازة. ورفض طلبه على أساس مفهوم بأنه لا توجد سابقة على ترك موقع بدون بديل يكون موظفاً مقيماً تابعاً للولايات المتحدة. ويعد رفض طلب الإجازة، تلقت وزارة الخارجية الأمريكية برقية مختصرة من الموظف الوحيد جاء فيها: "الآن أصبحت هناك سابقة".

(فقد قام الموظف بالإجازة تاركاً موقعه بدون بديل وبهذا أصبحت هناك سابقة لا يمكن لأحد أن ينكرها - المترجم).

القاعدة الرابعة : نظرية الاضطراب فى السياسة هى دليل أفضل بوجه عام من نظرية المؤامرة :

يجب على كل دبلوماسى أن يتذكر التحذير الذى أطلقه رجل الدولة والإدارة السويدى المرموق فى القرن السابع عشر كونت أكسل أوكسنستيرنا Count Axel Oxenstierna لابنه، الذى كان أحد ممثلى السويد فى المفاوضات التى أدت إلى صلح وستفاليا عام ١٦٤٨: "ألا تعرف يابنى كيف أن العالم يحكم بقليل من الحكمة؟". إن تصرفات الحكومات قد يتم ترشيدها بعد الحدث. ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن القرارات التى ستستخدم ستكون رشيدة عندئذ. والمذكرات والسير الذاتية والأعمال التاريخية العامة قد تسعى إلى شرح العوامل التى شاركت فى وضع سياسة معينة أو اتخاذ تصرف ما بشىء من البحث الدقيق والمنطق. ومع هذا فبقدر الافتراض بوجود نوع من الرشد من جانب صانعى القرارات فإن هذه الأعمال توغل فى الأمور المجردة أكثر من تمسكها بالأمور الملموسة. فالشئون الدبلوماسية المتجانسة ليست أكثر واقعية من الشؤون الاقتصادية المتجانسة. والدور الذى يلعبه الحظ والمصادفة والمنافسة المدمرة للطرفين، والتشتت، والجهل والإرهاق، والمرض، وحتى النزوات أحياناً، قد تكون من الأمور الحاسمة، والصعبة فى التقييم وغير المرضية فى تقبلها كتفسير للأحداث.

وليس هذا ببساطة أمر يتعلق بالدقة التاريخية. فالمغزى العملى يكمن فى تقديم السياسات الحالية للحكومات. فعندما كانت الحرب الباردة فى أوجها، كان هناك إغراء دائماً بأن ينسب إلى حكومة الاتحاد السوفيتى أنها تتميز بتماسك وعلم بكل شىء وقدرة على أى شىء فى إدارة السياسات فى الخفاء والعلن. ولكن بفضل "الجلاسنوست" (وهى السياسات التى جاء بها الزعيم السوفيتى جورباتشوف عام ١٩٨٥ وحاول بها إصلاح الاتحاد السوفيتى سياسياً واقتصادياً - المراجع)، استطعنا الآن أن نرى أن الحقيقة مختلفة تمام الاختلاف. وهذا مجرد مثال صارخ عن الخطأ فى أن تنسب إلى حكومة ما قدرات تأمرية تفوق طاقة البشر، بينما يكمن التفسير الحقيقى لأعمالها فى الجهل والارتياح والفساد وعدم الكفاءة. فالعالم ليس مليئاً باتباع مكيا فيللى. بل إنه يحتاج أكثر إلى أفضل قنوات اتصال المعلومات بين أولئك الذين عليهم مسئوليات متفاعلة. إن المثل يقول "إن علاقاتنا قائمة على الثقة والتفاهم. فأنت لا تثق بى، وأنا لا أفهمك". وهذا موقف ينبغى على الدبلوماسيين أن يؤدوا دورهم كاملاً فى تجنبه.

وحتى إن لم تفهم موقف متحدثك، فيجب عليك أن توضح له أين تقف بما لا يدع مجالاً للشك (أو ما ترغب فى أن يتصور أنه موقفك، ولا يمكن إنكار الدور الذى يلعبه أحياناً الغموض البناء أو التوتر الخلاق). وإنها لفكرة طيبة أن تقدم نصاً - على شكل ورقة (ورقة صغيرة) أو مفكرة أكثر رسمية - بحيث يتضح موقفك بدقة، وبحيث لا يكون فهم هذا الموقف عند المستويات العليا لحكومة محدثك متوقفاً على مدى فهم متحدثك أو مدى الاعتماد عليه وحده.

القاعدة الخامسة : فكر فى الالتفاف حول المشكلة بقدر ما تفكر من خلالها :

إن "المبادئ" التى ناقشناها فى هذه المحاضرة حتى الآن تشكل تحذيراً جماعياً ضد مدخل للدبلوماسية يبالغ فى المعقولية. إن مفهوم قدرة السياسات قائم على تحليل وتشخيص صارمين. ولكن العمل الفعال يتوقف أيضاً على ملكة خاصة وقوة فى التخيل والتحدى بالصبر، إلى جانب الخبرة. والوقت والطريق الحكيم هو - مرة أخرى - الطريق المائل وليس المباشر. ومنذ عدة سنوات ميز فيلسوف كمبريدج : الفرد نورث هوايتهد Alfred North Whwhithead بين "الذكاء" و"المقدرة". ووصف "الذكاء" بأنه سرعة الفهم،

بينما "المقدرة" هي القدرة على التصرف بحكمة فيما يتعلق بالشيء المفهوم، ويرى هوايتهد أن المقدرة بهذا الوصف أندر من الذكاء. وإذا كان هذا صحيحاً بالنسبة للبشر، فإنه أصبح بالنسبة للحكومات والهيئات الضخمة في عصر زادت فيه سرعة فهمنا بسبب تدفق المعلومات، وإن عاق قدرتنا صعوبة معالجة هذه المعلومات. والحكمة ليست مستمدة من المنطق وحده. فعلياً أن نفكر في الالتفاف حول مشكلاتنا بقدر ما نفكر من خلالها.

ولنعد إلى المزج المعتاد الذي لا فكاك منه بين المضمون والعملية. فبالنسبة للمضمون، من الحيوى فحص الافتراضات التي تقوم عليها معالجة مسألة ما، وهي ربما مستترة أكثر منها واضحة. وفي الأغلب الأعم فإن هذه الافتراضات لا تخضع للفحص الدقيق. وهناك افتراضات بديلة قد تؤدي إلى خطوط مختلفة من التحقق. وكلما أمكنك أن تستخرج بوضوح أكثر الاحتمالات المختلفة والمزايا النسبية لخطوط العمل التي تشير هذه الاحتمالات إليها، كلما استطعت أن تكون مفيداً أكثر لروسانك.

إن السياق الذي يمكن أن تساق فيه توصية أو يتخذ فيه قرار أمر حيوى. فالاعتبارات طويلة الأمد قد تكون مختلفة عن الاعتبارات قصيرة الأمد. وقد تزداد العقبات أو تقل مع الزمن. وقد يكون للشخصيات أثر هام. فهم يتغيرون. والإشارة إلى العقبات التي تعترض مساراً مرضياً في العمل ربما يكون عملاً غير بطولى أو حتى مكروهاً. فالبيروقراطى هو الشخص الذى يجد صعوبة فى كل حل. ولكن تبقى حقيقة أن المدخل "الخطى" linear المستقيم لمسألة واضحة ظاهرياً قد يكون أمراً غير مثمر وقد يجانب الحكمة.

أما عن العملية، فإن مدى ضرورة الالتفاف حول مشكلة ما، بقدر ما تفكر من خلالها، إنما يوضح بلا شك ظهور كتابات كثيرة وشيقة عن كيف تحقق هدفك بالوسائل غير المباشرة. والخبرة فى الإجراءات تعنى إجادة المدخلين: المدخل المباشر ومدخل الالتفاف. وقد يكون من المبالغ فيه القول بأن هذه الحيل الإجرائية أو الخطوات التمهيديّة من الأمور الجوهرية فى إدارة الأعمال. ولكن من غير الواقعى أن نتخيل أن الاتفاق الذى يتم التوصل إليه بين الأمم إنما يقوم فقط على أساس المناقشات المباشرة والعقلانية.

وعلى مستوى أكثر عملية من المفيد أن تكون قادراً على أن تميز متى كان الآخرون الذين تتناقش معهم يلجأون إلى الحيل الإجرائية والخطوات التمهيديّة. فالإنذار المسبق هو بمثابة التسلح المسبق.

وليس هناك مثال أكثر امتاعاً عن النصيحة الإجرائية من كتاب ضئيل الحجم بعنوان : *Microcosmographia Academica* وهو مرشد للسياسي الأكاديمي الشاب، وقد كتبه عام ١٩٠٨ ف. م. كونفورد F.M. Conford ، وهو من العلماء الكلاسيكيين المتميزين في جامعة كامبريدج. ونقطة الانطلاق عند كونفورد هي أن هدف السياسة في الجامعة هو منع اتخاذ أي إجراء، على الأقل قبل أن يوافق كل شخص على أنه لا بد من اتخاذ هذا الإجراء (وعلى الأرجح يتم ذلك بعد أن يكون قد سبق السيف العزل). ولهذا السبب أصدر سلسلة من الاستراتيجيات لمعارضة أي ابتكار. وأنا شخصياً يمكن أن أشهد على أن استراتيجيات كونفورد تستخدم في كثير من المناقشات حول الشؤون الخارجية، ولكن نادراً ما يتم ذكر المصدر، كما أن ذلك لا يحدث دائماً بالكفاءة الكافية.

القاعدة السادسة : الدبلوماسية لها طابع انساني وليست مجرد نشاط ذهني cerebral :

تتطلب الدبلوماسية قدراً كبيراً من النشاط الذهني. ولكنها لا تتوقف عند ذلك. كما أنها تتطلب التمرين على جميع الصفات الشخصية تقريباً. فأنت تتعامل مع بشر، وأنت نفسك بشر مثلهم. ويستدعي تفاعلك مع الآخرين كل المهارات والصفات التي تمتلكها والتي يمتلكها الآخرون. والخطباء والوعاظ والدعاة والممثلون والموسيقيون يعلمون أن الأثر الذي يتركونه في نفوس المستمعين هو نتيجة لكثير من العوامل، أقلها ما يظهره من إخلاص وإقناع ودفء. وينطبق الشيء نفسه على الدبلوماسية، فصفاك الإنسانية قد تكون فاصلة. فإن لم يكن لديك اهتمام أصيل بالآخرين، فإن الآخرين سرعان ما يدركون ذلك. وقدرتك على إقناع الآخرين هي وظيفة للاحترام الذي يعتقدون أنك تشعر به نحوهم.

والقدرة على إشعار الآخرين بالاحترام والعاطفة يتم بناؤها بالتدرج ولا يتحقق ذلك بين يوم وليلة، والتبرير الذي يعطى لاستمرار التمثيل الدبلوماسي في دولة أخرى أو على مستوى واسع من المنظمات المتعددة الأطراف هو زيادة التأثير الذي يمكن أن يتحقق في التأثير على من تحدثهم على الصعيد الإنساني والفكري. وليس هذا طريقاً ذا اتجاه واحد. وليس دليلاً على الضعف أن تتأثر بالآخرين، بل إنه جزء من عملية مفيدة للطرفين تساعد على انسجام مصالح الدول المختلفة.

والمشاركة في الجهد المشترك، وهو ما يميز عمل البعثات في المنظمات الكبرى، يمكن أن يحدث الكثير لبناء الدرجة الضرورية من الثقة والالتزام. ويختلف عمل السفارات المعتمدة لدى الحكومات في العواصم اختلافاً طفيفاً في أن هناك علاقة وظيفية متباينة. ذلك أن ممثلي الدولة الموفدة هم بطبيعتهم الذين لديهم طلبات. ولكن لديهم أيضاً ميزة أنهم أجانِب، ومتميزون. ويعطيهم هذا مجالاً إضافياً للتأثير على أولئك الذين يتصلون بهم. وفي الوقت نفسه، فإنه كلما استطاعوا أن يندمجوا بطريقة أو بأخرى بالدولة التي أوفدوا إليها، بدون - بالطبع - أن ينسوا الدولة التي يخدمونها، والتي من واجبهم أن يحافظوا على مصالحها، كلما كان تأثيرهم أكبر باعتبارهم دبلوماسيين، وكلما زاد استمئاعهم بعملهم.

وغالباً ما تكون حفلات الترفيه الرسمية هي هدف لتندر العامة، ومع هذا فإن تأثيرها باعتبارها وسيلة لاتمام المعاملات، هو الذي سيضمن استمرارها. وفي الدبلوماسية الحديثة فإن الترفيه يأخذ عادة شكل حفل استقبال أو "بوفيه"، حيث يمكن إجراء أكبر قدر من الاتصالات الشخصية بسرعة ونسبياً بتكاليف غير باهظة، أكثر من حفلات الغداء أو العشاء، وحيث تتاح الفرصة لمحادثات غير رسمية مع عدد أصغر. ومع هذا، فإن القول بأن تقديم الطعام هو روح الدبلوماسية يبقى باعتبارها حقيقة جوهرية. فلا بد من التحدث مع الزملاء الدبلوماسيين على أرض وطنهم. فهذا يمكن أن يبني فهماً مشتركاً واحتراماً متبادلاً، ويتيح ذلك فهماً جديداً لنوافعهم. يقول بريلات - سافارين Brillat-Savarin وهو أكبر النواقة الفرنسيين للطعام: "قل لي ماذا تأكل، أقل لك من أنت". ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن الكتب التي يقرأها شخص ما، ويقال أكثر من ذلك عن بيته.

القاعدة السابعة : يجب أن تكون مستعداً لإحلال الالتزام محل الانعزال :

قد تبدو هذه القاعدة - إلى حد ما - متناقضة مع القاعدة السابقة. فإذا كانت فاعلية الدبلوماسية هي دالة لقدرته على المشاركة الوجدانية، وعلى أن يراه الآخرون مشاركاً وجدانياً مع بلده الذي يخدمه، ألا تكون هناك مغالاة في حق الطبيعة البشرية إذا أصررت في الوقت نفسه على أهمية الانعزال؟ الإجابة هي أن في ذلك فعلاً مغالاة كبيرة. ولكن هذا أمر لا فكاك منه إذا وضعنا في الاعتبار طبيعة العمل الدبلوماسي. فمنطق التحليل في هذه المحاضرات لا يكمن فحسب في أن هناك حدوداً للنشاط الدبلوماسي المفيد في أية ظروف بعينها، وإنما أيضاً في أنه قد تكون هناك تغييرات في هذه الظروف. وباعتبارها نتيجة لذلك فإن جهد المرء كله قد يبدو أنه ذهب هباءً. فانتهاك العلاقات الدبلوماسية، بما في ذلك إغلاق البعثات الدبلوماسية، هو مثال صارخ على ذلك. وتغيير الحكومة في الدولة الموفدة أو المستقبلية قد تتبعه تغييرات جوهرية في السياسة، مع تأثير مهم على السلوك العام للعلاقات بين الدولتين. وأي دبلوماسي قد يكون مضطراً إلى التكيف بين يوم وليلة، فيتحول من الاندماج في الجهود إلى التخلي عن بذل الجهود دون أن يطرف له جفن.

وهذا التقارب بين الانعزال والالتزام ليس مسألة جلد أو صير على حظ عاثر عندما يحيق بالإنسان، فهو يؤثر على التوازن الذي يجب أن يحتفظ به الدبلوماسي.

فالدبلوماسية، كما توصف غالباً، هي أسلوب حياة وليست مجرد وظيفة. وفي هذا الصدد فإن الدبلوماسية تشترك في هذا مع بعض المهن الأخرى ولكنها غالباً ما تختلف عن المهن الأخرى في درجة "المسؤولية المحدودة" التي تتطلب توافرها في ممارستها. فالدبلوماسي المعين في منصب في الخارج يجد نفسه في موقف مصطنع إلى حد كبير فهو يعتمد على اتفاق محدد بين الحكومات وعلى اتفاقية وعلى سوابق. وهذا الاصطناع قد لا يبدو ذا صلة في كثير من الأوقات. ولكنه موجود. أحياناً يكون له أهمية جوهرية.

وتتطلب الخدمة الدبلوماسية المحترفة من أعضائها استعداداً لتغيير المناصب، أو الدول، أو التخصصات، في فترات منتظمة أو غير منتظمة. وهذه التغييرات قد لا تحكمها المتطلبات الذاتية للمسائل أو الظروف التي يجد الدبلوماسي نفسه منغمساً

فيها في وقت ما، فقد تكون استجابة لمتطلبات الخدمة الدبلوماسية، أو التقلبات التي لا بد أن يحسب حسابها. فحياة الدبلوماسي في الخارج تحكمها أولويات واهتمامات في ديوان عام وزارة الخارجية وقد تكون مدعاة للحيرة إذا نظر إليها عن بعد. فالمرء يجب أن يوطن نفسه على أن يتلقى من أن لآخر تعليمات تبدو مقيدة أو قد تؤدي إلى ضياع فرص. ولكن لا يمكن الالتفاف حول ذلك. فعلى المرء أن يكون ممتنا لوجود الفرصة للإسهام بشكل مفيد، بدلاً من أن ينعى ما يبدو أنه حرمان من فرصة للوصول شخصياً ببعض الجهود إلى نتيجة ناجحة. وقد نحقق على مدى مهنتنا بعض الأشياء في هذا الصدد. ولكن ليس هذا هو الهدف المحوري لمهنتنا. ولنتذكر أن سير ارتست سائق قد عرف الدبلوماسية بأنها تطبيق الذكاء والمهارة في إدارة علاقات رسمية بين حكومات دول مستقلة، وهي شأن مجرد من الهوى، ومجهول الاسم، تتطلب منا أفضل ما فينا في كل وقت، حتى وإن قاننا ذلك - وهو نادراً ما يحدث - إلى جائزة مرئية تتمثل في عقود تصدير ضخمة، أو إلى عقد معاهدات تصحبها مظاهر ابتهاج من الجماهير.

القاعدة الثامنة : أحبب ما تحصل عليه بدلاً من أن تسعى دائماً إلى الحصول على ما تحب :

إن أولئك الذين يتمتعون بموهبة غير عادية وقدرة على استخدامها ، قد يقدمون عند القيام بمجهود معين، على تثبيت عيونهم على أعلى منصب يمكن الحصول عليه ، بل وأن يشنقوا طريقهم لتحقيق ذلك بنجاح. والغالبية العظمى منا توجه إليهم نصيحة أفضل بأن ينظروا إلى ذلك باعتباره سياسة محفوفة بمخاطر عالية من الممكن أن تحدث صداماً ولا تحقق إرضاء. وربما لا يظهر هذا في أي مهنة أخرى كما يحدث بوضوح في الدبلوماسية، بكل ما فيها من أمور غير يقينية أو من الصعب التنبؤ بها. وهناك قدر معقول من الطموح يتمثل فيما تتوقعه الخدمة الدبلوماسية من أعضائها المعينين حديثاً. ولكن من الأفضل أن يتم متابعة هذا الطموح بوجه عام وليس تحديداً. فمن التجارب الشائعة أن المنصب الذي يسعى إليه الإنسان لمدة طويلة ينتهي عند الوصول إليه بشعور بخيبة الأمل أو هبوط التوقعات. وعلى العكس فإن منصباً يجيء من حيث

لا يحتسب الإنسان قد يثبت أن فيه عوامل جاذبية ومصالح لم تكن متوقعة تماما. والوصفة لمستقبل وظائف سعيدة ومثمرة لمعظمتنا هو ألا تكون لدينا أفكار عظيمة مسبقة عن الوظائف التي يجب أن نحاول أن نشغلها ونضمن استمرارها، بل يجب أن نضع المهام التي نكلف بها في إطار ذهنى إيجابى. والاندماج فى السؤال عن أين نتجه بعد ذلك يمكن أن تلهيك عن تقديم أفضل ما لديك فيما تقوم به الآن. فالفرص تدق على الأبواب بطرق غير معتادة تماما. وأولئك الذين يسحبون ما يبدو أنه قشة قصيرة قد يكونون هم الفائزون. وإنى لأتذكر ظروف زيارة فى الخريف للمملكة المتحدة منذ سنوات قام بها نائب رئيس الولايات المتحدة. وكان من المقرر أن تهبط طائرة نائب الرئيس فى مطار هيثرو بلندن، وذهب جميع أعضاء السفارة الأمريكية بقضهم وقضيتهم لينتظروا وصولها. وكان فصل الخريف العليل مغلفاً بالضباب الرقيق والشبورة، وتم إرسال أحد أعضاء السفارة من الشباب إلى مطار جاتويك (بالقرب من لندن) باعتباره نوعاً من الاحتياط. ولعن الشاب حظه العاثر، إلا أنه حدث فعلاً أن طائرة نائب الرئيس تحولت من مطار هيثرو إلى مطار جاتويك. وسعد الدبلوماسى الشاب بصحبة ممتعة وجها لوجه مع نائب الرئيس الأمريكى فى القطار إلى محطة فيكتوريا، بينما كان رؤساؤه يهرعون من مطار هيثرو وهم فى حالة اكتئاب. وكان لهذا أثر كبير على مستقبله الوظيفى.

إن بعض النباتات تتزعزع إذا قمت أحيانا بالحفر حولها ورفعها وتشذيب جنورها ثم إعادة زرعها فى مكان آخر. ولكن بالنسبة لنباتات أخرى فمثل هذه المعاملة تؤدى إلى موتها. والدبلوماسيون إذا أرادوا أن يكونوا سعداء، يجب أن ينتموا إلى الفئة الأولى، وليس الفئة الثانية. والشئ نفسه ينطبق على زوجات الدبلوماسيين أو أزواج الدبلوماسيات وعائلاتهم. وليس هذا صحيح فقط بالنسبة للتمتع الحالى بالحياة. إن هذا مفتاح لبناء مستقبل دبلوماسى. وإن ما يحدث من تمزق وتقلبات يتم تقديره فيما بعد. وأن القلق الذى نتقاسمه مع البشر الآخرين إنما يتمثل فى أننا لا نستطيع أن نفهم حياتنا إلا إذا أعدنا النظر إلى ما مضى منها. ولكن علينا أن نعيش حياتنا وأنظارتنا متعلقة بما هو آت وليس بما مضى.

القاعدة التاسعة : لا تنسق وراء زخارف الحياة الدبلوماسية :

تعامل مع عملك وليس مع ذاتك، بجدية. فهناك قدر كبير من الحقيقة في هذا القول، فاحترام الذات الضروري والطموح يجب أن يواكبهما روح مرحة وابتعاد عن الغرور. فالغرور عند الآخرين يمكن استغلاله ضدهم بسهولة. فهو ضعف يجب أن نحذر منه دائماً. وفي التمييز الذي نما بحق بين أدوار الوزراء المنتخبين والمسؤولين المعينين، فإن الدعابة والمجد والتصفيق والتهنئة أمور تعود الوزراء على تقبلها بينما يحرم منها غيرهم من المسؤولين. وهذا نظام مفيد للمسؤولين، ولكن إن أتكهن بتأثيرها على الوزراء.

وعلى الرغم من أن الدبلوماسية هي الآن أقل سحراً وجاذبية عما كانت عليه في الماضي، فإنها ما تزال تضيف على كبار ممارسيها قدراً عظيماً من الشرف والتكريم. وصاحب السعادة (His Excellency) هي صيغة في مخاطبة السفراء يجب أن نتقبلها باعتباره دلالة على احترام بلد الدبلوماسي وليس تقديراً لصفاته وقيمه الشخصية. وأعترف أن الأمر استغرق معي وقتاً قصيراً للتعود على ذلك. وكنت أتلفت حولي في الغرفة لأبحث عن يوجه إليه هذا اللقب الرفيع. (يطلق لقب His Excellency) في العالم على: رئيس الجمهورية وترجم: "صاحب الفخامة"، وعلى رئيس الوزراء وترجم: "صاحب الدولة"، وعلى الوزير وترجم: "صاحب المعالي"، وعلى السفير وترجم: "صاحب السعادة" - المترجم). وقد تجد نفسك مرتدياً زياً غير ملائم وتشعر أن مكانك يجب أن يكون بين صفوف جمعية لهواة الأوبرا أو المسرح. وقد تجد نفسك أيضاً، وأنت تؤدي واجباتك الخاصة بالتمثيل الدبلوماسي، خاضعاً لشتى أنواع المعاملة المتنوعة، والتي يرجع بعضها إلى تردد وعصية أولئك الذين يستقبلونك أو يضايقونك. لا تتمسك بالرسميات. فالأهم هو أن تجعل مضيفك يشعر بالراحة والاطمئنان. وعندما تكون الحفلة جلوساً لا تهتم بأين تجلس: "فحيث يجلس السفير يكون رأس المائدة".

وأسرة الشخص هي أكبر عون له في هذا الشأن. فلا يوجد شيء يشبه التشكك الصحي للمراهقين الذي يضع مزايا الدبلوماسية في منظورها الصحيح. قل لي يا أبي، ما هو عملك بالضبط؟. ويجيب الأب: "إنني أحاول أن أجعل العالم مكاناً أقل خطورة لك

لتعيش فيه أماناً . على الأقل كان هذا يعطينى فرصة أستطيع فيها أن أدبر إجابة أقل عمومية.

والإحالة إلى التقاعد أيضاً تضع كل شىء فى موضعه الحقيقى : ففى لحظة، أو فى غمضة عين، تختفى السيارة والسائق والسكرتيرة والموظفون والمؤسسة، ويحل محلهم معاش متواضع وضرورة أن تفعل كل شىء بنفسك. "من فرو المنك إلى الحضيض فى قفزة واحدة" *From Mink to sink in one bound* ، هو شعار الأيام التى لا وعى فيها بالبيئة المحيطة. وبالنسبة لرجال الدولة فإن التغيير يمكن أن يكون مبالغاً أكثر. فالانتخابات العامة يمكن أن تحدث تغييراً فى نزيل مقر رئاسة الوزراء البريطانى (١٠ داوننج ستريت) بين يوم ولىة بالفعل. ويوم الاقتراع فى بريطانيا يكون دائماً يوم خميس. وينقل النزيل يوم الجمعة إلى مقر الرئاسة. ويتم نقل كم كبير من الأدوات المنزلية أمام الباب الخارجى بينما الأدوات المنزلية للوافد الجديد تصل إلى الفناء الخارجى.

القاعدة العاشرة : فضلاً عن أى شىء آخر لتكن صادقاً مع نفسك :

بوجه عام لا يعتبر بولونيوس بطلاً لمسرحية شكسبير: هاملت. ولكن قواعد السلوك التى قدمها إلى ابنه المسافر ليرتس تستحق الفحص^(٣). وخاتمة هذه القواعد تتسم بالشمول : فضلاً عن أى شىء آخر لتكن صادقاً مع نفسك، ويترتب على ذلك، كما يترتب على ظهور الليل بعد النهار، أنك لن تستطيع أن تخدع أى إنسان. ولا يوجد شعار أفضل من هذا الشعار للدبلوماسى. وإنى أكرر أن تأثيرنا، هو دالة للأثر الكلى الذى نتركه فى نفوس الذين نتصل بهم. وأن نكون صادقين مع أنفسنا هو الضمان للنزاهة التى تثبت صحة وتعزز قدرات قدراتنا على الإقناع. إنها الصفة التى تحمل فى النهاية معظم الثقل.

وفى بداية هذه المحاضرات أشرت إلى ميل خبراء الدبلوماسية إلى وضع قوائم طويلة ونرجسية للصفات الجوهرية للدبلوماسيين. وهذه القوائم يمكن أن

تختصر بشكل مفيد. ولكن هناك صفة لا يمكن حذفها وهي النزاهة Integrity . وقد قيل بحق أنه لا يوجد مكسب دبلوماسي متاح لأية حكومة أفضل من كلمة رجل صادق (أو سيدة صادقة)^(٤). والكلمة هنا لا تعنى مجرد ما ينطق به المتحدثون. إنها تحتوى أيضا على ما تخفيه من شخصية والتزام. فالكلمة تعبر عن المجمل العظيم للطموح الإنسانى والجهد الإنسانى. وفى مهمتنا (الدبلوماسية) فإنها تسخر للمهمة الأعظم للعالم والمتمثلة فى بناء سلام مزدهر ودائم .

الهوامش

- (١) انظر Alfred Marshall, Principles of Economics, Macmillan, Book IV, Chapter XIII. الطبعة الثانية - صدر عام ١٩٢٠ .
- (٢) انظر المحاضرة الخامسة .
- (٣) انظر كتاب : صدر عام ١٩٥٥ Lord Strang, The Foreign Office, Allen and Unwin .

تهييد : العمل كهدف نهائى للدبلوماسية

- (١) تم اقتباس الجملة من كتاب : Philarète Chasles, Voyages d'un Critique - A Travers la Vice et les Livres ، صدر عام ١٨٦٨ مجلد ٢ صفحة ٤٠٧ .
- (٢) انظر كتاب : الذى صدر عام ١٨٢٧ Macaulay, Essays on Machiavelli, Edinburgh Review .

(١) الدبلوماسية ابنة الأزمنة المتغيرة

- (١) انظر كتاب : Sir Ernest Satow, Guide to Diplomatic Practice, 5th edition, Longmann . صفحة ٣ . والذى صدر عام ١٩٧٩ عن دار نشر Longmann .
- (٢) انظر رواية : Lewis Carrol, Alice's Adventures in Wonderland , التى صدرت عام ١٨٦٥ وهى رواية خرافية ممتازة .
- (٣) انظر كتاب : Sir Harold Nicolson, The Evolution of Diplomatic Method, Constable . صفحة ٧٣ حتى ٧٦ وقد صدر عام ١٩٥٤ .
- (٤) انظر كتاب : John Locke, The Second Treatise on Civil Government, 1690 الذى صدر عام ١٦٩٠ .
- (٥) انظر كتاب : Sir Victor Wellesley, Diplomacy in Fetters, Hutchinson, الذى صدر عام ١٩٤٤ .

(٦) إن الكتاب الأبيض بعنوان *Proposal for the Reform of the Foreign Service* . صدر في يناير ١٩٤٣ وكان أساس الإصلاحات التي أدخلت في نهاية الحرب العالمية الثانية. النص الكامل الذي جاء في كتاب *Lord Strang, The Foreign Service* ، وانظر أيضا المحاضرة الثامنة لمناقشة تنظيم الخدمة الدبلوماسية الحديثة.

(٧) هذه هي أول نقطة من النقاط الأربع عشرة في خطاب ويلسون إلى الكونجرس في ٨ يناير ١٩١٨ . وفي ذلك الوقت تخلى ويلسون عن الدبلوماسية العلنية في مؤتمر الصلح في نهاية الحرب العظمى. وقد أدرك أن المحاولات للتوصل لعناية إلى اتفاقات علنية مألها إلى الفشل.

(٨) انظر كتاب : *Macaulay, Essay on Hallam's Constitutional History, Edinburgh, Review* , الذي صدر عام ١٨٢٨ .

(٩) هذا الجانب من السياسة الخارجية البريطانية عولج بشكل مفيد وممتع في كتاب : *Sir Robert Marett Through the Black Door, Pergamon* ، الصادر عام ١٩٦٨ ولقد كان ماريت رجل أعمال وصحفي قبل أن ينضم إلى الخدمة الخارجية.

(١٠) انظر كتاب : *World Commission on Environment and Development Our Common Future, Oxford University Press* , الصادر عام ١٩٨٧ .

(١١) إن أدبيات الموضوعات البيئية تفوق الحصر. وهناك مسح ممتاز للسياسة الدولية للبيئة نشر في كتاب *Brenton, The Greening of Michiavelli, Earthscan Publications and the Royal Institute of International Affairs, 1994* ، والمؤلف مستر برنتون عضو في الخدمة الدبلوماسية البريطانية .

(١٢) في خطاب ألقاه وزير الخزانة الأمريكي روبرت روبن في واشنطن في ١٢ ديسمبر ١٩٩٥ صنف الجريمة العالمية "Global Crime" على أنها منطقة ذات أولوية بالنسبة للتعاون الاقتصادي العالمي. فالجريمة المنظمة تشتري وتبيع المخدرات والأسلحة والسياسيين .

(١٣) انظر كتاب : *Stuart Eidon, From Quill Pen to Satellite, The Royal Institute of International Affairs, 1994*.

(١٤) يمكن أن تكون هناك مبالغة - بسهولة - في الفرق. فكلمة "أعمال" *Business* استخدمت تقليدياً فيما يتعلق بالسياسة، مثلاً في حكم ماكولاي على ميكافلي ص ٨ . ومع هذا فإن الإدارة *Management* أصبحت لها أهمية متزايدة. انظر المحاضرة ٨ .

(٢) طبيعة المجتمع الدولي اليوم

- (١) انظر مقال : Samuel P. Huntington, The Clash of Civilizations?, Foreign Affairs, الصادر في صيف عام ١٩٩٢ ، المجلد ٢ العدد رقم ٧ .
- (٢) أنتج الفرع التاريخي للمكتبة وإدارة السجلات سلسلة من البحوث المهمة المثيرة للاهتمام عن تاريخ وزارة الخارجية والكمونولث وشخصياتها، وكذلك عن قضايا السياسات. وبالذات فإن الملاحظات التاريخية رقم ٢ بعنوان "وزارة الخارجية والكمونولث: السياسات والناس والأماكن، ١٧٨٢-١٩٢٢" ذات صلة بالموضوع بشكل خاص. وهناك تفاصيل تاريخية أكثر في كتاب Tilly and Gaselee, The Foreign Office, Putnam, 1933. وكان سير جون تيللي كبير كتاب وزارة الخارجية، ١٩١٢-١٩١٨، وكان ستيفن جازلي أمين المكتبة والمؤتمن على الأبحاث. من ١٩٢٠ إلى ١٩٤٢ .
- (٣) إن كتاب Adam Smith, The Theory of Moral Sentiments, 1759. صدر قبل كتابه Wealth of Nations بسبع عشرة سنة. وقد حصل على قدر من الشهرة بعد سنوات من الإهمال، وقت الاحتفال بمرور مائتي سنة على كتابه الشهير وذلك عام ١٩٧٦ . وكتاب الأول جوهرى لفهم كامل لكتابه الثانى .
- (٤) هذا عنصر أساسى فى ديباجة ميثاق الأمم المتحدة. انظر المحاضرة الرابعة .
- (٥) إن مستقبل هونج سيكون له دلالة فى هذا الشأن .
- (٦) انظر : The Rt. Hon. David Howell, MP, Eastemisation, Demos, 1995 .
- (٧) هذه القضية العامة تقدم مثلاً ممتازاً للطريقة التى بها يظهر أن ما يبدو أنه مسألة خاصة أساساً بالنقاش الداخلى، إنما تحتوى على تداعيات دولية فى عالم اليوم الذى يقوم على الاعتماد المتبادل.
- (٨) هذه جملة اشتهرت عن مستر فرانسيس فوكوياما، العالم السياسى وأحد المسنولين فى وزارة الخارجية الأمريكية. وقد نشرت كتابه The End of History and the Last Man دار نشر Hamish Hamilton عام ١٩٩٢ . وتعتبر جملة "نهاية الجغرافيا" جملة أكثر دقة فى وصف عالم تقلصت فيه المسافات وأصبحت الاتصالات فيه تتم فى الحال. انظر : Richard O Brien, Global Financial Integration: The End of Geography, Chatham House Papers, pinter, 1992, P.7.
- (٩) نسبت هذه الجملة لادموند بيرك الكاتب السياسى ورجل الدولة البريطانى فى القرن الثامن عشر .

(٣) السيادة الوطنية وحدودها

- (١) إن واضع النظريات الرياضية المعروف بهذا الاسم هو جون فون نيومان. انظر : Neumann and Oskar . Morgenstem, Theory of Games and Economic Behaviour, 3rd edition, 1953 .
- (٢) انظر كتاب : Sir Harold Nicolson, Diplomacy, Oxford University Press, الصادر عام ١٩٥٠ من الطبعة الثانية صفحة ١٢٩-٥٢ حتى ١٥٢ .
- (٣) نوقشت خصائص السياسة الخارجية البريطانية بشكل مطول في المحاضرة ٧ .
- (٤) انظر كتاب : Nicolson, Diplomacy : صفحة ١٣١ .
- (٥) انظر كتاب : J. L. Brierty, The Law of Nations, Oxford University Press, 1955 . صفحة ١ من الطبعة الخامسة .
- (٦) أنشأ ميثاق الأمم المتحدة : محكمة العدل الدولية باعتبارها "الجهاز القضائي الرئيسي للأمم المتحدة" (المادة ٩٢). واللجنة التي تعمل المحكمة بمقتضاها مرفقة بالميثاق. انظر المحاضرة الرابعة .
- (٧) انظر مقال : "International Law: The Court, Commission and Judges", Sir Ian Sinclair, in The United Kingdom - The United Nations (ed. E. Jensen and T. Fisher), Macmillan صفحة ١٤٢ إلى ١٤٤ الصادر عام ١٩٩٠ .
- (٨) انظر كتاب : Hans Kung, Global Responsibility in Search of a New World Ethic, Student Christian Movement Press . الصادر عام ١٩٩١ .
- (٩) انظر كتاب : David Mitrany, A Working Peace System : An Argument for the Functional Development of International Organisation, Royal Institute of International Affairs , عن الصادر ١٩٤٣ .
- (١٠) انظر كتاب : Brierty, The Law of Nations : صفحة ٦٠ .
- (١١) انظر كتاب : Dr. Jonathan Sacks, Faith in the Future, Darton Longman and Todd, الصادر عام ١٩٩٥ .
- (١٢) هذا الشعر المأثور قد أخرج من سياقه الطبيعي. لقد كان الكوين Alcuin رجل الدين والتعليم الإنجليزي في القرن الثامن عشر مستشاراً مرموقاً لشارلمان. وفي أحد خطاباته كتب يقول: "لا يجب الإنصات إلى أولئك الذين لا يفتنون يكررون أن صوت الشعب هو صوت الله. لأن عمليات الشعب التي تقوم بها الجماهير هي أقرب دائما إلى الجنون".
- (١٣) انظر مسرحية شكسبير: هنري الرابع الجزء الثاني .
- (١٤) نسب هذا القول إلى سير جيمس فيتزجيمس ستيفن وهو ققيه قانوني ومؤلف إنجليزي عاش في القرن التاسع عشر .

(٤) الأمم المتحدة

- (١) تم تلخيص نتائج مؤتمر دمبرتون أوكس في كتاب أبيض للمملكة المتحدة على المقترحات برقم ٦٥٧١ عام ١٩٤٤ . كما أن التطبيق الرسمي للمملكة المتحدة على ميثاق الأمم المتحدة نفسه (تحت رقم ٦٦٦٦ علم ١٩٤٥) تضمن شرحاً قيماً للفرق بين النص النهائي والفقرات ذات الصلة في مقترحات دمبرتون أوكس .
- (٢) مما يثير الاهتمام أنه لا توجد ديباجة في النص نابعة من دمبرتون أوكس. لقد أضيفت الديباجة في مؤتمر سان فرانسيسكو، ومن المعتقد إنه إلى حد كبير من وضع رئيس وزراء جنوب أفريقيا جان سموتس، في أعقاب اجتماع لرجال الدولة من الكومنولث الذي عقد في لندن قبيل المؤتمر، في أبريل ١٩٤٥ .
- (٣) لم تذكر كلمة "الديموقراطية" في الميثاق. ومع هذا فإن الطابع الديموقراطي لأغراضه ومواده، كان واضحاً. وكانت الكلمات الافتتاحية للميثاق هي "نحن شعوب الأمم المتحدة" .
- (٤) انظر قول سير شارلز وبستر كما جاء في كتاب : Lord Gladwyn, The United Kingdom - The United Nations, Macmillan الصادر عام ١٩٩٠ .
- (٥) أصدرت الأمم المتحدة آخر طبعة من "حقوق الإنسان : جميع الوثائق الدولية" عام ١٩٩٤ (ST / HR / 1 Rev 5, 2 vols) وقد تم تبني الإعلان العالمي باعتباره قراراً صادراً من الجمعية العامة رقم ٢١٧ أ (٣) في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ . وتم تبني العهد باعتبارها القرار رقم ٢٢٠٠ أ (١٩) في ١٦ ديسمبر ١٩٦٦ . وأدبيات هذه المسألة كثيرة. وما يستحق الذكر كتاب : The United Nations and Human Rights : A Critical Appraisal, Oxford University Press الصادر في ١٩٩٢ .
- (٦) لا يوجد إلا عدد قليل من الشخصيات المنتفذة في مجال الدفاع عن الاستقلال غير جان مونييه رجل الأعمال والسياسي ورجل الدولة الفرنسي (١٨٨٨ - ١٩٧٩). وكان إصراره على تجنب الأضواء أسطورياً. وكان يفضل أن ينجز شيئاً من أن يكون مشهوراً .
- (٧) ما زال نشوب الحرب العظمى يمثل موضوعاً شائناً للدراسة بالنسبة للمؤرخ والدبلوماسي، ويرى سير فكتور ويلزلي أن تلك الحرب كانت عدة حروب اتخذت شكل حرب واحدة: فهناك الحرب بين ألمانيا وروسيا، والحرب بين ألمانيا وبريطانيا العظمى، والحرب بين إيطاليا والنمسا، والحرب بين روسيا والنمسا، والحرب بين فرنسا وألمانيا. انظر كتاب : Diplomacy in Fetters, Hutchinson صفحة ٢٥ الصادر عام ١٩٤٤ .
- (٨) الحقيقة أن دعوى الأمم المتحدة يمكن اعتبارها الأقوى. ولقد كان السلام الأوروبي بعد مؤتمر فيينا سلاماً محفوراً بالخاطر. انظر ملاحظات مستر ريكفند والملاحظة رقم ٨٨ مما جاء في المحاضرة السابقة .
- (٩) قارن ما يقال من أن الأمم المتحدة كان لها تأثير في ميل الميزان لصالح الدولة ضد دعاوى الاعتماد المتبادل .
- (١٠) وثيقة مجلس الأمن S/23500 في ٢٦ يناير ١٩٩٢ .
- (١١) جدول أعمال للسلام، وثيقة الجمعية العامة رقم A/47/277 ، وثيقة مجلس الأمن ذات الصلة التي صدرت بعد ذلك في مجلد رابع بعنوان جدول أعمال للسلام An Agenda for Peace . نشرته إدارة المعلومات العامة للأمم المتحدة في فبراير ١٩٩٥ .
- (١٢) نشرت الوثائق ذات الصلة في مجلد مصاحب بعنوان جدول أعمال للتنمية An Agenda for Development صادر عن إدارة المعلومات العامة للأمم المتحدة في فبراير ١٩٩٥ .

(٥) الاقتصاد العالمى

- (١) انظر مقال يحتوى على تحليل قيم للعوامل التى أثرت على عولة الحكومات ومسئولياتها، وهو Vincent Cable, "What Future for State?," Daedalus, of the Proceedings of the American Academy of Arts and Science المجلد ١٢٤ رقم ٢ الصادر فى ربيع ١٩٩٥ .
- (٢) يبدو أن هذا تنبؤ - لا يخلو من المخاطر - ولكنه متعقل أكثر من "نهاية" التاريخ (المحاضرة الثانية، ملاحظة رقم ٢٥) .
- (٣) إن النص الذى وقع فى النهاية بالحروف الأولى فى ١٥ ديسمبر ١٩٩٢، بعد ٧ سنوات من المفاوضات، تصل عدد صفحاته إلى ٤٥٠ صفحة .
- (٤) إن الإسراع بإصدار "الإعلان" كان مخيباً للأمال مثل دورة أوجواى نفسها. وقد طرحت فكرة دورة أخرى للمفاوضات للمناقشة من جديد على إثر اكتمال الدورة السابقة، دورة طوكيو عام ١٩٧٩ . وكان ذلك فى منتصف اجتماع وزارى للجات اتسم بالقوضى فى نوفمبر ١٩٨٢ .
- (٥) تم التوصل إلى حجر الزاوية بنشر الكتاب الأبيض للمملكة المتحدة فى مايو ١٩٤٤ عن "سياسة التشغيل" (برقم ٦٥٢٧). وقد أعلن منذ البداية أن الحكومة قد قبلت أن يكون من بين أهدافها الأساسية المحافظة على مستوى عالٍ ومستقر من التشغيل بعد الحرب. ومن المرجح أن كينز هو أشهر عالم اقتصاد بريطانى. ومن أهم كتبه : Keynes, "The General Theory of Employment, Interest and Money", Macmillan, الصادر عام ١٩٣٦ .
- (٦) ينشر بنك التسويات الدولية بشكل دورى الأرقام التقديرية لدورة رأس المال فى أسواق التبادل الخارجى. وفى أبريل ١٩٩٥ وصل الإجمالى إلى ١٢٣٠ بليون دولار أمريكى، وكان أكبر نصيب (٣٠ فى المائة) تمثله لندن .
- (٧) بعد أن كتب لورد بيفريدج تقريره : Report on Social Insurance and Allied Services أعقبه بتقرير آخر بعنوان Report on Full Employment in a Free Society ونشرته دار النشر : Allen and Unwin عام ١٩٤٤ .
- (٨) نشر نص مشروع منظمة التجارة الدولية فى الكتاب الأبيض للمملكة المتحدة بعنوان "القانون النهائى وميثاق هافانا لمنظمة التجارة الدولية" ، تحت رقم ٧٣٧٥ فى أبريل ١٩٤٨ .
- (٩) للحصول على مسح سياسى للعلاقات بين الدول المتقدمة والدول النامية - الحوار بين الشمال والجنوب - انظر فصل للمؤلف (سير بيتر مارشال) فى كتاب : The United Kingdom - The United Nations, ed. E. Jensen and T. Fisher .
- (١٠) أن مؤتمر قمة الأرض وتشعبات الأمم المتحدة قد تم بحثها بشكل مفيد فى Profesor Patricia Birnie, "The UN and the Environment", in "United nations - Divided World" (ed. A Roberts See also A Brenton, and B. Kingsbury), Oxford University Press الصادر عام ١٩٩٢ . The Greening of Machiavelli, Earthscan, الصادر عام ١٩٩٤ .

(١١) انظر :

Baroness Chalker, speech to the All-Party Group on Population and Development, House of Commons, ٢٢ نوفمبر عام ١٩٩٥ .

(١٢) كانت الاجتماعات المنظمة التي عقدها وزراء مالية دول الكومنولث قبيل الاجتماعات السنوية للبنك والصندوق تشكل فرصة لإطلاق المبادرات. وهناك مثال بارز حديث يتمثل في وضع الشروط للتخفيف من الديون - هو شرط ترينداد - الذي وضع في اجتماع وزراء مالية دول الكومنولث في بورت أوف سببين عام ١٩٩٢ .

(١٣) صدر البيان عن رؤساء دول وحكومات سبع دول صناعية كبرى ورئيس المفوضية الأوروبية في هاليفاكس في نوفاسكوتيا في ١٧ يونيو ١٩٩٥، الفقرة ١٢ . وكان ترتيب مؤتمر قمة هاليفاكس الواحد والعشرين في سلسلة المؤتمرات، وقد تم تحليل نور مؤتمرات القمة هذه بشكل مفيد جدا في كتاب : N. Bayane and R. Putman, "Hanging Together", Sage ، الصادر عام ١٩٨٧ وكان سير نيكولاس باين المندوب السامي البريطاني في أوتا ٩٢ - ١٩٩٦ .

(١٤) انظر كتاب : John Gordon, Green Knight to the Rescue Center for Study of Global Governance ورقة نقاشية رقم ١٢ صفحة ١١ وقد عمل مستر جوردون عضوا في الخدمة الدبلوماسية البريطانية .

(١٥) انظر تقرير : Our Global Neighborhood, Report of the Commission on Global Governance, Oxford University Press, صادر عام ١٩٥٥ .

(٦) العمارة الهندسية الأوروبية

(١) استخدم كاننج وزير الخارجية البريطانية هذه العبارة في مجلس العموم في ١٢ ديسمبر ١٨٢٦ ليبرر سياسته لتحرر من النمسا وبروسيا وروسيا، التي كانت بريطانيا العظمى ترتبط بها في التحالف المقدس. ولم يكن كاننج يأخذ بالرأى القائل بأن هذا التحالف له دور يؤديه غير هزيمة نابليون. وهو بهذا يختلف عن سلفه Castlereagh . وبدلاً من ذلك ظهر باعتباره زعيماً وحامياً للروح التحريرية العالمية، وخاصة في أمريكا اللاتينية . وليس من الواضح أن مجلس العموم قد فهم تماما ما كان كاننج يقوله .

(٢) أن الوثائق الرسمية المتعلقة بهذه التطورات عديدة بالطبع، وفي هذه المحاضرة سنشير إلى الحد الأدنى من المراجع .

(٣) كان ديوجول شخصية شامخة في أوروبا بعد الحرب. وقد ظهرت سيرة حياته بعد ٢٥ سنة بعد وفاته عام ١٩٧٠ بعنوان مناسب هو "آخر عظماء الفرنسيين" .

(٤) يجتمع رؤساء الدول والحكومات الأعضاء كل ستة أشهر، أي مرة كل رئاسة متناوبة تستغرق ستة أشهر كما يفعل المجلس الأوروبي . ونتائج هذه الاجتماعات متضمنة في : Presidency Conclusions ، الص ١٢٤ الملحق الخامس .

(٥) أصدرت مؤسسة بيانات الإدارة البريطانية عام ١٩٩٢ مطبوعة مفيدة جدا بعنوان The Maastricht Treaty in Perspective ، تتضمن النص الكامل لكل التغييرات والإضافات التي تقترحها معاهدة ماستريخت والتي أُنمجت في : Treaty of Rome and the Single European Act مع تحليل للسلطات الإضافية المقترحة لمؤسسات الجماعة الأوروبية .

(٦) ظهر عام ١٩٧٠ تقرير ويرنر عن الاتحاد الاقتصادي والنقدي (والذي سمي باسم رئيس اللجنة التي أعدته وهو رئيس وزراء لكسمبورج). وعندما اجتمعوا في باريس في أكتوبر ١٩٧٢ قبل التوسع الرسمي في عضوية الجماعة الأوروبية من ٦-٩ أعضاء، إعادة رؤساء الدول والحكومات تأكيد أن الدول الأعضاء للجماعات الأوروبية الموسعة عازمة عزمًا أكيدا على تحقيق الاتحاد الاقتصادي والنقدي ... وأنه يجب اتخاذ القرارات الضرورية خلال عام ١٩٧٣ للسماح بالانتقال إلى المرحلة الثانية للاتحاد الاقتصادي والمالي في ٣١ ديسمبر ١٩٨٠ (وقد صدر نص البيان في صورة كتاب أبيض برقم ٥١٠٩) .

وفي مؤتمر قمة الدول التسع في كوينهاجن في ديسمبر ١٩٧٤، ظهر واضحاً أن هذا الجدول الزمني غير واقعي، مثله مثل المشروعات الأخرى الخاصة بتكامل أوروبي أوثق، وقد أدى تميم تعويم العملات، وحرب الشرق الأوسط في أكتوبر ١٩٧٣، وأزمة البترول إلى تخفيض تعاون المجموعة الأوروبية إلى أدنى حد. ومع هذا فإن اجتماع رؤساء الحكومات في باريس في ٩ و ١٠ ديسمبر قد لاحظ أن الصعوبات الداخلية والولاية قد حالت عام ١٩٧٣ - ١٩٧٤ دون تحقيق التقدم المتوقع على الطريق إلى الاتحاد النقدي الأوروبي مما أكد أن إرادتهم في هذا الميدان لم تضعف وأن هدفهم لم يتغير منذ مؤتمر باريس ١٩٧٤ ولم يظهر إلى الوجود مفهوم النظام النقدي الأوروبي الأكثر تواضعاً إلا عام ١٩٧٩ .

(٧) P. Fontaine, Europe in Ten Lessons, European Documentation, 1992

(٨) أجرى Evgeny Chossudovsky تقييماً معاصراً مفيداً في تقريره :

The Helsinki Final Act Viewed in the United Perspective, Unitar Research Report.

رقم ٢٤ صادر عام ١٩٨٠ .

(٩) انظر كتاب : H. Kissinger, Diplomacy, Signon and Schuster . صادر عام ١٩٩٤ صفحة ٨١٢ .
والكتاب بوجه عام مزيج ثمين من الحقائق والتتقيف والحوافز.

(١٠) انظر كتاب : H. Rieben, Des Guerres Européennes a L'Union de l'Europe, Fondation : Jean Monnet pour l'Europe, صادر ١٩٨٧ صفحة ٢٢٠ .

(١١) أرسل الممثل الدائم للولايات المتحدة النص إلى الأمين العام، وتم توزيعه باعتباره وثيقة للجمعية العامة برقم A / 50 / 790 ووثيقة لمجلس الأمن برقم S / 1995 / 999 .

(١٢) أرسل المنسوب الدائم للمملكة المتحدة النص إلى الأمين العام وتم توزيعه باعتباره وثيقة لمجلس الأمن برقم S / 1995 / 1029 .

(١٣) انظر البيان الصحفي : الصادر ١٩٩٥ . الصادر في ديسمبر NATO Press Communique (برقم 5, 118, 2 (95) M - NAC) .

(١٤) المسألة هل سيتمثل هذا سابقة، قارن التوصية في تقرير اللجنة الخاصة بالحكومة العالمية الصادر عن مجلس الأمن ص ٨٨ .

(١٥) هذا القرار يستند إلى اتفاقية دايتون، نتائج مؤتمر لندن وتقرير الأمين العام (برقم S / 1995 / 1031) .

(٧) صنع السياسة الخارجية

- (١) انظر تقرير : Foreign and commonwealth Office, including Overseas Development Administration, الصادر في ١٩٩٦ Departmental Report مارس ١٩٩٦ .
(٢) ١٠ سبتمبر ١٩٩٤ صفحة ٢٤ .
(٣) انظر Vache's Parliamentary Companion, No.1080, November ١٩٩٥ صادر عام ١٩٩٥ صفحة ١٤٤ حتى ١٤٨ . وهذا المرجع عن البرلمان ووزارات الخارجية وكبار موظفي الدولة والمكاتب العامة هو منجم من المعلومات. ويتم نشره فصلياً .
(٤) اقتبس لورد بولدوين (ابنه) في كلمة في جمعية كبلنج، في أكتوبر ١٩٧١ .
(٥) مسألة سياسة الاتصالات الدولية المستقبلية هي موضوع دراسة جديدة قيمة من إعداد Vincent Cable Royal Institute of International Affairs, Global Superhighway, and Catherine Distler 1995 .
(٦) إن ميزان القوى الذي له فضل حفظ السلام في أوروبا، تم الاعتراف به منذ البداية على أنه يحتوى على عنصر حافة الهاوية. وقد اعتمد على دقة تقديرات الدول الكبرى لنوايا بعضها البعض وكفاءة الأجهزة الدبلوماسية لكل منها في نقل الإشارات الصحيحة (انظر المحاضرة الرابعة) .
(٧) انظر Hansard صادر في ١٨ ديسمبر ١٩٩٥ مجلد ٢٢٨ رقم ٢٢ .
(٨) انظر المراجع الخاصة بالمحاضرة السادسة .

(٨) منظمة الخدمة الدبلوماسية

- (١) انظر كتاب : Lord Strang, The Diplomatic Career, Andre Deutsch, 1962 صادر ١٤ صفحة .
(٢) من المهم أن نذكر في هذا الصدد نبوءة أطلقها لورد بلفور رئيس الوزراء البريطاني، ووزير الخارجية. فقد تكهن بمستقبل بالتنمية المستقبلية للمنظمات واسعة النطاق، وأوحى بأن التعقيد المتزايد في عملها، سيؤدي في النهاية إلى إخراجها من نطاق السيطرة الفعالة للإنسان، بسبب الأساليب الجديدة للاتصالات وغيرها من الاختراعات الحديثة. وكان المثالان اللذان قدمهما لورد بلفور عن هذه الفكرة هما "تجمعات Combines الأعمال العملاقة" ووزارة الخارجية البريطانية (انظر : Introduction by Sir John Simon to Tilly and Gaselee, The Foreign Office, Putnam, 1933, p. vii) .
(٣) قال رجل حكيم ربما كان أيضا من كبار مؤلفي الكتب المشكوك في صحتها أنه راجب حقا بأن يقال له إن نصف ما صرفه على الإعلانات ذهب هباء، ولكنه لم يجد شخصا يخبره أى نصف منهما .
(٤) جاء في ١٩٩٥ Departmental Report cm 2802, p.10 أنه في عام ١٩١٤ بلغ عدد العاملين في وزارة الخارجية البريطانية ١٧٦، ويشمل ذلك البوابين وعمال النظافة .

(٥) انظر تقرير : Report by the Central Policy Review of Overseas Representation, Review Staff, HMSO 1977. See the author's The Dynamics of Diplomacy, Diplomatic Academy of London, 1990. صفحة ١٢ حتى ٢٠ .

(٦) أن إدارة أعمال الاتحاد الأوروبي كان لها طابع واضح هو أن العاملين من الوزارات، فمكتب الممثل الدائم للمملكة المتحدة في بروكسل يزخر بموظفين من عدد من الوزارات، وحتى الآن فإن الممثل الدائم كان دائماً أحد أعضاء الخدمة الدبلوماسية .

(٧) قد يرد سريره البديهة بأن المقترح يمكن أن يعرض بشكل عكسي .

(٨) كان جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكي في الخمسينات من الميزدين لهذه الممارسة. وقيل لأنه كان لديه قدرة لا حدود لها على ركوب الطائرات. كما قيل بالنسبة لوزير خارجية ألمانيا Hans-Dietrich الذي قضى مدة خدمة طويلة في المنصب، أنه لو اصطدمت طائرتان فوق منتصف الأطلنطي، فإن اسمه سيكون مسجلاً في قائمتي الطائرتين .

(٩) انظر : Tilley and Gaselee, The Foreign Office, صفحة ٢٥٧ .

(١٠) قال سير إدوارد جراي، وزير الخارجية البريطاني في ٣ أغسطس ١٩١٤، وهو يحدق من نوافذ مكتبه عشية نشوب الحرب العظمى، عندما رأى العاملين في إضاءة المصابيح : "إن المصابيح ستنطفئ في كل أنحاء أوروبا، ولن نراها مضاعة طيلة حياتنا" .

(١١) انظر كتاب : Lord Morrison, Government and Parliament, Oxford University Press الصادر في ١٩٥٩ صفحة ٦٢ .

(١٢) انظر صفحة ١٢٦ وصفحة ١٧٦ من كتاب : Sir Harold Nicolson, Diplomacy, Oxford University Press, الصادر عام ١٩٥٠ .

(١٣) تحتوى القائمة الدبلوماسية، لندن، ديسمبر ١٩٩٥ على قائمة مرتبة أبجدياً لممثلي الدول الأجنبية وبلاد الكومنولث المقيمين في لندن مع أسماء وتخصصات باقي الدبلوماسيين. وترتب القائمة الممثلين حسب أقدميتهم بناءً على تاريخ تقديم أوراق اعتمادهم. كما تضم القائمة الأعياد القومية، ودليل المنظمات الدولية التي مقرها لندن، وأشهرها الأمانة العامة للكومنولث والمنظمة البحرية الدولية .

(١٤) قدم Ian Soutar عرضاً ضافياً عن أثر تكنولوجيا المعلومات على الممارسة الدبلوماسية وهو رئيس مكتبة وإدارة السجلات بوزارة الخارجية البريطانية، وذلك أمام ندوة عن "الدبلوماسية فيما بعد ٢٠٠٢"، التي عقدت في جامعة ويستمنستر في ٦ أبريل ١٩٩٥ .

(١٥) انظر كتاب : See: Beryl Smedley, Partners in Diplomacy, Hartley Press, الصادر ١٩٩٠ . وهو مسح ممتع جداً .

(١٦) توجد اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية (١٩٦٣)، وهي مختلفة عن اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية (١٩٦١) .

(٩) اكتساب المهارات الدبلوماسية : الصياغة

- (١) سير هارولد نيكسون يتحدث إلى الملحقين الجدد بالخمعة الخارجية البريطانية ، ١٩٤٥ .
 - (٢) انظر كتاب : Blaise Pascal, Lettres Provinciales الصادر ١٦٥٧ .
 - (٣) انظر صفحة ١٠٩ من مسرحية : Shakespeare, Troilus and Cressida, I, iii .
 - (٤) إن نطاق عمل رؤساء اللجان في كل ذلك هو مثال على المقولة الشائعة في بوانر الأمم المتحدة : "رئيس اللجنة الذي لا يستقل منصبه يفقد هيئته" .
 - (٥) هذا القول لمجهول، وقد اقتبس في صفحة ٧٣ من كتاب : John Chadwick, The Unofficial Commonwealth, Allen and Unwin, الصادر في ١٩٨٢ وهو سرد شامل ومقروء للسنوات الأولى لمؤسسة الكومنولث، وهي المؤسسة الخاصة بتنشيط التعاون غير الحكومي داخل الكومنولث .
 - (٦) انظر : Sir Henry Taylor, The Statesman, 1836, Chapter XIII .
- إن ملاحظات تيلور التي تمزج بين الحكمة والعظمة، وما قد تطلق عليه الأجيال التالية "التفوق في اللعب دون غش" gamesmanship ، كانت تهدف إلى تخريج موظفي حكومة من نوعيات أعلى (أو كما يسميهم رجال بولة في خلوة (closet statesmen) ومم بالضبط ما كانت تحتاجهم تعقيدات الحكومة المتزايدة .

(١٠) عشر قواعد للدبلوماسية

- (١) انظر رواية شارلز ديكنز : ديفيد كوبرفيلد الفصل الحادي عشر .
- (٢) انظر الفصل الرابع والعشرين من كتاب : Sir Henry Taylor, The Statesman الصادر عام ١٨٣٦ .
- (٣) انظر مسرحية هاملت لشكسبير الفصل الثالث .
- (٤) من بين أكبر الهفوات الدبلوماسية تلك التي ارتكبها سير هنري وتون Sir Henry Wotton ، السفير البريطاني في البندقية، الذي توقف في أوجوسبرج عام ١٦٠٤، وكتب في "اليوم" صديق له جملة: "السفير هو رجل أمين يرسل إلى الخارج ليكذب" a من أجل بلاده . ولكنه كتبها باللاتينية، فلم يعد هناك لبس مع المعنى الآخر لكلمة a وهو "يقيم"، وبقي فقط معناها الآخر وهو "يكذب". وقد عنفه الملك جيمس الأول على قوله هذا. (أصبحت هذه الجملة من أشهر الجمل الدبلوماسية ولكن هناك شك في مدى صحة وجدوى ما تشير إليه. فالممارسة الدبلوماسية تؤكد أن السفير الذي يكذب يفقد مصداقيته واحترام الدولة المعتمد لديها واحترام زملائه من سفراء الدول الأخرى، ويكون مدعاة لتعليقات لاذعة من رجال الصحافة والإعلام إذا نشروا له تصريحاً وثبت كذبه. ولهذا بدلاً من الكذب وللخروج من الحرج في موقف صعب يمكن أن يجيب السفير على أية أسئلة لا يود الإجابة عليها قائلاً "لا تعليق" "No Comment" التي تعفيه من الحرج وتوحي بأن لديه معلومات ولكنه لا يريد البوح بها لأسباب مختلفة، وفي الوقت نفسه لا يجب على السفير أن يفشى سراً لرجال الإعلام ويطلب منهم عدم النشر off record - المترجم) .

المراجع

تتسم أدبيات العلاقات الدولية بالضخامة. وأى مراجع شاملة يمكن أن تنشر في كتاب قائم بذاته. والمراجع المنوه عنها هنا هي انتقاء مختصر تضم مطبوعات ليست ذائعة الصيت بالإضافة إلى عدد محدود من النصوص المألوقة. وقد قسمنا القائمة لسهولة الرجوع إليها حسب الضرورة بشكل تحكّمي إلى حد ما، على أساس فصل موضوعات كل محاضرة على حدة. وسيتضح للقارئ مدى انطباق المؤلفات على المحاضرات الأخرى.

LECTURE 1 DIPLOMACY: A CHILD OF CHANGING TIMES

Bull. H. and Watson, A.: *The Expansion of International Society*, Oxford University Press, 1984

Busk, D.: *The Craft of Diplomacy*, Pall Mall Press, 1967

Jackson, G.: *Concorde Diplomacy*, Hamish Hamilton, 1981

Nicolson, H.: *Diplomacy*, 2nd edition, Oxford University Press, 1950

——— *The Evolution of Diplomatic Method*, Constable, 1954

Satow, E.: *Guide to Diplomatic Practice*, 5th edition, Longman, 1979

Wellesley, V.: *Diplomacy in Fetters*, Hutchinson, 1944

LECTURE .2 THE NATURE OF INTERNATIONAL SOCIETY TODAY

Fukuyama, F.: *The End of History and the Last Man*, Hamish Hamilton, 1992

Huntington, S.P.: "Clash of Civilisations?" *Foreign Affairs*, Vol. 72, No. 3, Summer 1993

Kennedy, P.: *Preparing for the Twenty-First Century*, Harper Collins, 1993

LECTURE 3 NATIONAL SOVEREIGNTY AND ITS LIMITS

- Brierly, J.L.:** *The Law of Nations*, 5th edition, Oxford University Press, 1950.
- Frankel, J.:** *International Relations in a Changing World*, 3rd edition, Oxford University Press, 1979.
- Henkin, L.:** *How Nations Behave*, Praeger, 1969.
- Kung, H.:** *Global Responsibility in Search of a New World Ethic*, SCM Press, 1991.
- Mitrany, D.:** *A Working Peace System: an Argument for the Functional Development of International Organisation*, Royal Institute of International Affairs, 1943.
- Sen, B.:** *A Diplomat's Handbook of International Law and Practice*, Nijhof, 1965.
- Sinclair, L.:** "International Law: The Court, Commission and Judges", in *The United Kingdom - The United Nations*, ed. E. Jensen and T. Fisher, Macmillan, 1990.
- Taylor, P. and Groom, A.:** *International Organisation*, Frances Pinter, 1978.

LECTURE 4 THE UNITED NATIONS

The United Nations Charter

The Statute of the International Court of Justice

The Rules of Procedure of the General Assembly

Annual Report of the Secretary-General on the Work of the United Nations (submitted to the General Assembly).

Boutros-Ghali, B.: *An Agenda for Peace* (2nd edition) United Nations 1995.

——— : *An Agenda for Development*, United Nations, 1995.

Commonwealth Secretariat: *The Commonwealth at the Summit*.

(Communiqués of Heads of Government Meetings 1944-86), 1987.

Independent Commission on Disarmament and Security Issues (The Palme Commission): *Common Security: A Programme for Disarmament*, Pan Books, 1982.

Independent Commission on International Humanitarian Issues: *Winning the Human Race?* Zed Books, 1988.

Jensen, E. and Fisher T. (eds): *The United Kingdom - The United Nations*, Macmillan, 1990.

Roberts, A. and Kingsbury, B. (eds): *United Nations - Divided World*, 2nd edition, Oxford University Press, 1993.

Smith, A. with Sanger, C.: *Stitches in Time*, General Publishing, 1981.

(memoirs of the First Commonwealth Secretary-General, 1965-75).

Urquhart, B.: *A Life in Peace and War*, Weidenfeld and Nicolson, 1987.

LECTURE 5 THE WORLD ECONOMY

International Commission Reports:

(i) **The Pearson Commission,** *Partners in Development*, Praeger, 1969.

(ii) **The Brandt Commission,** *North-South: A Programme for Survival*, Pan, 1980.

———, *Common Crisis*, Pan, 1983.

(iii) **The Brundtland Commission,** *Our Common Future*, Oxford University Press, 1987.

(iv) **The Carlsson-Ramphal Commission,** *Our Global Neighbourhood*, Oxford University Press, 1995.

Bayne, N. and Putman, R.: *Hanging Together*, 2nd edition, Sage, 1987 (a history of the G7).

Brenton, A.: *The Greening of Machiavelli*, Earthscan, 1994.

Commonwealth Secretariat: *International Development Policies*, review of the activities of international organisations (quarterly).

The Economist: *Pocket World in Figures* (annually).

Galbraith, J.K.: *A History of Economics*, Hamish Hamilton, 1987.

List, F.: *The National System of Politics / Economy*, 1840.

Marshall, P.: "The North/South Dialogue: Britain at Odds" in the *The United Kingdom - The United Nations*, ed. E. Jensen and T. Fisher, Macmillan, 1990.

OECD.: *Twenty-Five Years of Development Cooperation*, OECD, Paris, 1985.

———: *World Economy Interdependence and the Evolving North-South Relationship*, OECD, Paris, 1983.

United Nations: *The History of UNCTAD 1964-1984*, UN publications, 1985.

World Bank: *The World Bank Atlas* (annually).

LECTURE 6 EUROPEAN ARCHITECTURE

The Treaty of Maastricht, 1992

HMSO: *Developments in the European Union* (a comprehensive six-monthly survey).

——— : *Presidency Conclusions issued at the end of regular meetings of the European Council.*

Kitzner, U.: *Diplomacy and Persuasion*, Thomas and Hudson, 1973 (the story of how the UK joined the EEC).

Monnet, J.: *Memoirs* (translated by Richard Mayne) Doubleday, 1978.

Williams, C.: *The Last Great Frenchman: A Life of General de Gaulle*. Abacus. 1993.

LECTURE 7 FOREIGN POLICY-MAKING

Acheson, D.: *Present at the Creation*, Hamish Hamilton, 1969 (an account of his years at the State Department 1941-7 and 1949-53).

"Britain in the World", Proceedings of a one-day conference organised by the Royal Institute of International Affairs in association with HMG, 29 March 1995.

Clarke, M.: *British External Policy-Making in the 1990s*, Macmillan, 1992.

Kissinger, H.: *Diplomacy*, Simon and Schuster, 1994.

Strang, W.: *Britain in World Affairs*, Faber and Faber and André Deutsch, 1961.

Tugendhat, C. and Wallace, W.: *Opinions for British Foreign Policy in the 1990s*, Royal Institute of International Affairs /Routledge, 1988.

Woodward, L.: *British Foreign Policy in the Second World War*, HMSO, 1962.

LECTURE 8 DIPLOMATIC SERVICE ORGANISATION

FCO: *Departmental Report* (annual) HMSO

FCO, Historical Branch : *The FCO, Policy, People and Places, 1783-1993*, 3rd edition, 1993,1993 (one of a series of "History Notes". Inter alia it contains very useful bibliographical information).

Official reports:

Proposals for the Reform of the Foreign Service, Cmd 6420, HMSO, 1943.

Report of the Committee on Overseas Information Services (the Drogheda Report) Cmd 9138, HMSO, April 1954.

Report of the Committee on Representational Services Overseas (the Plowden Report) Cmnd 2276. HMSO, February 1964.

Report of the Review Committee on Overseas Representation 1968-9 (the Duncan Report), Cmnd 4107, HMSO, July 1969.

Review of Overseas Representation: Report by the Central Policy Review Staff (the "Think Tank" report), HMSO, 1977.

The United Kingdom's Overseas Representation, Cmd 7308, HMSO, August 1978 (this is principally the government's reply to the "Think Tank" report).

Foreign Affairs Committee of the House of Commons: Cultural Diplomacy Fourth Report, Session 1986-87, HMSO. May 1987 (a very useful analysis of the cultural aspects of international relations).

Boyace, P.: *Foreign Affairs for New States*, University of Queensland Press, 1977.

Commonwealth Secretariat: *Diplomatic Service Formation and Operation. Report on Commonwealth Seminar, Singapore*, 1970, Longman, 1971.

Eldon, S. *From Quill Pen to Satellite*, Royal Institute of International Affairs, 1994.

Garner, S.: *The Commonwealth Office, 1925-68*, Heinemann, 1978.

Marett, R.: *Through the Back Door*, Pergamon, 1968.

Strang, W.: *The Foreign Office*, Allen and Unwin, 1955.

———: *The Diplomatic Career*, André Deutsch, 1962.

Tilley, J. and Gaselee, S.: *The Foreign Office*, Putnam, 1933.

LECTURE 9 THE ACQUISITION OF DIPLOMATIC SKILLS: DRAFTING

Bacon, F.: *Essays*, 1597-1625.

Cornford, F.: *Microcosmographia Academica, Being a Guide for the Young Academic Politician*, Bowes and Bowes, 1953.

Gower, E.: *The Complete Plain Words*, HMSO, 1954.

Kaufmann, J.: *Conference Diplomacy*, 3rd edition, Macmillan, 1996.

——— : *United Nations Decision Making*, Sijthoff and Nordhoff, 1980.

Taylor, H.: *The Statesman*, 1836.

LECTURE 10 DIPLOMAT'S DECADE

Connell, J.: *The "Office". A Study of British Foreign Policy and its Makers, 1919-1951*, Allan Wingate, 1958.

Dickie, J.: *Inside the Foreign Office*, Chapmans, 1992.

Dudley Edwards, R.: *True Brits*, BBC Books, 1994 (accompanying an entertaining and informative TV series).

Keens-Soper, M. and Schwelzer, k. (Eds): *The Art of Diplomacy* (translation of *De la Manière de Négociier avec les Souverains*, 1716 by Francois de Callières, an eighteenth-century classic), Leicester University Press, 1983.

Machiavelli, N.: *The Prince*, 1532.

Oudendyk, W.: *Ways and By-ways in Diplomacy*, Peter Davis, 1939 (memoris of a Netherlands diplomat exemplifying the "Old Diplomacy").

Smedley, B: *Partners in Diplomacy*, Harley Press, 1990 (the "story of many generations of women who have been married to British diplomats serving abroad").

Trevelyan, H.: *Diplomatic Channels*, Macmillan, 1974 (light-hearted reflections of one of the most eminent of twentieth-century British Diplomats).

اختصارات

- ACP** : (countries of Africa, Caribbean and Pacific associated with European Union).
- BBC** : British Broadcasting Corporations.
- BSE** : (Bovine Spongiform Encephalopathy, or 'mad cow disease').
- CEEC** : Committee for European Economic Co-operation.
- CJD** : Creutzfeldt Jakob Disease.
- CPRS** : Central Policy Review Staff.
- CSCE** : Conference on Security and Co-operation in Europe.
- ECE** : Economic Commission for Europe.
- ECOSOC** : Economic and Social Council.
- ECSC** : European Coal and Steel Community.
- EDC** : European Defence Community.
- EEA** : European Economic Area.
- EEC** : European Economic Community.
- EFTA** : European Free Trade Association.
- EMS** : European Monetary System.
- ERM** : Exchange Rate Mechanism.
- EURATOM** : European Atomic Energy Community.
- FCO** : Foreign and Commonwealth Office.
- FO** : Foreign Office.
- GATT** : General Agreement on Tariffs and Trade.
- GDI** : Gender Development Index.
- GEM** : General Empowerment Measure.
- G7** : (Group of Seven major industrial countries).
- G77** : (Group of Seventy-Seven developing countries).
- HABITAT** : UN Conference on Human Settlements.
- HDI** : Human Development Index.
- ICRC** : International Committee of the Red Cross.

IFOR : multinational Military Implementation force.
IGC : Intergovernmental Review Conference.
IMF : International Monetary Fund.
IMO : International Maritime Organisation.
ITO : International Trade Organisation.
MERCOSUR : South American Common Market.
NATO : North Atlantic Treaty Organisation.
NGOs : non-governmental organizations.
NIEO : New International Economic Order.
NIIO : New International Information Order.
NPC : National Press Club (Washington, D.C.).
OAU : Organisation of African Unity.
ODA : Overseas Development Administration.
OECD : Organisation for Economic Co-operation and Development.
OEEC : Organisation for European Economic Co-operation.
OIC : Organisation of Islamic Conference.
OSCE : Organisation for Security and Co-operation in Europe.
PIC : Peace Implementation Conference (Bosnia).
UEFA : Union of European Football Association.
UNCTAD : UN Conference on Trade and Development.
UNDP : UN Development Programme.
Unesco : (UN Educational, Scientific and Cultural Organisation).
UNHCR : UN High Commissioner for refugees.
UNPROFOR : UN Protection Force in former Yugoslavia).
WEU : Western European Union.
WTO : World Trade Organisation.

المؤلف في سطور

سير بيتر مارشال

- التحق بالسلك الدبلوماسي البريطاني عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٨٣ وعمل في سفارات بريطانيا في واشنطن وبيغداد وجنيف وباريس والبعثة الدائمة في الأمم المتحدة بنيويورك .
- تولى منصب نائب سكرتير عام منظمة الكومنولث للشئون الاقتصادية من ١٩٨٣ - ١٩٨٨ ، ورئيساً لمجلس إدارة جمعية الكومنولث الملكية من ١٩٨٨ حتى ١٩٩٢ .
- منذ عام ١٩٨٩ عمل أستاذاً زائراً في أكاديمية لندن الدبلوماسية بجامعة وستمنستر .
- زميل فخري بكلية كوربي كريستي بجامعة كمبريدج وجامعة وستمنستر .
- ألف وحرر عدة كتب منها "ديناميكيات الدبلوماسية"، و "هل هناك ضرورة حقا للدبلوماسيين؟"، و "الدبلوماسية فيما بعد ٢٠٠٠"، وكذلك "الانفجار الإعلامي - تحد للدبلوماسية" (تحرير بالمشاركة مع أ.د. نبيل عياد مدير أكاديمية لندن الدبلوماسية بجامعة وستمنستر) .

المترجم في سمطور

الدكتور أحمد مختار الجمال

- حصل على ليسانس في الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة ودبلوم في العلاقات الدولية من جامعة أوكسفورد ، ودكتوراة في العلاقات الدولية والدبلوماسية من جامعة ريدينج ببريطانيا. وزمالة كلية الدفاع الوطني باكاديمية ناصر العسكرية العليا في الاستراتيجية القومية .
- التحق بالسلك الدبلوماسي عام ١٩٦٠ ، وعمل بسفارات مصر في باكستان والهند والأردن وقطر ومونتفيدو ووزير مصر المفوض في لندن وسفير ومدير معهد الدراسات الدبلوماسية ومدير الصحافة والإعلام بوزارة الخارجية .
- انتدب عضواً بالكتب الفنئ لرئيس الجمهورية ومستشاراً لرئيس مجلس الشورى والمجلس القومي للسكان والصندوق الاجتماعي برئاسة مجلس الوزراء وحالياً مستشار وعضو مجلس المحافظين بالمجلس المصرى الأوروبى .
- نشر له ٢٠٠ قصة قصيرة و ٦٠ كتاباً (مؤلفة ومترجمة) فى العلاقات الدولية والدبلوماسية والاستراتيجية والتنمية والسكان، منها "حرب السويس" للدكتور محمود فوزى (ترجمة : عن الإنجليزية، دار الشروق) و"نماذج التنمية فى جنوب شرق آسيا" (تأليف : وصدر عن جامعة القاهرة) و "دليل الدبلوماسية فى القانون الدولى والممارسة" (بسنن) و "مقدمة للسياسة" و "أجرومية السياسة" (هارولد لاسكى) و"جوهر الأمن" (روبرت مكنامارا) ، ونشر عدداً كبيراً من الأبحاث منها "إدارة الأزمات" بمجلة السياسة الدولية و "الأسس الفكرية لحوار حضارى بين العرب والغرب" و "الإعلام العربى الإليكترونى" بمجلة "شئون عربية" التى تصدر عن جامعة الدول العربية .

المراجع فى سطور

الدكتور السيد أمين شلبى

- حصل على ليسانس الآداب وماجستير فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة وعلى دبلوم العلاقات الدولية من جامعة أكسفورد والدكتوراة فى العلاقات السياسية من جامعة القاهرة .
- التحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٦١ وعمل فى سفارات مصر فى براغ وموسكو ولاجوس ووزيراً مفوضاً فى سفارة مصر فى واشنطن وسفيراً فى النرويج .
- أصدر العديد من الكتب حول العلاقات الدولية والدبلوماسية والشخصيات من أبرزها: الوفاق الأمريكى السوفييتى، قراءة جديدة للحرب الباردة، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولى جديد، الدبلوماسية المعاصرة، هنرى كيسنجر حياته وفكره، داج همرشولد، جورج كينان الدبلوماسى المؤرخ، التسعينات وأسئلة ما بعد الحرب الباردة .
- * حاصل على وسام الاستحقاق النرويجى .

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومي للترجمة

أحمد درويش	جون كوين	اللغة العليا	١-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو بانيكار	الوثنية والإسلام (ط١)	٢-
شوقي جلال	جورج جيمس	التراث المسروق	٣-
أحمد الحضري	إنجا كاريتنيكوفا	كيف تتم كتابة السيناريو	٤-
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	ثريا في غيبوبة	٥-
سعد مصلوح ووفاء كامل فايد	ميلكا إفتيش	اتجاهات البحث اللساني	٦-
يوسف الأنطكي	لوسيان غولدمان	العلوم الإنسانية والفلسفة	٧-
مصطفى ماهر	ماكس فريش	مشعلو الحرائق	٨-
محمد محمد عاشور	أندر، س. جودي	التغيرات البيئية	٩-
محمد معتمد وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى	جيرار چينيت	خطاب الحكاية	١٠-
هناء عبد الفتاح	فيسوالفا شيمبوريسكا	مختارات شعرية	١١-
أحمد محمود	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	طريق الحرير	١٢-
عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميث	ديانة الساميين	١٣-
حسن المودن	جان بيلمان نويل	التحليل النفسي للأدب	١٤-
أشرف رفيق عفيفي	إنوارد لوسى سميث	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	١٥-
يشارفد أحمد عثمان	مارتن برنال	أثنية السوداء (ج١)	١٦-
محمد مصطفى بدوي	فيليب لاركين	مختارات شعرية	١٧-
طلعت شاهين	مختارات	الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	١٨-
نعيم عطية	جورج سفيريس	الأعمال الشعرية الكاملة	١٩-
يعني طريف الخولي وبدوي عبد الفتاح	ج. ج. كراوثر	قصة العلم	٢٠-
ماجدة العناني	صمد بهرنجي	خوخة وآف خوخة وقصص أخرى	٢١-
سيد أحمد على الناصري	جون أنتيس	مذكرات رحالة عن المصريين	٢٢-
سعيد توفيق	هانز جيورج جادامر	تجلى الجميل	٢٣-
بكر عباس	ياتريك بارندر	ظلال المستقبل	٢٤-
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومي	مثنوى (٦ أجزاء)	٢٥-
أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	دين مصر العام	٢٦-
بإشراف: جابر عصفور	مجموعة من المؤلفين	التنوع البشري الخلاق	٢٧-
منى أبو سنة	جون لوك	رسالة في التسامح	٢٨-
بدر الديب	جيمس ب. كارس	الموت والوجود	٢٩-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو بانيكار	الوثنية والإسلام (ط٢)	٣٠-
عبد الستار الحلوجي وعبد الوهاب علوب	جان سولفاجيه - كلود كايين	مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	٣١-
مصطفى إبراهيم فهمي	ديفيد روب	الانقراض	٣٢-
أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هوبكنز	التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية	٣٣-
حصة إبراهيم المنيف	روجر آلن	الرواية العربية	٣٤-
خليل كلفت	بول ب. ديكسون	الأسطورة والحداثة	٣٥-
حياة جاسم محمد	والاس مارتن	نظريات السرد الحديثة	٣٦-

جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	۲۷- واحة سيوة وموسيقاها
أنور مفيث	آن تورين	۲۸- نقد الحداثة
منيرة كروان	بيتر والكوت	۲۹- الحسد والإغريق
محمد عيد إبراهيم	آن سكستون	۴۰- قصائد حب
عاطف أحمد وإبراهيم لطفى ومحمود ماجد	بيتر جران	۴۱- ما بعد المركزية الأوروبية
أحمد محمود	بنجامين بارير	۴۲- عالم ماك
المهدى أخريف	أوكتايفو پات	۴۳- اللهب المزدوج
مارلين تادرس	ألنوس هكسلى	۴۴- بعد عدة أصياف
أحمد محمود	روبرت نينا وچون فاين	۴۵- التراث المنفرد
محمود السيد على	ياپلو نيرودا	۴۶- عشرون قصيدة حب
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	۴۷- تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج۱)
ماهر جويجاتى	فرانسوا دوما	۴۸- حضارة مصر الفرعونية
عبد الوهاب علوب	ه . ت . نوريس	۴۹- الإسلام فى البلقان
محمد براءة وعثمانى الملوذ ويوسف الأشمكى	جمال الدين بن الشيخ	۵۰- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير
محمد أبو العطا	داريو بيانوبيا وخ . م . بينياليستى	۵۱- مسار الرواية الإسبانية أمريكية
لطفى فطيم وعادل دمرداش	ب . نواليس وس . دوجسليتز وديجر بيد	۵۲- العلاج النفسى التذمى
مرسى سعد الدين	أ . ف . النجتون	۵۳- الدراما والتعليم
محسن مصيلحى	ج . مايكل والتون	۵۴- المفهوم الإغريقى للمسرح
على يوسف على	جون يولكنجهوم	۵۵- ما وراء العلم
محمود على مكى	فديريكو غرسية لوركا	۵۶- الأعمال الشعرية الكاملة (ج۱)
محمود السيد و ماهر البطولى	فديريكو غرسية لوركا	۵۷- الأعمال الشعرية الكاملة (ج۲)
محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	۵۸- مسرحيتان
السيد السيد سهيم	كارلوس مونيث	۵۹- المحبرة (مسرحية)
صبرى محمد عبد الفنى	جوهانز إيتين	۶۰- التصميم والشكل
بإشراف : محمد الجوهرى	شارلوت سيمور - سميت	۶۱- موسوعة علم الإنسان
محمد خير البقاعى	رولان بارت	۶۲- لذة النص
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	۶۳- تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج۲)
رمسيس عوض	ألان وود	۶۴- بتراند راسل (سيرة حياة)
رمسيس عوض	بتراند راسل	۶۵- فى مدح الكسل ومقالات أخرى
عبد اللطيف عبد الحليم	أنطونيو جالا	۶۶- خمس مسرحيات أندلسية
المهدى أخريف	فرناندو بيسوا	۶۷- مختارات شعرية
أشرف الصياغ	فالتين راسبوتين	۶۸- نقاشا العجوز وقصص أخرى
أحمد فزاد متولى وهويدا محمد فهمى	عبد الرشيد إبراهيم	۶۹- العالم الإسلامى فى أول القرن العشرين
عبد الصميد غلاب وأحمد حشاد	أوخينيو تشانج روبريچت	۷۰- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية
حسين محمود	داريو فو	۷۱- السيدة لا تصلح إلا للرمى
فزاد مجلى	ت . س . إليوت	۷۲- السياسى العجوز
حسن ناظم وعلى حاكم	چين ب . توميكنز	۷۳- نقد استجابة القارئ
حسن بيومى	ل . ا . سيمينوفا	۷۴- صلاح الدين والمماليك فى مصر

أحمد درويش	أندريه موروا	٧٥- فن التراجم والسير الذاتية
عبد المقصود عبد الكريم	مجموعة من المؤلفين	٧٦- جاك لاكان وإغراء التطيل النفسى
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	٧٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)
أحمد محمود ونورا أمين	رونالد روبرتسون	٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية
سعید الغانمى وناصر حلاوى	بوريس أوسپنسكى	٧٩- شعرية التأليف
مكارم الغمرى	ألكسندر پوشكين	٨٠- پوشكين عند «نافورة الدموع»
محمد طارق الشرفاوى	بندكت أندرسن	٨١- الجماعات المتخيلة
محمود السيد على	ميجيل دى أونامونو	٨٢- مسرح ميجيل
خالد المعالى	شوتفريد بن	٨٣- مختارات شعرية
عبد الحميد شحبة	مجموعة من المؤلفين	٨٤- موسوعة الأدب والنقد (ج١)
عبد الرازق بركات	صلاح زكى أقطاى	٨٥- منصور الحلاج (مسرحية)
أحمد فتحي يوسف شتا	جمال مير صادقى	٨٦- طول الليل (رواية)
ماجدة العنانى	جلال آل أحمد	٨٧- نون والقلم (رواية)
إبراهيم السوقي شتا	جلال آل أحمد	٨٨- الابتلاء بالتغرب
أحمد زايد ومحمد محيي الدين	أنتونى جيننز	٨٩- الطريق الثالث
محمد إبراهيم مبروك	بورخيس وآخرون	٩٠- وسم السيف وقصص أخرى
محمد هناء عبد الفتاح	باريرا لاسوتسكا - بشونياك	٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق
نادية جمال الدين	كارلوس ميجيل	٩٢- لسابل ومضامين المسرح الإسباني المعاصر
عبد الوهاب علوب	مايك فيذرستون وسكوت لاش	٩٣- محدثات العولمة
قوزية الشماوى	صمويل بيكيت	٩٤- مسرحيتا الحب الأول والصحية
سرى محمد عبد اللطيف	أنطونيو بويرد بايخو	٩٥- مختارات من المسرح الإسباني
إيوار الخراط	نخبة	٩٦- ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى
بشير السباى	فرنان برودل	٩٧- هوية فرنسا (مج١)
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	٩٨- الهم الإنسانى والابتزاز الصبهنى
إبراهيم قنديل	ديفيد روينسون	٩٩- تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)
إبراهيم فتحى	بول هيرست وجراهام تومبسون	١٠٠- مساطة العولمة
رشيد بنحور	بيرنار فاليط	١٠١- النص الروائى: تقنيات ومناهج
عز الدين الكتانى الإبريسى	عبد الكبير الخطيبى	١٠٢- السياسة والتسامح
محمد بنيس	عبد الوهاب المؤذب	١٠٣- قبر ابن عربى يليه آباء (شعر)
عبد الغفار مكارى	برتولت بريشت	١٠٤- أوروبا ماهوجنى (مسرحية)
عبد العزيز شنبيل	چيرارچينيت	١٠٥- مدخل إلى النص الجامع
أشرف على دعدور	ماريا خيسوس روبييرامتى	١٠٦- الأدب الأندلسى
محمد عبد الله الجعيدى	نخبة من الشعراء	١٠٧- صورة الفنان فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر
محمود على مكى	مجموعة من المؤلفين	١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى
هاشم أحمد محمد	چون بولوك وعادل درويش	١٠٩- حروب المياه
منى قطان	حسنة بيجوم	١١٠- النساء فى العالم التامى
ريهام حسين إبراهيم	فرانسس هيدسون	١١١- المرأة والجريمة
إكرام يوسف	أرلين علوى ماكليود	١١٢- الاحتجاج الهادئ

- ١١٢- راية التمرد سادى پلانز
١١٤- مسرحيات حصاد كرنجى وسكان المستقع وول شويونكا
١١٥- غرفة تخص المرء وحده فرچينيا وولف
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد
١١٨- النهضة النسائية فى مصر بث بارون
١١٩- انشاء الأسرة وتكوينها الملائم فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد
١٢١- الليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى
١٢٢- نظام العبيدية للقيم والتعديج المثالى للإنسان جوزيف فوجت
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وملاحتها النولية أنيتل ألكسندرو فنا دولينا
١٢٤- الفجر للكتاب: أوامم الراسمالية العالمية جون جراى
١٢٥- التحليل الموسيقى سيدرك ثورپ ديڤى
١٢٦- فعل القراءة فولفانج إيسر
١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء فتحى
١٢٨- الأدب المقارن سوزان باسنيت
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا نولورس أسيس جاروت
١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوندز فرانك
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين
١٣٢- ثقافة العولمة مايك فينرستون
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية) طارق على
١٣٤- تشريح حضارة بارى ج. كيمب
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت
١٣٦- فلاحو الياشا كينيث كونو
١٣٧- منكرات شاطب فى الصلة الفرنسية على مصر جوزيف مارى مواريه
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكسمان
١٣٩- باريسفيل (مسرحية) ريتشارد فاچنر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار هيربرت ميسن
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢- الإسكندرية: تاريخ ودليل أ. م. فورستر
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديرك لايدر
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) كارلو جولونوى
١٤٥- موت أرتيميو كروتى (رواية) كارلوس فوينتس
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) ميجيل دى لىيس
١٤٧- مسرحيتان فانكريد دورست
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية إنريكى أندرسون إمبرت
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس عاطف فضول
١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان
- أحمد حسان
نسيم مجلى
سمية رمضان
نهاد أحمد سالم
منى إبراهيم وهالة كمال
لميس النقاش
يأشرف: روف عباس
مجموعة من المترجمين
محمد الجندى وإيزابيل كمال
منيرة كروان
أنور محمد إبراهيم
أحمد فؤاد بليغ
سمحة الخولى
عبد الوهاب علوب
بشير السباعى
أميرة حسن نويرة
محمد أبو العطا وأخرون
شوقى جلال
لويس بقطر
عبد الوهاب علوب
طلعت الشايب
أحمد محمود
ماهر شفيق فريد
سحر توفيق
كاميليا صبحى
وجيه سمعان عبد المسيح
مصطفى ماهر
أمل الجبورى
نعيم عطية
حسن بيومى
عدلى السمعى
سلامة محمد سليمان
أحمد حسان
على عبدالرحمن البيمى
عبدالغفار مكارى
على إبراهيم منوفى
أسامة إيسر
منيرة كروان

بشير السباعي	فرنان برونل	١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١)
محمد محمد الخطابي	مجموعة من المؤلفين	١٥٢- عدالة الهنود وتخصص أخرى
فاطمة عبدالله محمود	فيولين فانويك	١٥٣- غرام القراءة
خليل كلفت	فيل سليتر	١٥٤- مدرسة فرانكفورت
أحمد مرسى	نخبة من الشعراء	١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر
مى التلمساني	چى انبال والآن وأديت فيرمو	١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى
عبدالعزیز بقوش	النظامى الكنجوى	١٥٧- خسرو وشيرين
بشير السباعي	فرنان برونل	١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)
إبراهيم فتحي	ديفيد هوكس	١٥٩- الأيديولوجية
حسين بيومي	بول إيرليش	١٦٠- آلة الطبيعة
زيدان عبدالطيم زيدان	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسباني
صلاح عبدالعزیز محجوب	يوحنا الأسوي	١٦٢- تاريخ الكنيسة
بإشراف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (ج١)
نبيل سعد	جان لاكوثير	١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)
سهير المصادفة	أ.ن. أماناسينا	١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)
محمد محمود أبوغدير	يشعياهو ليفمان	١٦٦- العلاقات بين التنين والطمانين في إسرائيل
شكرى محمد عياد	رابندرناث طاغور	١٦٧- في عالم طاغور
شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة
شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	١٦٩- إبداعات أدبية
بسام ياسين رشيد	ميجيل دليبيس	١٧٠- الطريق (رواية)
هدى حسين	فرائك بيجر	١٧١- وضع حد (رواية)
محمد محمد الخطابي	نخبة	١٧٢- حجر الشمس (شعر)
إمام عبد الفتاح إمام	ولتر ت. ستيس	١٧٣- معنى الجمال
أحمد محمود	إيليس كاشمور	١٧٤- صناعة الثقافة السوداء
وجيه سمعان عبد المسيح	لورينزو فيلشس	١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية
جلال البنا	توم تيتنبرج	١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
حصه إبراهيم المنيف	هنرى تروايا	١٧٧- أنطون تشيخوف
محمد حمدي إبراهيم	نخبة من الشعراء	١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث
إمام عبد الفتاح إمام	أيسوب	١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	١٨٠- قصة جاويد (رواية)
محمد يحيى	فنسننت ب. ليتش	١٨١- اللد الذي الأمريكى من التجليات إلى الثنائيات
ياسين طه حافظ	وب. بيثس	١٨٢- العنف والتوبة (شعر)
فتحي العشرى	رينيه جيلسون	١٨٣- جان كوكو على شاشة السينما
نسوقى سعيد	هانز إيندورفر	١٨٤- القاهرة: حاملة لا تنام
عبد الوهاب علوب	توماس تومسن	١٨٥- أسفار العهد القديم في التاريخ
إمام عبد الفتاح إمام	ميخائيل إنوود	١٨٦- معجم مصطلحات هيكل
محمد علاه الدين منصور	بُزرج علوى	١٨٧- الأرضة (رواية)
بدر الديب	ألفين كرنان	١٨٨- موت الأدب

- ١٨٩- النسر بالمسيرة مقالات في بئنة النقد المعاصر بول دي مان سعيد الفانمى
- ١٩٠- محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس محسن سيد فرجاني
- ١٩١- الكلام وأسمال وقصص أخرى الحاج أبو بكر إمام وآخرون مصطفى حجازى السيد
- ١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (ج١) زين العابدين المراغى محمود علاوى
- ١٩٣- عامل المنجم (رواية) بيتر أبراهامز محمد عبد الواحد محمد
- ١٩٤- مختارات من النقد الانجليزي-أمريكي الحديث مجموعة من النقاد ماهر شفيق فريد
- ١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية) إسماعيل فصيح محمد علاء الدين منصور
- ١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية) فالنتين راسبوتين أشرف الصباغ
- ١٩٧- سيرة الفاروق شمس العلماء شبلى النعمانى جلال السعيد الحفناوى
- ١٩٨- الاتصال الجماهيرى إدوين إمري وآخرون إبراهيم سلامة إبراهيم
- ١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاندائو جمال أحمد الرناوى وأحمد عبد اللطيف حماد
- ٢٠٠- ضمايا التتمية: المقاومة والبدائل جيرمى سيبروك فخرى لبيب
- ٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة جوزايا رويس أحمد الأنصارى
- ٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢) رينيه ويليك مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ٢٠٣- الشعر والشاعرية الطاف حسين حالى جلال السعيد الحفناوى
- ٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم زالمان شارازر أحمد هوىدى
- ٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات لويجى لوقا كافالى- سفورزا أحمد مستجير
- ٢٠٦- الهبولية تصنع علماً جيداً جيمس جلايك على يوسف على
- ٢٠٧- ليل أفريقي (رواية) رامون خوتاسندي محمد أبو العطا
- ٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى دان أوربان محمد أحمد صالح
- ٢٠٩- السرد والمسرح مجموعة من المؤلفين أشرف الصباغ
- ٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر) سنائى الفزنوى يوسف عبد الفتاح فرج
- ٢١١- فردينان دوسوسير جوناثان كلر محمود حمدى عبد الفنى
- ٢١٢- قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان مرزيان بن رستم بن شروين يوسف عبد الفتاح فرج
- ٢١٣- مسرح منذ قدم نابليون حتى رجل جدا لناصر ريمون فلاور سيد أحمد على الناصرى
- ٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع أنتونى جيننز محمد محبى الدين
- ٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢) زين العابدين المراغى محمود علاوى
- ٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين أشرف الصباغ
- ٢١٧- مسرحيتان طبيعيتان صمويل بيكيت وهارولد بينتر نادية البنهاوى
- ٢١٨- لعبة الحجلة (رواية) خوليو كورتاثان على إبراهيم منوفى
- ٢١٩- بقايا اليوم (رواية) كازو إيشجورود طلعت الشايب
- ٢٢٠- الهبولية فى الكون بارى پاركر على يوسف على
- ٢٢١- شعرية كفاوى جريجورى جوزدائيس رفعت سلام
- ٢٢٢- فرانز كافكا رونالد جراى نسيم مجلى
- ٢٢٣- العلم فى مجتمع حر باول فيرابند السيد محمد نفاوى
- ٢٢٤- دمار يوغسلافيا برانكا ماجاس منى عبدالظاهر إبراهيم
- ٢٢٥- حكاية غريق (رواية) جابريل جارتيا ماركيث السيد عبدالظاهر السيد
- ٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى ديفيد هربت لورانس طاهر محمد على البيورى.

- ٤
- ٢٢٧- المسرح الإسباني في القرن السابع عشر خوسيه ماري ديث بوركي
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن چانيت وولف
٢٢٩- مازق البطل الوحيد نورمان كيجان
٢٣٠- عن الذباب والقفران والبشر فرانسواز چاكوب
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية) خايمي سالوم بيدال
٢٣٢- ما بعد المعلومات توم ستونير
٢٣٣- فكرة الاضحلال في التاريخ الفريسي آرثر هيرمان
٢٣٤- الإسلام في السودان ج. سينسر تريمنجهام
٢٣٥- ديوان شمس تبريزي (ج١) مولانا جلال الدين الرومي
٢٣٦- الولاية ميشيل شوڤيكفيتش
٢٣٧- مصر أرض الوادي رويين فيدين
٢٣٨- العولة والتحرير تقرير لمنظمة الأكتاد
٢٣٩- العريبي في الأدب الإسرائيلي جيل رآمرآز - رايوخ
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار كاي حافظ
٢٤١- في انتظار البرابرة (رواية) ج . م . كوتزي
٢٤٢- سبعة أنماط من الفموض وليام إمبسون
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١) ليفي بروفنسال
٢٤٤- الغليان (رواية) لاورا إسكييل
٢٤٥- نساء مقاتلات إليزابيتا أديس وآخرون
٢٤٦- مختارات قصصية جابرييل جارتيا ماركيث
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والعداج في مصر والتر أرميرست
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية) أنطونيو جالا
٢٤٩- لغة التمزق (شعر) دراجو شتامبيوك
٢٥٠- علم اجتماع العلوم دومنيك فينك
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢) جورديون مارشال
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية مارجو بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية ل. أ. سيمينوفنا
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة ديف روينسون وجودي جروفز
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون ديف روينسون وجودي جروفز
٢٥٦- أقدم لك: ديكرات ديف روينسون وكريس جارات
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة وليم كلى رايت
٢٥٨- الفجر سير أنجوس فريزد
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور نخبة
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (ج٢) جورديون مارشال
٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود زكي نجيب محمود
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية) إدواردو مندوتا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن چون جرين
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة هوراس وشلبي
- السيد عبدالقاهر عبدالله
ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
أمير إبراهيم العمري
مصطفى إبراهيم فهمي
جمال عبدالرحمن
مصطفى إبراهيم فهمي
طلعت الشايب
فؤاد محمد عكود
إبراهيم اللسوقي شتا
أحمد الطيب
عنايات حسين طلعت
ياسر محمد جادالله وعريبي مديولي أحمد
نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
صلاح محجوب إدريس
ابتهسام عبدالله
صبري محمد حسن
بإشراف: صلاح فضل
نادية جمال الدين محمد
توفيق على منصور
على إبراهيم منوفي
محمد طارق الشرفاوي
عبداللطيف عبدالحميد
رفعت سلام
ماجدة محسن أباطة
بإشراف: محمد الجوهرى
على بدران
حسن بيومى
إمام عبد الفتاح إمام
إمام عبد الفتاح إمام
إمام عبد الفتاح إمام
محمود سيد أحمد
مُباداة كُحيلة
فاروجان كازانچيان
بإشراف: محمد الجوهرى
إمام عبد الفتاح إمام
محمد أبو العطا
على يوسف على
لويس عوض

روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض	٢٦٥-
مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبد المنعم على	٢٦٦-
فن الرواية	ميلان كونديرا	يدير الدين هروكي	٢٦٧-
ديوان شمس تبريزي (ج٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم النسوتي شتا	٢٦٨-
وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	وليم چيلفور بالجريف	صبري محمد حسن	٢٦٩-
وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢)	وليم چيلفور بالجريف	صبري محمد حسن	٢٧٠-
الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سي. باترسون	شوقي جلال	٢٧١-
الأديرة الأثرية في مصر	سي. سي. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم	٢٧٢-
الاضداد الاجتماعية والثقافية للحركة المراهي في مصر	چوان كول	عتان الشهاوي	٢٧٣-
السيدة باريارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكي	٢٧٤-
د. س. إليوت شاعرًا وثاقًا وكاتبًا مسرحيًا	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد	٢٧٥-
فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبد القادر التمساني	٢٧٦-
الجنينات والصراع من أجل الحياة	يراين فورد	أحمد فوزي	٢٧٧-
البدائيات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله	٢٧٨-
الحرب الباردة الثقافية	ف. س. سويندز	طلعت الشايب	٢٧٩-
الأم والتصويب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبد الحميد إبراهيم	٢٨٠-
الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرذ	جلال الحفناوي	٢٨١-
طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق	٢٨٢-
السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرؤوف البمبي	٢٨٣-
هرقل مجنونًا (مسرحية)	يوريبينيس	أحمد عثمان	٢٨٤-
رحلة خواجه حسن نظامي الدهلوي	حسن نظامي الدهلوي	سمير عبد الحميد إبراهيم	٢٨٥-
سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي	٢٨٦-
الثقافة والعولمة والنظام العالمي	أنتوني كنج	محمد يحيى وآخرون	٢٨٧-
الفن الروائي	ديفيد لودج	ماهر البطوطي	٢٨٨-
ديوان منوچهری الدامغانی	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبد المنعم	٢٨٩-
علم اللغة والترجمة	چورچ موانان	أحمد زكريا إبراهيم	٢٩٠-
تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر	٢٩١-
تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر	٢٩٢-
مقدمة للأدب العربي	روچر آلن	مجدى توفيق وآخرون	٢٩٣-
فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت	٢٩٤-
سلطان الأسطورة	چوزيف كامبل وويل موريز	بدر الديب	٢٩٥-
مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي	٢٩٦-
فن النحو بين اليونانية والسريانية	نيونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازي	ماجدة محمد أنور	٢٩٧-
مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازي السيد	٢٩٨-
ثورة في التكنولوجيا الحيوية	چين ماركس	هاشم أحمد محمد	٢٩٩-
أسطورة بديوشاس في القرنين الرابع عشر والقرن الخامس (ج١)	لويس عوض	جمال البزيري وياهو جامين وإيزابيل كمال	٣٠٠-
أسطورة بديوشاس في القرنين الرابع عشر والقرن الخامس (ج٢)	لويس عوض	جمال البزيري و محمد الجندي	٣٠١-
أقدم لك: فنجنشتين	چون هيترن وجودي جروانز	إمام عبد الفتاح إمام	٣٠٢-

٢٠٢- أقدم لك: بوذا	چين هوب ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٢٠٦- الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٢٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بايينو وهوارد سلينا	محمود مكي
٢٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف چونز ويورين فان لو	ممنوح عبد المنعم
٢٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٢١٠- أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٢١١- مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج. كولنجود	فاطمة إسماعيل
٢١٢- روح الشعب الأسود	وايم نيبويس	أسعد حليم
٢١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايبير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٢١٤- مارسيل نوشامب: الفن كعدم	چانيس مينيك	هویدا السباعى
٢١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والظاهر لبيب	كاميليا صبحى
٢١٦- محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٢١٧- بلاغ	س. شير لايمولما- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٢١٨- الادب الروسى فى السنوات العشر الاخيرى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٩- صور نريدا	جايترى سبيفلاك وكريستوفر نوريس	حسام نايل
٢٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٢٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج. ١، ٢، ٣)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو يوجين كلينپاور	خالد مفلح حمزة
٢٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٢٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٢٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كريستين يوسف
٢٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٢٢٧- مختارات شعرية مترجمة (ج١)	نخبة	توفيق على منصور
٢٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عيد العزيز بقوش
٢٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٢٣٠- كل شيء من التمثيل الصامت	مارفن شپرد	سامى صلاح
٢٣١- عندما جاء السريدين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية نياب
٢٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٢٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	يكر عياس
٢٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٢٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٢٣٧- فلسفة الولاء	چوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٢٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (ج٢)	إبوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيبروجلو	فخرى لبيب

- ٣٤١- قصائد من رلكه (شعر) راينر ماريا ريلكه
٣٤٢- سلمان وأبسال (شعر) نور الدين عبدالرحمن الجامى
٣٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية) نادين جورديمر
٣٤٤- الموت فى الشمس (رواية) بينتر بالانجيو
٣٤٥- الركض خلف الزمان (شعر) يونه ندائى
٣٤٦- سحر مصر رشاد رشدى
٣٤٧- الصبية الطائشون (رواية) چان كوكتو
٣٤٨- المنصوفة الأولون فى الأدب التركى (ج١) محمد فؤاد كويريلى
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة آرثر والدهورين وآخرون
٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية مجموعة من المؤلفين
٣٥١- مبادئ المنطق چوزايا رويس
٣٥٢- قصائد من كفافيس قسطنطين كفافيس
٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأتلس: الزخرفة الهندسية باسيليو يايون مالدونادو
٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأتلس: الزخرفة النباتية باسيليو يايون مالدونادو
٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة حجت مرتجى
٣٥٦- الميراث المر بول سالم
٣٥٧- متون هرمس تيموشى فريك وبيتر غاندى
٣٥٨- أمثال الهوسا العامة نخبة
٣٥٩- محاوره بارمنيدس أفلاطون
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة أندريه چاكوب ونويلا پاركان
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة الان جرينجر
٣٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية) هاينرش شبولر
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية ريتشارد چيبسون
٣٦٤- حادثة شكسبير إسماعيل سراج الدين
٣٦٥- سام باريس (شعر) شارل بودلير
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب كلاريسا بنكولا
٣٦٧- القلم الجرى مجموعة من المؤلفين
٣٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات جيرالد برنس
٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية كليولا لويت
٣٧١- المنصوفة الأولون فى الأدب التركى (ج٢) محمد فؤاد كويريلى
٣٧٢- عاش الشباب (رواية) وانغ مينغ
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه أوميرتو إيكو
٣٧٤- اليوم السادس (رواية) أندريه شنيد
٣٧٥- الخلود (رواية) ميلان كونديرا
٣٧٦- الفضب واحلام السنين (مسرحيات) چان أنوى وآخرون
٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (ج٤) إدوارد براون
٣٧٨- المسافر (شعر) محمد إقبال
حسن حلمى
عبد العزيز بقوش
سمير عبد ربه
سمير عبد ربه
يوسف عبد الفتاح فرج
جمال الجزيرى
بكر الطور
عبدالله أحمد إبراهيم
أحمد عمر شاهين
عطية شحاتة
أحمد الانتصارى
نعم عطية
على إبراهيم منوفى
على إبراهيم منوفى
محمود علوى
بدر الزرقاعى
عمر الفاروقى عمر
مصطفى حجازى السيد
حبيب الشارونى
ليلى الشريينى
عاطف معتمد وأمال شاوڤ
سيد أحمد فتح الله
صبرى محمد حسن
نجلاء أبو عجاج
محمد أحمد حمد
مصطفى محمود محمد
البراقى عبدالهادى رضا
هايد خزندار
فوزية العشماوى
فاطمة عبدالله محمود
عبدالله أحمد إبراهيم
وحيد السيد عبدالحميد
على إبراهيم منوفى
حمادة إبراهيم
خالد أبو اليزيد
إدوار الخراط
محمد علاء الدين منصور
يوسف عبدالفتاح فرج

جمال عبدالرحمن	سنيل باث	٢٧٩- ملك في الحديقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جونتر جراس	٢٨٠- حديث عن الخسارة
رانيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٢٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادی	بهاء الدين محمد اسفنديار	٢٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	٢٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٢٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد علي بهزادراد	٢٨٥- مشقري المشق (رواية)
ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي
بهاء جاهين	جون دن	٢٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازي	٢٨٨- مواهب سعدى الشيرازي (شعر)
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٢٨٩- تقام وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. في. روبرتس	٢٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى
منى البرويبي	مايف بينشى	٢٩١- الحافلة الليلية (رواية)
عبداللطيف عبداللطيم	فرناندو دي لاجرانجا	٢٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيري	ندوة لويس ماسينيون	٢٩٣- في قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٢٩٤- القوى الأربع الأساسية في الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٢٩٥- آدم سيواش (رواية)
محمود علاوي	تقي نجاري راد	٢٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتي شين	٢٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودي وهوارد ريد	٢٩٨- أقدم لك: سارتر
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفتش وألن كوركس	٢٩٩- أقدم لك: كامى
باهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠- مومو (رواية)
ممدوح عبد المنعم	زياد بن ساردر وأخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
ممدوح عبدالمنعم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج
عماد حسن بكر	تدور شتورم وجوتفرد كوار	٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)
ظبية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤- تعويذة الحصى
حمادة إبراهيم	أندريه جيد	٤٠٥- إيزابيل (رواية)
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	٤٠٦- المستعمرون الإسبان في القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بأقلام كتابه
عنان الشهاوى	چوان فوتشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	برتراند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوي بقورة	كارل بوبر	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	چينيفر أكرمان	٤١١- همس من الماضي
بإشراف: صلاح فضل	ليفى بروقتسال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج. ٠٢ ج. ٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)
أمل الصبان	باسكال كازانوف	٤١٤- الجمهورية العالمية للأدب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش دورينمات	٤١٥- صورة كركب (مسرحية)
محمد مصطفى بدوى	أ. أ. رتشاردز	٤١٦- مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر

- ٤١٧- تاريخ النقد الألبى الحديث (جه) رينيه ويليك
٤١٨- سياسات الزير الماكرة فى مصر المشانية چين هاثواى
٤١٩- العصر الذهبى للإسكندرية چون مارلو
٤٢٠- مكرو ميجاس (قصة فلسفية) فواتير
٤٢١- الرلا، والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأزل روى متحدة
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١) ثلاثة من الرحالة
٤٢٣- إسرعات الرجل اللطيف نخبة
٤٢٤- فوائح الحق ولوامع العشق (شعر) نور الدين عبدالرحمن الجامى
٤٢٥- من طابوس إلى فرح محمود طلوعى
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى نخبة
٤٢٧- بانديراس الطاغية (رواية) باى إنكلان
٤٢٨- الخزائن الخفية محمد هوتك بن داود خان
٤٢٩- أقدم لك: هيجل ليود سينسر وأنزجى كروز
٤٣٠- أقدم لك: كانط كرسوتور وانت وأنزجى كليموفسكى
٤٣١- أقدم لك: فوكى كريس هوروكس وزوران جفتيك
٤٣٢- أقدم لك: ماكيفاللى پاتريك كبرى وأوسكار زاريت
٤٣٣- أقدم لك: جويس ديفيد نرويس وكارل فلنت
٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية دونكان هيث وچودى بورهام
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة نيكولاس زويرج
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١) فردريك كويلستون
٤٣٧- رحالة هندي فى بلاد الشرق العريى شبللى النعمانى
٤٣٨- بطلات وضحايا إيمان ضياء الدين بييرس
٤٣٩- موت المرابى (رواية) صدر الدين عينى
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة كرسن بروستاد
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية) أروناتى روى
٤٤٢- حثشبسوت: المرأة الفرعونية فوزية أسعد
٤٤٣- اقة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها كيس فرستينج
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة لاوريت سيجورنه
٤٤٥- حول وزن الشعر پرويز نائل خانلرى
٤٤٦- التحالف الأسود الكسنفر كوكيرن وجيفرى سانت كلير
٤٤٧- ملحمة السيد تراث شعبي إسباني
٤٤٨- الفلاحون (ميراث الترجمة) الأب عيروط
٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية نخبة
٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية صوفيا فوكا وريبيكا رايت
٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية ريتشارد أوزبورن وويون فان لون
٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة چان لوك أرتو
٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية رينيه بريدال
مجاهد عبدالمنعم مجاهد
عبد الرحمن الشيخ
نسيم مجلى
الطيب بن رجب
أشرف كيلانى
عبدالله عبدالرازق إبراهيم
وحيد النقاش
محمد علاء الدين منصور
محمود علوى
محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
ثريا شلبى
محمد أمان صافى
إمام عبدالفتاح إمام
إمام عبدالفتاح إمام
إمام عبدالفتاح إمام
إمام عبدالفتاح إمام
حمدي الجابرى
عصام حجازى
ناجى رشوان
إمام عبدالفتاح إمام
جلال الحفناوى
عايدة سيف النولة
محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
محمد طارق الشرقاوى
فخرى لبيب
ماهر جورجاتى
محمد طارق الشرقاوى
صالح علمانى
محمد محمد يونس
أحمد محمود
الطاهر أحمد مكى
محيى الدين اللبان ووليم داوود مرقس
جمال الجزيرى
جمال الجزيرى
إمام عبد الفتاح إمام
محيى الدين مزيد
حليم طوسون وفؤاد الدهان
سوزان خليل

محمود سيد أحمد	فردريك كوبلستون	٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)
هويدا عزت محمد	مريم جعفرى	٤٥٦- لا تتسنى (رواية)
إمام عبدالفتاح إمام	سوزان مولر أوكين	٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى
جمال عبد الرحمن	مرثيديس غارثيا أرنال	٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون
جلال البنا	توم تيتنبرج	٤٥٩- نمو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية
إمام عبدالفتاح إمام	ستوارت هود وليتزا جانستز	٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية
إمام عبدالفتاح إمام	داريان ليدر وجودى جروفز	٤٦١- أقدم لك: لكان
عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى	٤٦٢- طه حسين من الأزهري إلى السوريين
كمال السيد	ويليام بلوم	٤٦٣- الدولة المارقة
حصاة إبراهيم المنيف	مايكل بارنتى	٤٦٤- ديمقراطية للقلّة
جمال الرفاعى	لويس جنزبيرج	٤٦٥- قصص اليهود
فاطمة عبد الله	ثيولدين فانوك	٤٦٦- حكايات حب ويطولات فرعونية
ربيع وهبة	ستيفين ديلى	٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية
أحمد الأنصارى	چوزايا رويس	٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة
مجدى عبدالرازق	نصوص حبشية قديمة	٤٦٩- جلال الملوك
محمد السيد اللثة	جارى م. بيرزيسكى وأخرون	٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية
عبد الله عبد الرزاق إبراهيم	ثلاثة من الرحالة	٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (٢)
سليمان العطار	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)
سليمان العطار	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)
سهام عبدالسلام	يام موريس	٤٧٤- الألب والنسوية
عادل هلال عنانى	فرچينيا دانيلسون	٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم
سحر توفيق	ماريلين بوث	٤٧٦- أرض الحجاب بعيدة: بييم التونسي
أشرف كيلانى	هيلدا هوخام	٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين
عبد العزيز حمدى	ليوشيه شنج و لى شى تونج	٤٧٨- الصين والولايات المتحدة
عبد العزيز حمدى	لاوشه	٤٧٩- المقهى (مسرحية)
عبد العزيز حمدى	كو مو روا	٤٨٠- تساي ون جى (مسرحية)
رضوان السيد	روى متحدة	٤٨١- بردة النبي
فاطمة عبد الله	روبير چاك تيبو	٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية
أحمد الشامى	سارة چامبل	٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية
رشيد بنحو	هانسن روبييرت يابوس	٤٨٤- جمالية التلقى
سمير عبدالحميد إبراهيم	نذير أحمد الدهلوى	٤٨٥- التوبة (رواية)
عبداللطيم عبدالغنى رجب	يان أسمن	٤٨٦- الذاكرة الحضارية
سمير عبدالحميد إبراهيم	رفيع الدين المراد أبابى	٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى
محمود رجب	إدموند هُسرل	٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علماً دقيقاً
عبد الوهاب علوب	محمد قادرى	٤٩٠- أسمار البيغاء
سمير عبد ربه	نخبة	٤٩١- نصوص قسومية من روائع الألب الأثريتي
محمد رفعت عواد	چى فارچيت	٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة

محمد صالح الضالع	هارولد پالمر	٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات
شريف الصيفى	تصوص مصرية قديمة	٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج فى النهار
حسن عبد ربه المصرى	إدوارد تيفان	٤٩٥- اللوى
مجموعة من المترجمين	إكوانو بانولى	٤٩٦- الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج١)
مصطفى رياض	نادية العلى	٤٩٧- العلمانية والنوع والنوع فى الشرق الأوسط
أحمد على بدوى	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	٤٩٨- النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث
فيصل بن خضراء	مجموعة من المؤلفين	٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع
طلعت الشايب	تيتز دلكى	٥٠٠- فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية
سحر قراج	أرثر جولاد هامر	٥٠١- تاريخ النساء فى الغرب (ج١)
هالة كمال	مجموعة من المؤلفين	٥٠٢- أصوات بديلة
محمد نور الدين عبدالمنعم	نخبة من الشعراء	٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسى الحديث
إسماعيل المصطفى	مارتن هايدجر	٥٠٤- كتابات أساسية (ج١)
إسماعيل المصطفى	مارتن هايدجر	٥٠٥- كتابات أساسية (ج٢)
عبد الحميد فهمى الجمال	آن تيلر	٥٠٦- ربما كان قديساً (رواية)
شوقى فهم	بيتر شيفر	٥٠٧- سيدة الماضى الجميل (مسرحية)
عبدالله أحمد إبراهيم	عبدالباقي جليتناىلى	٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومى
قاسم عبده قاسم	آدم صبرة	٥٠٩- التقرب والإحسان فى عصر سلطنة المالك
عبدالرازق عيد	كارلو جولونى	٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية)
عبد الحميد فهمى الجمال	آن تيلر	٥١١- كوكب مرثع (رواية)
جمال عبد الناصر	تيموثى كوريجان	٥١٢- كتابة النقد السينمائى
مصطفى إبراهيم فهمى	تيد أنتون	٥١٣- العلم الجسور
مصطفى بيومى عبد السلام	چونتان كوار	٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية
فدوى مالطى بوجلاس	فدوى مالطى بوجلاس	٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحدائق
صبرى محمد حسن	أرنولد واشنطن وديونا باوندى	٥١٦- إرادة الإنسان فى علاج الإدمان
سمير عبد الحميد إبراهيم	نخبة	٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى
هاشم أحمد محمد	إسحق عظيموف	٥١٨- استكشاف الأرض والكون
أحمد الأنصارى	جوزايا رويس	٥١٩- محاضرات فى المثالية الحديثة
أمل الصبيان	أحمد يوسف	٥٢٠- الابع الفرنسى يصر من العلم إلى المشرع
عبدالوهاب بكر	أرثر جولاد سميت	٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة
على إبراهيم منوفى	أميركو كاسترو	٥٢٢- إسبانيا فى تاريخها
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالدونادو	٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن
محمد مصطفى بدوى	وليم شكسبير	٥٢٤- الملك لير (مسرحية)
نادية رفعت	نديس چونسون	٥٢٥- موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى
محيى الدين مزيد	ستيفن كرويل ووليم رانكين	٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية
جمال الجزيرى	ديفيد زين ميروقتس وروبرت كرمب	٥٢٧- أقدم لك: كافكا
جمال الجزيرى	طارق على وإيل إيفانز	٥٢٨- أقدم لك: تروتسكى والماركسية
حازم محفوظ	محمد إقبال	٥٢٩- بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى
عمر الفاروق عمر	رينيه چينو	٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية

صفاة فتحي	چالك دريدا	٥٣١- ما الذي حَدَّثَ في حَدَّثه ١١ سبتمبر؟
بشير السباعي	هنري لورنس	٥٣٢- المغامرُ والمستشرق
محمد طارق الشرقاوي	سوزان جاس	٥٣٣- تَطَلُّمُ اللغة الثانية
حمادة إبراهيم	سيفرون لوبا	٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون
عبدالعزیز بقوش	نظامي الكنجوي	٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)
شوقي جلال	سمويل منتجتون وأودانس هارينغتون	٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم
عبدالفار مكارى	نخبة	٥٣٧- للحب والحرية (شعر)
محمد الحديدي	كيت دانييل	٥٣٨- النفس والأخر في تمس يوسف الشاروني
محسن مصيلحي	كاريل تشرشل	٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة
رؤف عباس	السير رونالد ستورس	٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية
مروة رزق	خوان خوسيه مياس	٥٤١- هي تتخيل وهلاس أخرى
نعيم عطية	نخبة	٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليوناني المعيت
وفاء عبدالقادر	باتريك بروجان وكريس جرات	٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية
حمدي الجابري	روبرت هنشل وأخرون	٥٤٤- أقدم لك: ميلاني كلانين
عزت عامر	فرانسيس كريك	٥٤٥- يا له من سباق محموم
توفيق علي منصور	ت. ب. وايزمان	٥٤٦- ريموس
جمال الجزيري	فيليب تودي وأن كورس	٥٤٧- أقدم لك: بارت
حمدي الجابري	ريتشارد أوزبورن وبودن فان لون	٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع
جمال الجزيري	بول كولي وليتا جانز	٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات
حمدي الجابري	نيك جروم ويثيرو.	٥٥٠- أقدم لك: شكسبير
سمحة الخولي	سايمون ماندي	٥٥١- الموسيقى والعولمة
علي عبد الرؤف البمبي	ميجيل دي ثريانتس	٥٥٢- قصص مثالية
رجاء ياقوت	دانيال لوفرس	٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر
عبدالسميع عمر زين الدين	عفاف لطفى السيد مارسوه	٥٥٤- مصر في عهد محمد علي
أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي	أناتولى أوتكين	٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن العاشر والعشرين
حمدي الجابري	كريس هوروكس وزوران جيفتك	٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار
إمام عبدالفتاح إمام	ستوارت هود وجراهام كرولي	٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دي ساد
إمام عبدالفتاح إمام	زيوبين ساردا رويورين فان لون	٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية
عبدالحى أحمد سالم	تشا تشاجي	٥٥٩- الماس الزائف (رواية)
جلال السعيد الحفناوي	محمد إقبال	٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)
جلال السعيد الحفناوي	محمد إقبال	٥٦١- جناح جبريل (شعر)
عزت عامر	كارل ساغان	٥٦٢- بلانين وبلانين
صبرى محمدى التهامي	خاثينتو بينابينتي	٥٦٣- وريد الخريف (مسرحية)
صبرى محمدى التهامي	خاثينتو بينابينتي	٥٦٤- عُشُ الغريب (مسرحية)
أحمد عبدالحميد أحمد	ديبورا ج. جيرتر	٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر
علي السيد علي	موريس بيشوب	٥٦٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى
إبراهيم سلامة إبراهيم	مايكل رايس	٥٦٧- الوطن المفتصب
عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر	٥٦٨- الأصولي في الرواية

- ٥٦٩- موقع الثقافة
٥٧٠- دول الخليج الفارسي
٥٧١- تاريخ النقد الإسباني المعاصر
٥٧٢- الطب في زمن القراعة
٥٧٣- أقدم لك: فريد
٥٧٤- مصر القديمة في عيون الإيرانيين
٥٧٥- الاقتصاد السياسي للعولة
٥٧٦- فكر ثريانتس
٥٧٧- مغامرات بينوكيو
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكي
٥٨٠- دائرة المعارف الولاية (مج ١)
٥٨١- الحقني يموتون (رواية)
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)
٥٨٣- الجيران (رواية)
٥٨٤- سفر (رواية)
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصيني
٥٨٨- أمنحوتب الثالث
٥٨٩- تمبكت الحبيبة
٥٩٠- أساطير من الموريتك الشعبية الفنندية
٥٩١- الشاعر والفكر
٥٩٢- الثورة المصرية (ج١)
٥٩٣- قصائد ساحرة
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)
٥٩٥- الحكم والسياسة في أفريقيا (ج٢)
٥٩٦- الصحة العقلية في العالم
٥٩٧- مسلمو غرناطة
٥٩٨- مصر وكثمان وإسرائيل
٥٩٩- فلسفة الشرق
٦٠٠- الإسلام في التاريخ
٦٠١- النسوية والمواطنة
٦٠٢- ليونار: نحو فلسفة ما بعد حداثة
٦٠٣- النقد الثقافي
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج ١)
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب
٦٠٦- قصة البردي اليوناني في مصر
- هومي بابا
سير روبرت هاي
إيميليا دي ثوليتا
برونو ألبوا
ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتي
حسن بيرنيا
نجير وودز
أمريكو كاسترو
كارلو كواودي
أيومي ميزوكوشي
جون ماهر وچودي جرونز
جون فيزد وپول سترجز
ماريو بونز
هوشنك كلشييري
أحمد محمود
محمود نولت أبادي
هوشنك كلشييري
ليزييث مالكموس وروي أرمز
مجموعة من المؤلفين
أنيس كابرول
فيلكس دييوا
نخبة
هوراتيوس
محمد صبري السوريوني
پول فاليري
سوزانا تامارو
إكوانو بانولي
روبرت ديچارليه وآخرون
خوايو كاروياروخا
دونالد رينفورد
هوراد مھرين
برنارد لويس
ريان ثوت
چيمس وليامز
آرثر أيزنبرجر
پاتريك ل. أبوت
إرنست زيبروسكي (الصغير)
ريتشارد هاريس
- ثائر ديب
يوسف الشاروني
السيد عبد الظاهر
كمال السيد
جمال الجزيري
علاء الدين السباعي
أحمد محمود
ناهد العشري محمد
محمد قنري عمارة
محمد إبراهيم ومصام عبد الروف
محيي الدين مزيد
بإشراف: محمد فتحي عبدالهادي
سليم عبد الأمير حمدان
سليم عبد الأمير حمدان
سليم عبد الأمير حمدان
سليم عبد الأمير حمدان
سهم عبد السلام
عبدالعزیز حمدی
ماهر جويجاتي
عبدالله عبدالرازق إبراهيم
محمود مهدي عبدالله
علي عبدالقواب علي وصلاح رمضان السيد
مجدى عبدالحافظ وطى كورخان
بكر الحلو
أمانى فوزي
مجموعة من المترجمين
إيهاب عبدالرحيم محمد
جمال عبدالرحمن
بيومي علي قنديل
محمود علاوي
مبخت طه
أيمن بكر وسمر الشيشكلي
إيمان عبدالعزيز
وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي
توفيق على منصور
مصطفى إبراهيم فهمي
محمود إبراهيم السعدني

صبرى محمد حسن	هارى سينت فيليبس	٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (ج١)
صبرى محمد حسن	هارى سينت فيليبس	٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (ج٢)
شوقى جلال	أجنر فوج	٦٠٩- الانتخاب الثقافي
على إبراهيم منوفى	رفائيل لويث جوثمان	٦١٠- العمارة المبنجة
فخرى صالح	تيرى إيبلتون	٦١١- النقد والأيدولوجية
محمد محمد يونس	فضل الله بن حامد الحسينى	٦١٢- رسالة النسبية
محمد فريد حجاب	كولن مايكل هول	٦١٣- السياحة والسياسة
منى قطان	فوزية أسعد	٦١٤- بيت الأقصر الكبير (رواية)
محمد رفعت عواد	أليس بسيرينى	٦١٥- مرض الأجداد التي راعه لم يبعده من ١٩١٧ إلى ١٩١٩
أحمد محمود	روبرت يانج	٦١٦- أساطير بيضاء
أحمد محمود	هوراس بيك	٦١٧- الفولكلور والبحر
جلال البنا	تشارلز فيليبس	٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة
عايدة الباجورى	ريمون استانبولى	٦١٩- ملاتيج أورشليم القدس
بشير السباعى	توماس ماستنك	٦٢٠- السلام الصليبي
محمد السباعى	عمر الخيام	٦٢١- رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)
أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى	أى تشينغ	٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين
يوسف عبدالفتاح	سعيد قانعى	٦٢٣- نوانر جحا الإيراني
غادة الطوانى	نخبة	٦٢٤- شعر المرأة الأفريقية
محمد برادة	جان چينيه	٦٢٥- الجرح السرى
توفيق على منصور	نخبة	٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (ج٢)
عبدالوهاب علوب	نخبة	٦٢٧- حكايات إيرانية
مجدى محمود المليجى	تشارلز داروين	٦٢٨- أصل الأنواع
عزة الخميسى	ثيوقلاس جويات	٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية
صبرى محمد حسن	أحمد بللو	٦٣٠- سيرتى الذاتية
بإشراف: حسن طلب	نخبة	٦٣١- مختارات من الشعر الأرفي المعاصر
رانيا محمد	دولورس برامون	٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فانسيا
حمادة إبراهيم	نخبة	٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)
مصطفى البهنساوى	روى ملكويد وإسماعيل سراج الدين	٦٣٤- مكتبة الإسكندرية
سمير كريم	جودة عبد الخالق	٦٣٥- التثبيث والتكيف فى مصر
سامية محمد جلال	جناب شهاب الدين	٦٣٦- حج يراندة
بدر الرقاصى	ف. روبرت هنتر	٦٣٧- مصر القديمة
فؤاد عبد المطلب	روبرت بن وأرين	٦٣٨- الديمقراطية والشعر
أحمد شافعى	تشارلز سيميك	٦٣٩- فندق الأرق (شعر)
حسن حبشى	الأميرة أناكومينا	٦٤٠- ألكسياد
محمد قدرى عمارة	بوتراند رسل	٦٤١- بوتراند رسل (مختارات)
ممدوح عبد المنعم	چوناثان ميلر ويورين فان لون	٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور
سمير عبدالحميد إبراهيم	عبد الماجد التريبادى	٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)
فتح الله الشيخ	هوارد د. تيرنر	٦٤٤- العلوم عند المسلمين

- ٦٤٥- السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الفاضحة تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف عبد الوهاب علوب
- ٦٤٦- قصة الثورة الإيرانية سبهر نبيح عبد الوهاب علوب
- ٦٤٧- رسائل من مصر جون نيينه فتحى العضرى
- ٦٤٨- بورخيس بياتريث سارلو خليل كلفت
- ٦٤٩- الخوف وقصص خرافية أخرى جى دى موياسان سحر يوسف
- ٦٥٠- الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط روجر أوين عبد الوهاب علوب
- ٦٥١- ديليسيس الذى لا نعرفه وثائق قديمة أمل الصبان
- ٦٥٢- آلهة مصر القديمة كلود ترونكر حسن نصر الدين
- ٦٥٣- مدرسة الطغاة (مسرحية) إيريش كستتر سمير جريس
- ٦٥٤- أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١) نصوص قديمة عبد الرحمن الخميسى
- ٦٥٥- أساطير وآلهة إيزابيل فرانكو حلیم طوسون ومحمود ماهر طه
- ٦٥٦- خبز الشعب والأرض العمراء (مسرحيتان) ألفونسو ساسترى ممدوح البستارى
- ٦٥٧- محاكم التفتيش والمورسكيون مرثيس غارثيا أرينال خالد عباس
- ٦٥٨- حوارات مع خوان رامون خيمينيث خوان رامون خيمينيث صبرى التهامى
- ٦٥٩- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية نخبة عبداللطيف عبدالحميد
- ٦٦٠- نافذة على أحدث العلوم ريتشارد فايفلد هاشم أحمد محمد
- ٦٦١- روائع أندلسية إسلامية نخبة صبرى التهامى
- ٦٦٢- رحلة إلى الجذور داسو سالدوبار صبرى التهامى
- ٦٦٣- امرأة عادية ليوسيل كليفتون أحمد شافعى
- ٦٦٤- الرجل على الشاشة ستيفن كوهان وإنا راي هارك عصام زكريا
- ٦٦٥- عوالم أخرى پول دافيز هاشم أحمد محمد
- ٦٦٦- تطور الصورة الشعرية عند شكسبير وولفجانج اتش كليمين جمال عبد الناصر ومحت الجيار وجمال جاد الرب
- ٦٦٧- الأزمة القادمة لطم الاجتماع الغربى ألفن جولندر على ليلية
- ٦٦٨- ثقافات العولة فريدريك جيمسون وماساو ميوشى لىلى الجبالى
- ٦٦٩- ثلاث مسرحيات وول شوينكا نسيم مجلى
- ٦٧٠- أشعار جوستاف أنولفو جوستاف أنولفو ماهر البيطوطى
- ٦٧١- قل لى كم مضى على رحيل القطار؟ جيمس بولدوين على عبدالأمير صالح
- ٦٧٢- مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال نخبة إبتهاال سالم
- ٦٧٣- ضرب الكليم (شعر) محمد إقبال جلال الحفناوى
- ٦٧٤- ديوان الإمام الخمينى آية الله العظمى الخمينى محمد علاء الدين منصور
- ٦٧٥- أثينا السوداء (ج٢، ج١) مارتن برنال بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
- ٦٧٦- أثينا السوداء (ج٢، ج١) مارتن برنال بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
- ٦٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (ج١ ، ج١) إدوارد جرانفيل براون أحمد كمال الدين حلمى
- ٦٧٨- تاريخ الأدب فى إيران (ج١ ، ج٢) إدوارد جرانفيل براون أحمد كمال الدين حلمى
- ٦٧٩- مختارات شعرية مترجمة (ج٢) وليم شكسبير توفيق على منصور
- ٦٨٠- المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة) كارل ل. بيكر محمد شفيق غربال
- ٦٨١- هل يوجد نص فى هذا الفصل؟ ستانلى فش أحمد الشيمى
- ٦٨٢- نجوم حظز التجوال الجديد (رواية) بن أوكرى صبرى محمد حسن

- ٦٨٣- سكين واحد لكل رجل (رواية) تي. م. ألوكي
٦٨٤- الامثال القصصية الكاملة (أنا كندا) (ج١) أوراثيو كيروجا
٦٨٥- الامثال القصصية الكاملة (المعزاة) (ج٢) أوراثيو كيروجا
٦٨٦- امرأة محاربة (رواية) ماكسين هونج كنجستون
٦٨٧- محبوبة (رواية) فتاة حاج سيد جوادي
٦٨٨- الانفجارات الثلاثة العظمى فيليب م. دويور وريتشارد أ. موار
٦٨٩- الملف (مسرحية) تادوش روجيفيتش
٦٩٠- محاكم التفتيش في فرنسا (مختارات)
٦٩١- ألبرت أينشتاين: حياته وغرامياته (مختارات)
٦٩٢- أقدم لك: الوجودية ريتشارد أيجانسي وأوسكار زاريت
٦٩٣- أقدم لك: القتل الجماعي (المحرقة) حانيم برشيت وآخرون
٦٩٤- أقدم لك: بريدا جيف كواينز وييل ماييلين
٦٩٥- أقدم لك: رسل ديف روينسون وجودي جروف
٦٩٦- أقدم لك: روسو ديف روينسون وأوسكار زاريت
٦٩٧- أقدم لك: أرسطو روبرت وبقين وجودي جروفس
٦٩٨- أقدم لك: عصر التنوير ليود سبنسر وأندريجي كروز
٦٩٩- أقدم لك: التحليل النفسي إيفان وارد وأوسكار زاريت
٧٠٠- الكاتب وواقعه ماريو بارجاس يوسا
٧٠١- الذاكرة والحداثة وليم رود فيليان
٧٠٢- موية جوستيان في لغة الروماني (ميراث الترجمة) چوستينيان
٧٠٣- تاريخ الأدب في إيران (ج٢) إنوار جرانقيل براون
٧٠٤- فيه ما فيه مولانا جلال الدين الرومي
٧٠٥- فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام الإمام الغزالي
٧٠٦- الشفرة الوراثية وكتاب التحولات چونسون ف. يان
٧٠٧- أقدم لك: فالتر بنيامين هوارد كاليبج وآخرون
٧٠٨- فراعنة من؟ دونالد مالكوم ويد
٧٠٩- معنى الحياة ألفريد أبلر
٧١٠- الأطفال والتكنولوجيا والثقافة إيان هاتشباي وچوموران - إليس
٧١١- نرة التاج ميرزا محمد هادي رسوا
٧١٢- الإلياذة (ج١) (ميراث الترجمة) هوميروس
٧١٣- الإلياذة (ج٢) (ميراث الترجمة) هوميروس
٧١٤- حديث القلوب (ميراث الترجمة) لامنيه
٧١٥- سر تلم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة) إدمون ديمولان
٧١٦- جامعة كل المعارف (ج٢) مجموعة من المؤلفين
٧١٧- جامعة كل المعارف (ج٣) مجموعة من المؤلفين
٧١٨- جامعة كل المعارف (ج٤) مجموعة من المؤلفين
٧١٩- مسرح الأطفال: فلسفة وطريقة م. جولدبرج
٧٢٠- مداخل إلى البحث في تلم اللغة الثانية دونام چونسون
- صبري محمد حسن
رزق أحمد بهنسي
رزق أحمد بهنسي
سحر توفيق
ماجدة العناني
فتح الله الشيخ وأحمد السماحي
هناء عبد الفتاح
رمسيس عوض
رمسيس عوض
حمدي الجابري
جمال الجزيري
حمدي الجابري
إمام عبدالفتاح إمام
إمام عبدالفتاح إمام
إمام عبدالفتاح إمام
إمام عبدالفتاح إمام
جمال الجزيري
بسمة عبدالرحمن
منى البرنس
عبد العزيز فهمي
أمين الشواربي
محمد علاء الدين منصور وآخرون
عبدالحميد مذكر
عزت عامر
وفاء عبدالقادر
رؤف عباس
عادل نجيب بشري
دعاء محمد الخطيب
هناء عبد الفتاح
سليمان البستاني
سليمان البستاني
حنا صاوه
أحمد فتحي زغلول
نخبة من المترجمين
نخبة من المترجمين
نخبة من المترجمين
جميلة كامل
على شعبان وأحمد الخطيب

مصطفى لبيب عبد الفنى	هـ. أ. والفنون	٧٢١- فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج ١)
الصفصافى أحمد القطورى	يشار كمال	٧٢٢- الصفيحة وقصص أخرى
أحمد ثابت	إفرايم نيمنى	٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية
عبد الريس	بول روبنسون	٧٢٤- اليسار الفرويدى
مى مقلد	جون فيتكس	٧٢٥- الاضطراب النفسى
مروة محمد إبراهيم	غيرمو غوثاليس بوستو	٧٢٦- المورسكيون فى المغرب
وحيد السعيد	باچين	٧٢٧- حلم البحر (رواية)
أميرة جمعة	موريس آليه	٧٢٨- العولمة: تدمير العمالة والنمو
هويدا عزت	صادق زيبا كلام	٧٢٩- الثورة الإسلامية فى إيران
عزت عامر	أن جاتى	٧٣٠- حكايات من السهول الأتريقية
محمد قبرى عمارة	مجموعة من المؤلفين	٧٣١- النزوع: الذكر والأشئ بين التميز والاختلاف
سمير جريس	إنجر شولتسه	٧٣٢- قصص بسيطة (رواية)
محمد مصطفى بدوى	وليم شيكسبير	٧٣٣- مأساة عطيل (مسرحية)
أمل الصبان	أحمد يوسف	٧٣٤- بونايرت فى الشرق الإسلامى
محمود محمد مكى	مايكل كويرسون	٧٣٥- فن السيرة فى العربية
شعبان مكابى	هوارد زن	٧٣٦- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج١)
توفيق على منصور	پاتريك ل. أبوت	٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج ٢)
محمد عواد	جيرار دى چورچ	٧٣٨- بحث من عصر ما قبل التاريخ إلى العولمة المعرفية
محمد عواد	جيرار دى چورچ	٧٣٩- مسجون الإمبراطورية المشائية حتى ترحله المتفسر
مرفت ياقوت	بارى هندس	٧٤٠- خطابات السلطة
أحمد هيكل	برنارد لويس	٧٤١- الإسلام وأزمة العصر
رزق بهنسى	خوسيه لاكوارا	٧٤٢- أرض حارة
شوقى جلال	روبرت أونجر	٧٤٣- الثقافة: منظور داروينى
سمير عبد الحميد	محمد إقبال	٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر)
محمد أبو زيد	بيك النبلى	٧٤٥- المآثر السلطانية
حسن النعمى	جوزيف أ. شوميتز	٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج ١)
إيمان عبد العزيز	تريفور وايتوك	٧٤٧- الاستعارة فى لغة السينما
سمير كريم	فرانسيس بويل	٧٤٨- تدمير النظام العالمى
باتسى جمال الدين	ل.ج. كالفيه	٧٤٩- إيكلوجيا لغات العالم
ياشرف: أحمد عثمان	هوميروس	٧٥٠- الإلياذة
علاء السباعى	نخبة	٧٥١- الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى
نمر عاروى	جمال قارصلى	٧٥٢- ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف
محسن يوسف	إسماعيل سراج الدين وآخرون	٧٥٣- التنمية والقيم
عبدالمسلم حيدر	أنا مارى شيمل	٧٥٤- الشرق والغرب
على إبراهيم منوفى	أندرو ب. نبيكى	٧٥٥- تاريخ الشعر الإيبانى خلال القرن العشرين
خالد محمد عباس	إنريكى خارنيليل بوينثيلا	٧٥٦- ذات العيون الساحرة
أمال الروبى	پاتريشيا كرون	٧٥٧- تجارة مكة
عاطف عبدالحميد	بروس روبنز	٧٥٨- الإحساس بالعولمة

- ٧٥٩- النشر الأردني
٧٦٠- الدين والتصوير الشعبي للكون
٧٦١- جيوب مثقلة بالمجارة (رواية)
٧٦٢- المسلم عوا و صنيقاً
٧٦٣- الحياة في مصر
٧٦٤- ديوان غالب الدهلوي (شعر غزل)
٧٦٥- ديوان خواجة الدهلوي (شعر تصوف)
٧٦٦- الشرق المخيل
٧٦٧- الغرب المخيل
٧٦٨- حوار الثقافات
٧٦٩- أدباء أسياء
٧٧٠- السيدة بيرفيكتا
٧٧١- السيد سيجوندو سومبرا
٧٧٢- بريخت ما بعد العداة
٧٧٣- دائرة المعارف الولاية (ج٢)
٧٧٤- الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والريكتاه
٧٧٥- مرأة العروس
٧٧٦- منظومة مصيبت نامه (مج١)
٧٧٧- الانفجار الأعظم
٧٧٨- صفوة النبيح
٧٧٩- خيوط العنكبوت وقصص أخرى
٧٨٠- من أنب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠
٧٨١- الطريق إلى يكين
٧٨٢- المسرح المسكون
٧٨٣- العولة والرعاية الإنسانية
٧٨٤- الإساءة للطفل
٧٨٥- تأملات عن تطور نكاه الإنسان
٧٨٦- المثنية (رواية)
٧٨٧- العودة من فلسطين
٧٨٨- سر الأهرامات
٧٨٩- الانتظار (رواية)
٧٩٠- الفرانكفونية العربية
٧٩١- الطور ومعدل الطور في مصر القديمة
٧٩٢- رسائل حمد القصص التصيرية لإبريس ومحفظة
٧٩٣- ثلاث رؤى للمستقبل
٧٩٤- التاريخ الشعبي للولايات المتحدة (ج٢)
٧٩٥- مختارات من الشعر الإسباني (ج١)
٧٩٦- أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن
- جلال الحفناوي
السيد الأسود
فاطمة ناعوت
عبدالعال صالح
نجوى عمر
حازم محفوظ
حازم محفوظ
غازي برو و خليل أحمد خليل
غازي برو
محمود فهمي حجازي
رندا النشار وخشياء زاهر
صبري التهامي
صبري التهامي
محسن مصليحي
يأشرف: محمد فتحى عبدالهادي
حسن عبد ربه المصري
جلال الحفناوي
محمد محمد يونس
عزت عامر
حازم محفوظ
سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تাকাهاشي
سمير عبد الحميد إبراهيم
نبيلة بدران
جمال عبد المقصود
طلعت السروجي
جمعة سيد يوسف
سمير حنا صادق
سحر توفيق
إيناس صادق
خالد أبو اليزيد البلتاجي
منى الدروي
جيهان العيسوي
ماهر جويجاتي
منى إبراهيم
رواف وصفي
شعبان مكاوي
علي عبد الروف البعبي
حمزة المزنني
- مولوى سيد محمد
السيد الأسود
فيرجينيا وولف
ماريا سوليداد
أنريكو بيا
غالب الدهلوي
خواجة مير درد الدهلوي
تيري هنتش
نسيب سمير الحسيني
محمود فهمي حجازي
فريدريك هتمان
بينيتو بيرث جالوس
ريكارنو جويرالديس
إليزابيث رايت
جون فيز ويول ستيرجز
مجموعة من المؤلفين
نذير أحمد الدهلوي
فريد الدين الططار
جيمس إ. لينسي
مولانا محمد أحمد ورشا القادري
نخبة
غلام رسول مهر
هدى بدران
مارفن كارلسون
فيك جورج ويول ويلدنج
ديفيد أ. وولف
كارل سماجان
مارجريت أتوود
جوزيه بوليه
ميروسلاف فروتو
هاجين
مونيك بونتو
محمد الشيمي
منى ميخائيل
جون جريفيس
هوارد زن
نخبة
نعوم تشومسكي

طلعت شامين	نخبة	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	٧٩٧-
سميرة أبو الحسن	كاترين جيلدرود ودافيد جيلدرود	الإرشاد النفسى للأطفال	٧٩٨-
عبد الحميد فهمى الجمال	آن تيلر	سلم السنوات	٧٩٩-
عبد الجواد توفيق	ميشيل ماكارثى	تضايى فى علم اللغة التطبيقى	٨٠٠-
بإشراف: محسن يوسف	تقرير دولى	نحو مستقبل أفضل	٨٠١-
شربين محمود الرفاعى	ماريا سوليداد	مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	٨٠٢-
عزة الضميسى	توماس پاترسون	التغيير والتنمية فى القرن العشرين	٨٠٣-
درويش الطلوجى	دانييل فيرفيه-ليجيه وچان بول وولام	سوسيوولوجيا الدين	٨٠٤-
طاهر البربرى	كانزو إيشيجورو	من لا عزاء لهم (رواية)	٨٠٥-
محمود ماجد	ماجدة بركة	الطبقة العليا المتوسطة	٨٠٦-
خيرى نومة	ميريام كوك	يحي حقى: تشريح مفكر مصرى	٨٠٧-
أحمد محمود	ديفيد دابليو ليش	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	٨٠٨-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	تاريخ الفلسفة السياسية (ج١)	٨٠٩-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	تاريخ الفلسفة السياسية (ج٢)	٨١٠-
حسن النعمى	جوزيف أ شومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	٨١١-
فريد الزاهى	ميشيل مافيزولى	نظم العظم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	٨١٢-
نورا أمين	انى إرنو	لم أخرج من ليلى (رواية)	٨١٣-
أمال الروبى	ناقتال لويس	الحياة اليومية فى مصر الرومانية	٨١٤-
مصطفى لبيب عبدالقنى	هـ. أ. والغسون	فلسفة المتكلمين (مج٢)	٨١٥-
بدر الدين عرويكى	فيليب روجيه	العدو الأمريكى	٨١٦-
محمد لطفى جمعة	أفلاطون	مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	٨١٧-
ناصر أحمد وياتسى جمال الدين	أندريه ريمون	الهرابيين والتجار فى القرن ١٨ (ج١)	٨١٨-
ناصر أحمد وياتسى جمال الدين	أندريه ريمون	الهرابيين والتجار فى القرن ١٨ (ج٢)	٨١٩-
طانيوس أفندى	وليم شكسبير	شملت (مسرحية) (ميراث الترجمة)	٨٢٠-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن الجامى	هفت بيكر (شعر)	٨٢١-
محمد نور الدين عبد المنعم	نخبة	فن الرباعى (شعر)	٨٢٢-
أحمد شافعى	نخبة	وجه أمريكا الأسود (شعر)	٨٢٣-
ربيع مفتاح	دافيد برتش	لغة الدراما	٨٢٤-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	مصر النهضة فى إيطاليا (ج١) (ميراث الترجمة)	٨٢٥-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	مصر النهضة فى إيطاليا (ج١) (ميراث الترجمة)	٨٢٦-
محمد على فرج	دونالد پ.كول وثرىا تركى	امل مطروح اليوم والستينين ولقنين يقسنن للسلطنة	٨٢٧-
رمسيس شحاتة	ألبرت أينشتين	النظرية النسبية (ميراث الترجمة)	٨٢٨-
مجدى عبد الحافظ	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مناظرة حول الإسلام والعلم	٨٢٩-
محمد علاء الدين منصور	حسن كريم بور	رق العشق	٨٣٠-
محمد النادى وعطية عاشور	ألبرت أينشتين وإيويولد إنفلد	تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة)	٨٣١-
حسن النعمى	جوزيف أ شومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (ج٢)	٨٣٢-
محسن الدمرداش	فرنر شميدرس	الفلسفة الألمانية	٨٣٣-
محمد علاء الدين منصور	نبيح الله صفا	كنز الشعر	٨٣٤-

- ٨٢٥- تشيخوف: حياة في صور
٨٢٦- بين الإسلام والغرب
٨٢٧- عناكب في المصيدة
٨٢٨- في تفسير مذهب يوش ومقالات أخرى
٨٢٩- أقدم لك: النظرية النقدية
٨٤٠- الخواتم الثلاثة
٨٤١- هملت: أمير الدانمارك
٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج٢)
٨٤٣- من روائع القصيد الفارسي
٨٤٤- دراسات في الفقر والعولة
٨٤٥- غياب السلام
٨٤٦- الطبيعة البشرية
٨٤٧- الحياة بعد الرأسمالية
٨٤٨- تاريخ النولة العربية (ميراث الترجمة)
٨٤٩- سونيتات شكسبير
٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحداث
٨٥١- الطب التجريبي (ميراث الترجمة)
٨٥٢- العلم والحقيقة
٨٥٣- المسارة في الأملس: عبارة المن والحصن (مج١)
٨٥٤- المسارة في الأملس: عبارة المن والحصن (مج٢)
٨٥٥- فهم الاستعارة في الأدب
٨٥٦- القضية الموسيكية من وجهة نظر أخرى
٨٥٧- نادجا (رواية)
٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية
٨٥٩- السياسة في الشرق القديم
٨٦٠- مصر وأوروبا
٨٦١- الإسلام والمسلمون في أمريكا
٨٦٢- ببقاء الكاكابو
٨٦٣- لقاء بالشعراء
٨٦٤- أوراق فلسطينية
٨٦٥- فكرة الثقافة
٨٦٦- رسائل خمس في الآفاق والأنفس
٨٦٧- المهمة الاستثنائية (رواية)
٨٦٨- الشعر الفارسي المعاصر
٨٦٩- تطور الثقافة
٨٧٠- عشر مسرحيات (ج١)
٨٧١- عشر مسرحيات (ج٢)
٨٧٢- كتاب الطار
- ٨٢٥- علاه عزمي
٨٢٦- ممنوح البستاني
٨٢٧- على فهمي عبدالسلام
٨٢٨- لبنى صبري
٨٢٩- جمال الجزيري
٨٤٠- فوزية حسن
٨٤١- محمد مصطفى بدوي
٨٤٢- محمد محمد يونس
٨٤٣- محمد علاه الدين منصور
٨٤٤- سمير كريم
٨٤٥- طلعت الشايب
٨٤٦- عادل نجيب بشري
٨٤٧- أحمد محمود
٨٤٨- عبد الهادي أبو ريذة
٨٤٩- بدر توفيق
٨٥٠- جابر عصفور
٨٥١- يوسف مراد
٨٥٢- مصطفى إبراهيم فهمي
٨٥٣- علي إبراهيم منوفي
٨٥٤- علي إبراهيم منوفي
٨٥٥- محمد أحمد حمد
٨٥٦- عائشة سويلم
٨٥٧- كامل عويد العامري
٨٥٨- بيومي قنديل
٨٥٩- مصطفى ماهر
٨٦٠- عادل صبحي تكلا
٨٦١- محمد الخولي
٨٦٢- محسن الدمرداش
٨٦٣- محمد علاه الدين منصور
٨٦٤- عبد الرحيم الرفاعي
٨٦٥- شوقي جلال
٨٦٦- محمد علاه الدين منصور
٨٦٧- صبري محمد حسن
٨٦٨- محمد علاه الدين منصور
٨٦٩- شوقي جلال
٨٧٠- حمادة إبراهيم
٨٧١- حمادة إبراهيم
٨٧٢- محسن فرجاني
- ٨٢٥- بيتر أوريان
٨٢٦- مرثيدس غارثيا
٨٢٧- ناتاليا فيكو
٨٢٨- نعم تشومسكي
٨٢٩- ستيوارت سين ويورين فان لون
٨٤٠- جوتوهولد ليسينج
٨٤١- وليم شكسبير
٨٤٢- فريد الدين العطار
٨٤٣- نخبة
٨٤٤- كريمة كريم
٨٤٥- نيكولاس جويات
٨٤٦- ألفريد أدلر
٨٤٧- مايكل ألبرت
٨٤٨- يوليوس فلهاوزن
٨٤٩- وليم شكسبير
٨٥٠- مقالات مختارة
٨٥١- كلود برنار
٨٥٢- ريتشارد دوكنز
٨٥٣- باسيليو بابون مالدونادو
٨٥٤- باسيليو بابون مالدونادو
٨٥٥- جيرارد ستيم
٨٥٦- فرانثيسكو ماركيث يانو بيانويا
٨٥٧- أندريه بريتون
٨٥٨- ثيو هرمانز
٨٥٩- إيف شيمل
٨٦٠- فان بملن
٨٦١- چين سميت
٨٦٢- أرتور شنيتسلر
٨٦٣- علي أكبر دلفي
٨٦٤- لورين إنجرامز
٨٦٥- تيري إيجلتون
٨٦٦- مجموعة من المؤلفين
٨٦٧- ديفيد مايلو
٨٦٨- ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى
٨٦٩- روبن بونبار وأخرون
٨٧٠- نخبة
٨٧١- نخبة
٨٧٢- لوتسو

٨٧٣-	معلمون لمدارس المستقبل	تقرير صابر عن اليونسكو	بهاء شاهين
٨٧٤-	النهر الخالد (مج ١)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٥-	النهر الخالد (مج ٢)	جاويد إقبال .	ظهور أحمد
٨٧٦-	دواسة في الموسيقى الشرقية (ج١)	هنرى جورج فارمر	أمانى المنياوى
٨٧٧-	أدب الجدل والفتاح في العربية	موريتس شتيتنير	صلاح محبوب
٨٧٨-	ترحال في صحراء الجزيرة العربية (ج١، ج٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٧٩-	ترحال في صحراء الجزيرة العربية (ج١، ج٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٨٠-	الواحات المقودة	أحمد حسنين بك	عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه
٨٨١-	المستقيبون : خدعة وخيانة	جلال آل أحمد	سلوى عباس
٨٨٢-	أغاني شيراز (ج١) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٣-	أغاني شيراز (ج٢) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٤-	تعلم الأطفال الصغار	باربرا تيزار ومارتن هيوز	محمد رشدى سالم
٨٨٥-	روح الإرهاب	جان بودريار	بدر عربكى
٨٨٦-	الترجمة والإمبراطورية	دوجلاس روبنسون	ثائر ديب
٨٨٧-	غزليات سعدى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٨٨٨-	أزهار مسلك الليل (رواية)	مريم جعفرى	فويدا عزت
٨٨٩-	سارتورس (ميراث الترجمة)	وايم فوكتر	ميخائيل رومان
٨٩٠-	منتخبات أشعار فراغى	مخدومقى قرانضى	الصفصافى أحمد القطورى
٨٩١-	مفاوضات مع الموتى	مارجريت أتوود	عزة مازن
٨٩٢-	تاريخ المسيحية الشرقية	عزيز سوريال عطية	إسحاق عبيد
٨٩٣-	عبادة الإنسان الحر	برتراند راسل	محمد قدرى عمارة
٨٩٤-	الطريق إلى مكة	محمد أسد	رفعت السيد على
٨٩٥-	وادي الفوضى (رواية)	فريدريش دورينمات	يسرى خميس
٨٩٦-	شعر الضفاف الأخرى	نخبة	زين العابدين فؤاد
٨٩٧-	اختراق الجزيرة العربية	نيكيد جورج هوجارث	صبرى محمد حسن
٨٩٨-	الإسلام والعلم	برويز أمير على	محمود خيال
٨٩٩-	الدبلوماسية الفاعلة	بيتر مارشال	أحمد مختار الجمال

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٠٠٥ / ٢١١٥٠

